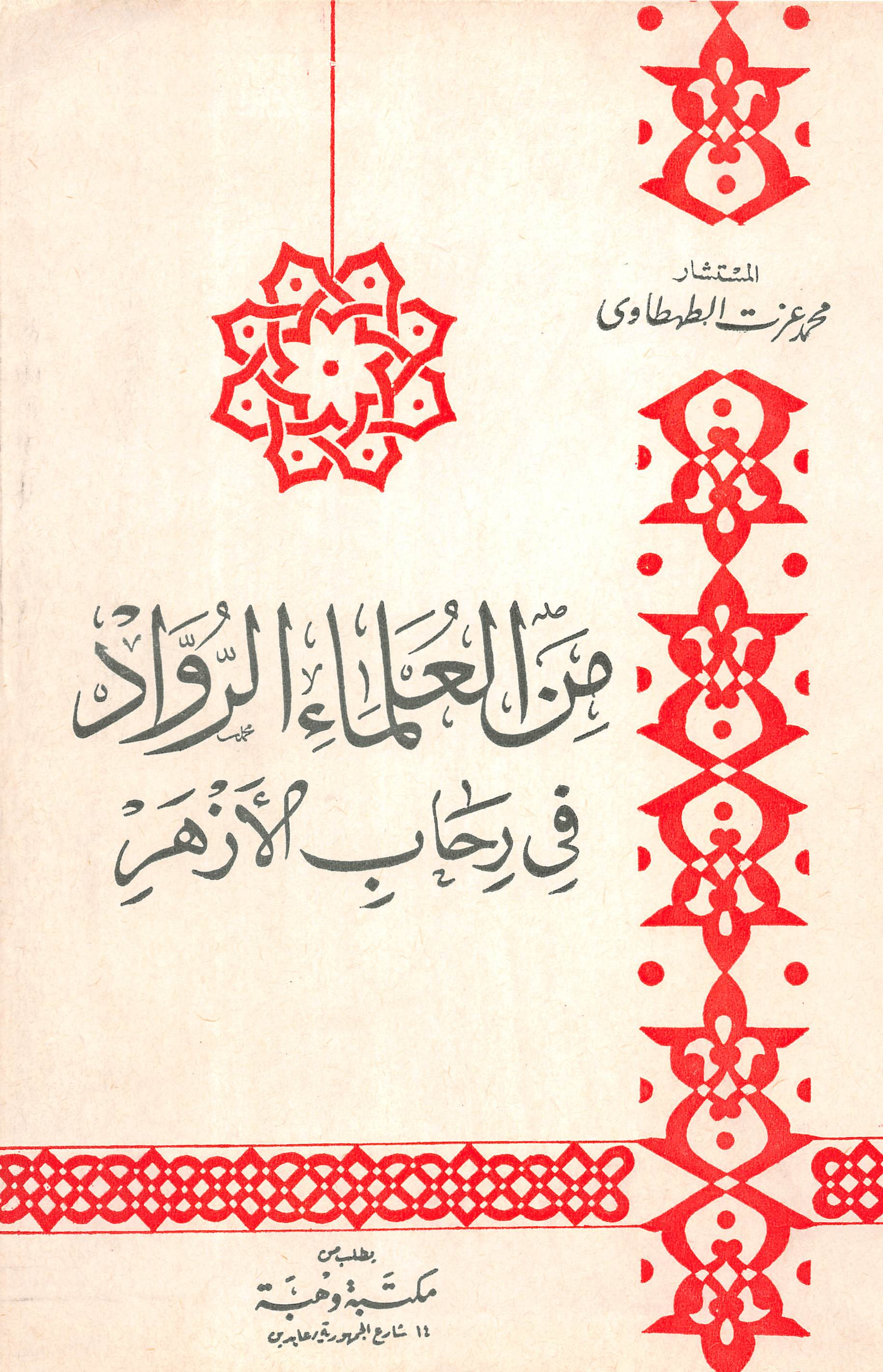
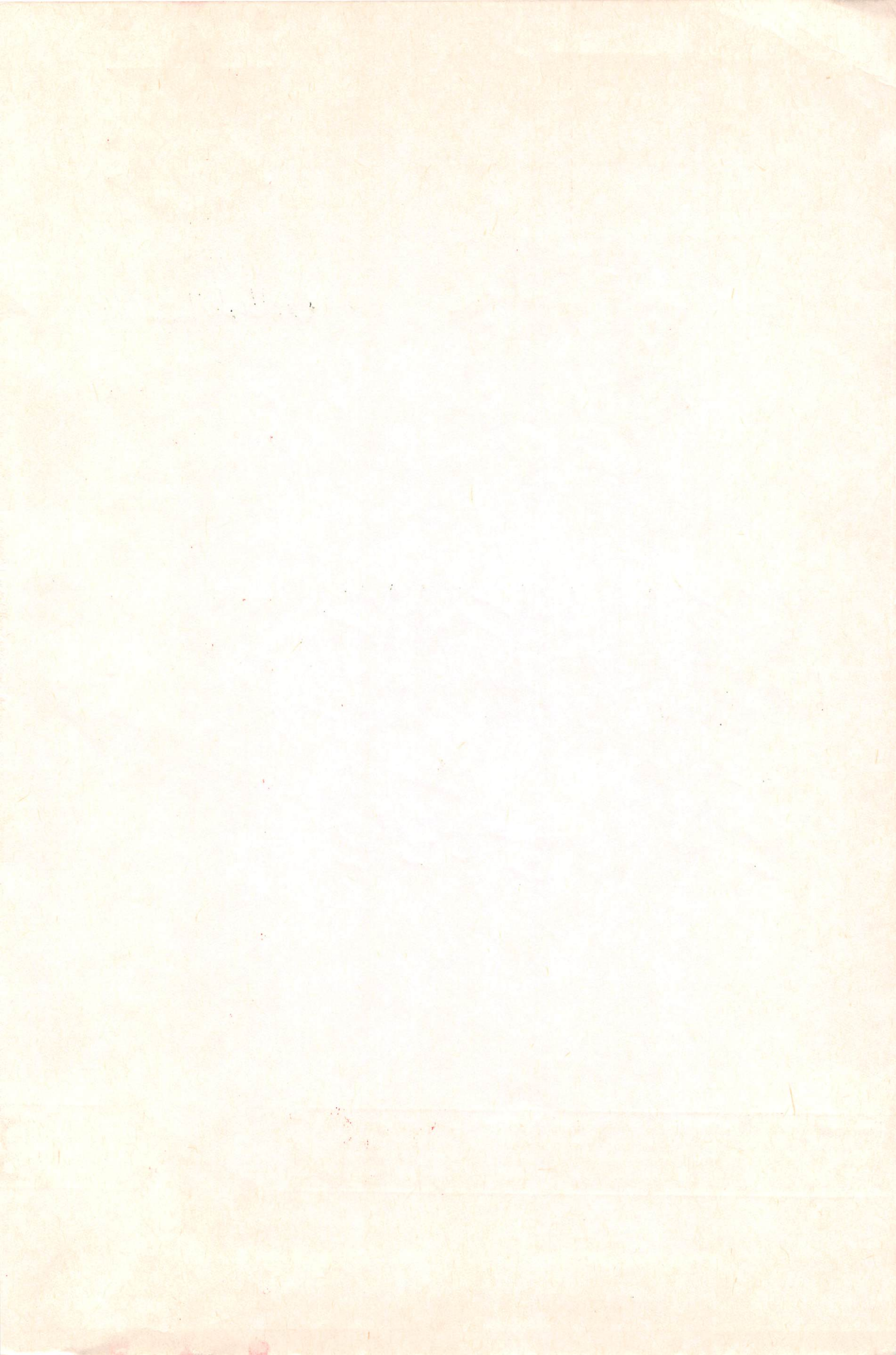
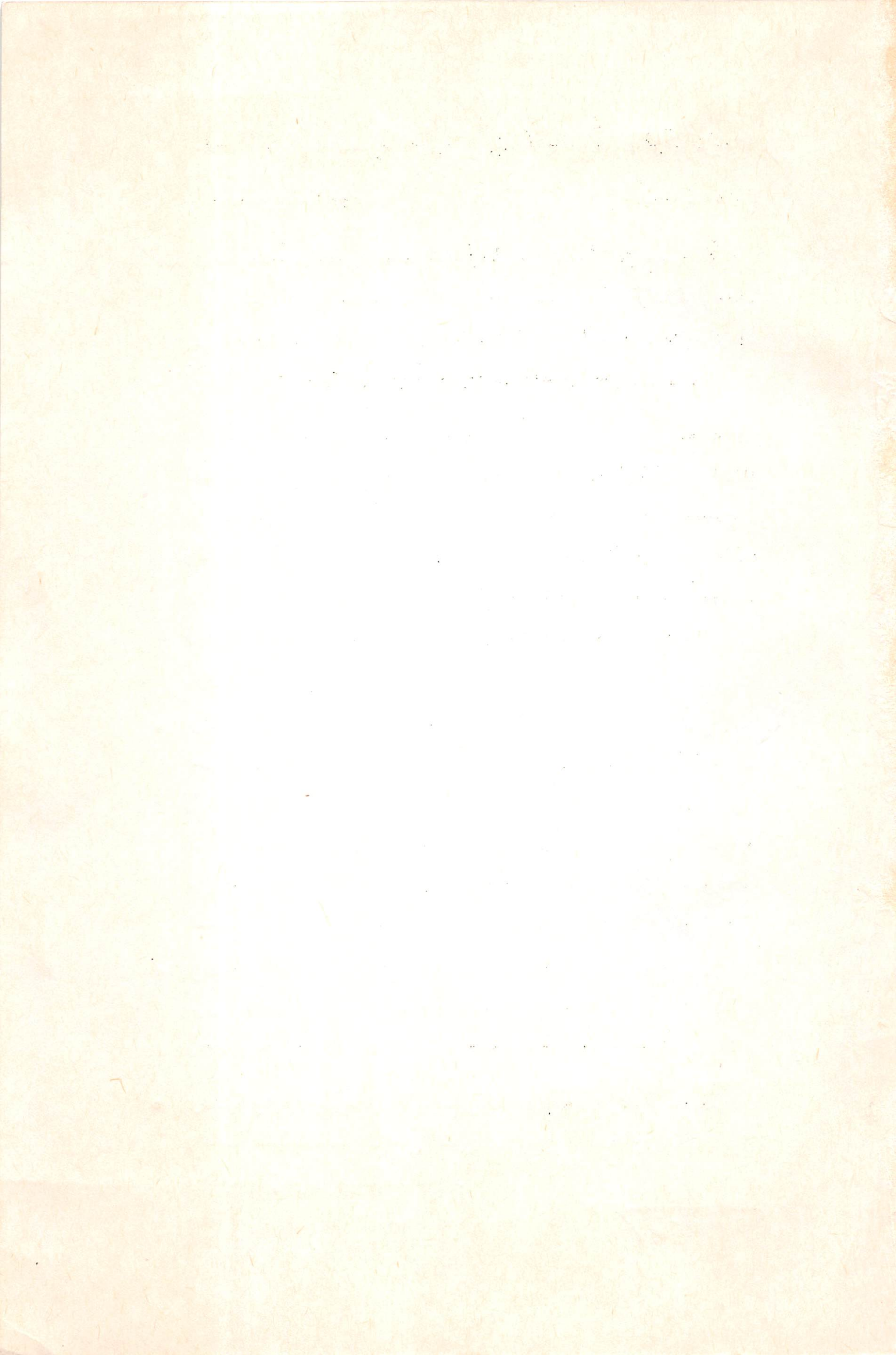

المستشار
محمد عزت الطهطاوى
من العلماء الرواد
فى رحاب الأزهر
يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية بعابدين





﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [قرآن كريم]

« **العلماء ورثة الأنبياء** » [حديث شريف]

* « هذه سِيَرٌ لبعض الشخصيات الإسلامية الفذة من علماء الأزهر الأماجد ، كانوا يستمدون أعمالهم وحركاتهم من قيم الإسلام الرفيعة ، ويرتكزون فى تصرفاتهم على مبادىء شريعته السمحة . فلا غرو إذ كانوا نماذج مضيئة وشموساً مشرقة فى العلم والعمل ... » .

* وما أحرانا في هذه الفترة الزمنية إلى التأسى بسِيَرٍ وتاريخ هؤلاء العلماء الأعلام وتقصى أخبارهم وما لاقوه من عنت « **السلطة** » وأهواء « **المنتفعين** » و « **المنافقين** » . . وكيف تغلبوا على الصعوبات والعراقيل التى كانت تقام أمامهم . . ما أحوجنا إلى سير هؤلاء « **الأفاضل** » التى تبرز استعلاءهم على « **المناصب** » و « **الأهواء** » فجاءتهم الدنيا ذليلة راكعة . . وكتبوا سجل حياتهم بحروف من نور وكانوا مع الخالدين . .

* وقد ترك كل منهم – **كتباً ومؤلفات** – تزيد أو تقل – حسب ظروف كل منهم . . أفرغوا فيها علمهم ومكابداتهم وآراءهم – **لا يخشون فى الله لومة لائم** – فكانت هذه الكتب نبراساً يهدى إلى طريق النجاة ، وهى الميراث العلمى الذى أورثوه للأمة الإسلامية من بعدهم ، فكل كتاب يشير إلى صاحبه فى عزة واعتزاز ، ويدعو المسلمين إلى العمل بالإسلام الحنيف . شريعة وعبادة .. ديناً ودولة ..

* **ومؤلف الكتاب** : ليس غريباً على معالجة هذا الموضوع . . فقد أثرى المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من مؤلفاته القيمة فى العلوم الإسلامية ، ومقارنة الأديان . مما يضيق المكان عن حصرها . .

* **ومكتبة وهبه** : يسرها أن تقوم بنشر هذا الكتاب .. ليتعرف المسلمون . وبخاصة الشباب المسلم . على بعض .. « **من العلماء الرواد .. فى رحاب الأزهر** » وبالله التوفيق .

مكتبة وهبة

المستشار
محمد عزت الطهطاوى



يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية بعابدين
القاهرة — تليفون ٣٩١٧٤٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المثل الأعلى للعلماء والصالحين ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين. قال الله تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً).

وبعـــد :

فهذه سير لبعض الشخصيات الاسلامية الفذة من علماء الأزهر الأماجد، كانوا يستمدون أفعالهم وحركاتهم من قيم الإسلام الرفيعة. ويرتكزون فى تصرفاتهم على مبادئ شريعته الكاملة السمحة، فلاغرو إذا كانوا نماذج مضيئة وشموسا مشرقة فى العلم والعمل ما أحرانا أن نترسم خطاهم ونتلمس طريقهم ونسير على هداهم.

والله هو الموفق إلى سواء السبيل . . .

المؤلف
المستشار
محمد عزت الطهطاوى

الأستاذ الدكتور محمد البهى

مدير جامعة الأزهر ووزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق

أغسطس ١٩٠٥ م – سبتمبر ١٩٨٢ م

عالم منهجي جليل،ومفكر إسلامى على نمط رفيع، اتسم بالشجاعة والأصالة فى فكره وقلمه،وكما كان متمسكا بدينه كان عفيف النفس واليد واللسان متواضعا كريما لزائريه،جريئا فى اتخاذ القرار الذى يطمئن إليه لاتدفعه رغبة ولايخشى رهبة مادام قراره فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

وهو فى كل أحواله كان لايبخل برأى أو مشورة فى أمور الدين والدنيا لكل من يلجأ إليه وفيما كان يبعثه الناس إليه من رسائل يطلبون فيها الرأى والفتيا .

ذلك هو الأستاذ الدكتور محمد البهى رحمه الله،الذى كتب فى الفلسفة وفى العقيدة وفى السلوك والمجتمع والفكر الإسلامى المعاصر من جميع جوانبه الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية كتابة ذكية واعية أظهرت جمال الإسلام وكماله فى قلوب معتنقيه ، ولقد كشف فيما كان يكتبه أساليب أعداء الفكر الإسلامى،وحارب العلمانية والإلحاد والكفر والمادية وزيف الفكر الإغريقى الوثنى فى كل مكان حل فيه، إذكان وفيا لفكره وخطه الذى رسمه فى ظل كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلمه الذى اكتسبه من دراسته الدينية الأصيلة فى رحاب الأزهر الشريف .

يقول عنه تلميذه الدكتور توفيق محمد شاهين :

كان الدكتور محمد البهى رجلا إنسانا بكل ماتحمله كلمة (إنسانا) من شرف وكرامة فهو رجل ينأى بنفسه عن كل مايشين الرجل المسلم أو يزرى به.وعاش كريم النفس والخلق قليل المال،لأنه لم يطلب مناعم العيش ولاطيبات الحياة ومن ثم فلم ينعم بها ، فلم يكن له إلا راتبه ومعاشه بعد ذلك .

أما عائد كتبه فقد كان لايسمن ولايغنى لأسباب تتعلق بالحفاظ على مبدئه وكرامته وعزة نفسه كإنسان مسلم.

وهو مع ذلك ماشكا ولا ندب حظه ولا لام نفسه على عدم طلبه لمتع الحياة الدنيا فقد كان همه أكبر من ذلك : له فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، وفى صحابة رسول الله رضوان الله عليهم قدوة طيبة . وكل مبتغاه من دنياه أن يجعل القيم الإسلامية الانسانية أصولا وأهدافا للمجتمعات الإسلامية فى أقطارها بعد تحررها من استعمارها وقيودها.

وكثيرا ما كان يثنى بالخير على العلماء المصلحين فى بلاد الإسلام. ويذكر دورهم فى إصلاح الحياة حيثما يكونون على مثال النماذج العفيفة الزاهدة فى متع الحياة ليكونوا نبراسا ونماذج طيبة للقدوة فى الإخلاص من أمثال السيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا والشيخ أبو الحسن الندوى والشيخ عبد الحميد ابن باديس والشيخ البشير الإبراهيمى وغيرهم (١) .

---

(١) عن مقال بمجلة الأزهر شوال سنة ١٤١٠ هـ — مايو سنة ١٩٩٠ م عن الدكتور محمد البهى بقلم الدكتور توفيق محمد شاهين .

ويقول عنه الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر (كان الدكتور محمد البهى يقدر الكفايات ولايجامل على حساب الحق، وكان يعطى كل ذى حق حقه وينسى الإساءة ويذكر للناس فضلهم وكفايتهم)

مولده وأصل محتده ومراحل تعليمه :

ولد الدكتور محمد البهى فى قرية اسمانية التابعة لمركز شبراخيت من أعمال محافظة البحيرة فى شهر أغسطس من عام ١٩٠٥. ولما وصل إلى مرحلة الصبا ألحقه والده بكتاب القرية فأتم حفظ القرآن الكريم وهو فى سن العاشرة .

ثم بعث به والده إلى مدينة دسوق ليتعلم تجويد القرآن فى مسجد السيد إبراهيم الدسوقى، وهناك انتسب إلى المعهد البرهامى مدة ثلاث سنوات سافر بعدها إلى مدينة طنطا للالتحاق بمعهدها الدينى لكنه لم يستقر بطنطا إلا عاما واحداً إذ صدر قرار بتحويل أبناء محافظة البحيرة وهو منهم إلى معهد الاسكندرية الدينى. وفى الإسكندرية أتم دراسته فى القسم الابتدائى ثم فى القسم الثانوى حيث حصل على الثانوية الأزهرية وكان ترتيبه الأول على طلاب الإسكندرية والثامن على جميع المعاهد (١)

---

(٢) عن مقدمة بقلم الناشر الحاج وهبة حسن وهبة صاحب ومدير مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة لكتاب حياتى فى رحاب الأزهر طالبا وأستاذا ووزيرا وهو عن حياة المرحوم الدكتور محمد البهى ؟

التحاقه بالأزهر الشريف بالقاهرة :

بعد حصوله على شهادة الثانوية الأزهرية انتقل إلى القاهرة والتحق بالقسم العالى بالأزهر،وكان نظام الحلقات والأعمدة هو القائم بالفعل أى على نظام الأزهر القديم قبل تطويره،ولكنه بعد مضى شهرين فقط من الدراسة فى القسم العالى كطالب نظامى رأى ترك الانتظام من سجل الطلاب والتقدم مباشرة للامتحان فى الشهادة العالمية فى مواد الأربع سنوات كلها آخر هذا العام الذى قدم فيه إلى القاهرة،وكان يعلم أن التقدم للامتحان على هذه الصورة فيه خطر كبير لأنه : ـ

أولا : يتطلب جهدا كبيرا للغاية فى مذاكرة مواد الدراسة فى القسم العالى وبالأخص علم أصول الفقه وعلم التوحيد وعلم المنطق بالإضافة إلى علوم البلاغة وعلمى التفسير والحديث وهى علوم عرفت بمشاكلها لأنها تحصل من كتب معينة لبعض العلماء غير العرب من المسلمين ،

ثانيا : أنه وقعت حوادث معينة فى امتحان العالمية فى العام السابق على هذا العام الذى حضر فيه من الإسكندرية وراجت الإشاعات أن مشيخة الأزهر ستضع قيودا شديدة على الامتحان بحيث لاينجح فيه إلا من هو فوق المتوسط ؛

ولما استشار والده ترك الأمر إليه ووعده بالدعاء بالتوفيق واستعداده لتحمل النفقات التى يحتاجها،وفى الوقت نفسه شجعه بأنها تجربة سوف لايخسر فيها،فتوكل على الله وتقدم بعد المذاكرة والحضور على الأساتذة المتخصصين للامتحان المشار إليه والذى استغرق وقتئذ ثمانية

عشر يوما فى المواد التحريرية والشفوية فجاز الامتحان بتفوق، وكان ترتيبه الأول على أربعمائة وثمانين طالبا من الخارج لم ينجح منهم سوى أربعة فقط (١)

التحاقه بقسم التخصص فى البلاغة والأدب :

وبعد العالمية النظامية التحق رحمه الله بقسم التخصص فى البلاغة والأدب وبعد ثلاث سنوات من الدراسة فيه حصل على درجة التخصص فى أغسطس عام ١٩٣١، وكان ترتيبه الثانى . وأما عنوان رسالته فهو (أثر الفكر الإغريقى فى الأدب العربى نثرا ونظما) .

كيف كانت بعثته إلى ألمانيا لدراسة الفلسفة ؟

رأى مجلس مديرية البحيرة تخليد ذكرى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (بوصفه واحدا من أبناء هذا الإقليم) وذلك بإرسال بعثة إلى ألمانيا لدراسة الفلسفة فوقع الاختيار على الدكتور محمد البهى بسبب كتابته فى رسالة التخصص عن أثر الفكر الإغريقى فى الأدب العربى السابق الإشارة إليها . فسافر إلى هناك فى ٢٩ من سبتمبر عام ١٩٣١ وفى مدينة برلين عكف على دراسة اللغة الألمانية فأجادها كتابة ونطقا، ثم تعلم اللغة الإنجليزية إلى جانب مافرضته الجامعة فى هامبورج على الطالب المقيد اسمه فى الفلسفة من تعلم اللغة اللاتينية واللغة اليونانية القديمة أيضا .

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر طالبا وأستاذا ووزيرا تأليف الدكتور محمد البهى صفحة ٣٢ ـ ٣٥ تنشره مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة .

حصوله على درجة الدكتوراه وعودته للقاهرة :

وفى سنة ١٩٣٦ حصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز فى الفلسفة وعلم النفس، كما حصل على دبلوم بدرجة امتياز فى اللغة الألمانية وآدابها وقد رحب به عند زيارته للقاهرة الشيخ الزنكلونى والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد عبداللطيف دراز فكرموه وأشادوا به، كما أن شيخ الأزهر فى ذلك الوقت وقد كان الشيخ محمد مصطفى المراغى لم يدخر وسعا فى تيسير متطلبات استمرار بعثته فنقل حسابها من مجلس مديرية البحيرة إلى إدارة الأزهر، وذلك حتى يستكمل الدكتور محمد البهى دراسته بألمانيا للحصول على درجة الأستاذية بعد الدكتوراه إلى أن ظهرت علامات الحرب العالمية الثانية فى سماء العالم فاضطر إلى العودة إلى أرض الوطن (١) .

عمله بالكليات الأزهرية :

١ - بعد عودته رحمه الله إلى مصر عين فى كلية أصول الدين مدرسا للفلسفة .

٢ - وانتدب فى الوقت نفسه بمكافأة إضافية مدرسا لعلم النفس بقسم تخصص التدريس فى كلية اللغة العربية .

٣ - وفى عام ١٩٥٠ نقل من كلية أصول الدين ليعمل أستاذا للفلسفة فرئيسا لقسم الدراسات الفلسفية فى كلية اللغة العربية .

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر - المرجع السابق صفحة ٤٤ ، ٤٥ .

٤ - كما أسند إليه الإشراف على مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالإدارة العامة بالأزهر .

٥ - وعندما عين الشيخ محمود شلتوت شيخا للأزهر خلفا للشيخ عبد الرحمن تاج الذى عين وزيرا فى اتحاد الجمهوريات العربية أنشئت إدارة الثقافة بالأزهر ونقل إليها الدكتور محمد البهى مديرا لها بدرجة مدير عام ،وقد لاقى مشقة كبيرة فى مباشرة أعمال هذه الإدارة وتصريف شئونها لما كانت تجمعه من إدارات مختلفة هى : إدارة المكتبة وإدارة الوعظ وإدارة البحوث والثقافة وإدارة المطبعة وإدارة مجلة الأزهر.

تطوير الأزهر وهل كان له دور فيه ؟

فى سنة ١٩٦١ كان الدكتور محمد البهى فى دمشق لحضور ندوة المجلس الأعلى للفنون والآداب لأنه كان عضوا فيه بحكم وظيفته فالتقى به الأستاذ محمد المبارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق حيث أخبره بأن هناك قانونا لتطوير الأزهر أعده السيد كمال رفعت وزير الدولة وباطلاعه على مشروعه معه بصفة خاصة تبين له أنه يستهدف نزع السلطة المالية والإدارية من شيخ الأزهر ووضعها فى يد ثلاثة من الموظفين الكبار فى الأزهر بعد أن تنشأ فيه إدارات عامة ثلاث هى : -

إدارة المعاهد الدينية وإدارة الثقافة العامة وإدارة المجلس الأعلى للأزهر.

ولما راجع الأستاذ محمد المبارك فيما يستهدفه المشروع من عدم تمكين شيخ الأزهر من الشئون المالية والإدارية .

ذكر أنه نقل إليه أن وظيفة شيخ الأزهر يجب أن يتوفر لها الاحترام

وذلك بأن يحال بين شيخ الأزهر والتصرفات المالية والإدارية المعيبة من جهة اللوائح والقوانين المعمول بها،وتنقل إلى أفراد بعده يختارهم هو فى وظائفهم ويكونون مسئولين مسئولية تامة عن تصرفاتهم،أما شيخ الأزهر فتتركز رسالته فى البحوث الإسلامية وفى الإشراف على المناهج وكل ما يتصل بالكتب والامتحانات واختيار الأساتذة.

ولما عاد إلى القاهرة نقل إلى المرحوم الشيخ محمود شلتوت وقد كان شيخا للأزهر كما قدمنا مالاحظه من تجريد شيخ الأزهر من سلطاته المالية والإدارية فى مشروع تطوير الأزهر، فكان رده عليه غير مشجع على الاستمرار معه فى هذا الحديث فضلا عن ذلك فإن أحدا لم يسأله بحكم وظيفته ولابصفته الشخصية عن رأيه فى تطوير الأزهر اللهم تكليفه من قبل شيخ الأزهر هو ووكيل الأزهر يومئذ الشيخ محمد نور الحسن لحضور جلسة المناقشة للمشروع فى مجلس الأمة وقد لاحظ أنه تمت الموافقة عليه سريعا من أعضاء المجلس لأن مرسوم فض الدورة سيتلى عقب الموافقة على القانون وهذا ماتم فعلا وصدر قانون تطوير الأزهر برقم ١٠٣ سنة ١٩٦١ (١) .

تعيينه وكيلا ثم مديرا لجامعة الأزهر :

كانت جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك قد طلبت الدكتورمحمد البهى كأستاذ باحث فيها لمدة سنة فأعد عدته للسفر هناك بعد موافقة شيخ

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ٦٦ ـ ٦٧

الأزهر على ذلك ولما لم يبق على الموعد المحدد للسفر سوى أسبوع واحد صدر قرار جمهورى بتعيينه وكيلا لجامعة الأزهر ومديرا لها بالنيابة وذلك فى سنتها الأولى بعد إنشائها تطبيقا لقانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ سنة ١٩٦١ م السابق الإلماع إليه فعمل جاهدا على تجديد الكليات التقليدية وهى أصول الدين والشريعة واللغة العربية بالإضافة إلى إنشاء الكليات العلمية والعملية بالإضافة إلى إنشاء كلية البنات الإسلامية وكلية التربية .

كما ألف اللجان المختلفة لوضع المناهج الخاصة لكل كلية واقتدى أعضاء اللجان فى الكليات الثلاث التقليدية بالمناهج الموضوعية التى جاءت فى قانون سنة ١٩٣٦ وكان يشرف على وضعها إذ ذاك المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق، فهذه المناهج جمعت بين الموضوع والكتاب الأزهرى للمادة المعينة .

أما الكليات العلمية والعملية فزيدت سنة دراسية فيها سميت بالسنة الإعدادية أو التمهيدية يتقوى فيها الطالب الحاصل على ثانوية الأزهر فى علوم الرياضة واللغة الأجنبية بينما يتقوى الحاصل على الثانوية العامة من وزارة التعليم فى العلوم العربية والعلوم الدينية .

ويقرر الدكتور محمد البهى أنه كان حريصا على بقاء هذه السنة الإعدادية أو التمهيدية وعلى جدية الدراسة فيها ، كما كان حريصا على بقاء الثانوى الأزهرى فى المعاهد الدينية أربع سنوات على الأقل بعد أن يحذف المكرر فى كتب الدراسة للعلوم العربية والشرعية وقد

قدر هذا المكرر بنحو ٤٠ - أربعين فى المائة من موضوعات هذه الكتب.

ولكى لايهرب طالب الأزهر فى الثانوى أو فى الكليات العلمية والعملية فى الجامعة الوليدة من طول المدة خطط مدير الجامعة لرعاية الطلاب بحيث يقبل الطالب على الدراسة الأزهرية فى رغبة وفى اطمئنان. لذلك قام بتحويل ريع بعض الأوقاف الخيرية - وفى مقدمتها أوقاف زينب هانم الذى كان مخصصا للحنفية بين مدرسى القاهرة - إلى صندوق الرعاية الاجتماعية لطلاب الجامعة ومن مهام ذلك الصندوق تقديم السكن لكل طالب قادم من الريف نظير مبلغ جنيه واحد فى الشهر يسهم به الطالب فى أموال الصندوق كما يتكفل الصندوق بتقديم الوجبات الثلاث فى اليوم لأولئك الطلبة الجامعيين فى نظير ثلاثة قروش للوجبة الواحدة، وبجانب تخطيط المناهج الدراسية لجميع الكليات خطط كذلك لإعداد المدرسين والأساتذة على مدى عشر سنوات حتى يكون للجامعة اكتفاء ذاتى بعد ذلك، وكان بين خطط الاعداد للمدرسين إرسال بعض البعثات الدراسية إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وقدر لها أن تبلغ مايقرب من خمسمائة بعثة .

وبالإضافة إلى ذلك فقد تم وضع أول ميزانية للجامعة الوليدة سنة ١٩٦٢ وتضمنت الكليات كلها الوظائف الجديدة أسوة بكادر الجامعات الأخرى الموجودة فى البلاد (١) .

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ٦٧ - ٧٢ :

مبرراته فى إنشاء كليات الأزهر العلمية والعملية :

يذكر الدكتور محمد البهى أن إنشاء كليات جديدة علمية وعملية بجانب كليات الأزهر التقليدية الثلاث فى جامعة الأزهر هو فرصة كبيرة لعلماء الأزهر فى أن يوجهوا أبناءهم أولا إلى المعاهد الأزهرية فيحافظوا على اتجاه آبائهم فى التعرف على الإسلام والإقبال على الإيمان به ،وفى الوقت نفسه يمكنهم أن يضموا إلى التعليم الدينى فى المعاهد الابتدائية والإعدادية والثانوية الأزهرية نوع مايختارون من تخصص فى الكليات الجديدة . وهكذا لايكون أولاد علماء الاسلام غرباء على توجيه آبائهم وبالتالى لايحرمون فى التعليم العالى من تخصصات علمية وعملية بالاضافة إلى ما تعلموه من قبل من علوم إسلامية .

كما أن إنشاء هذه الكليات الجديدة أيضا فرصة للشبان والشابات من أبناء المسلمين الذين تخلفوا عن التعليم الإسلامى بدخولهم مدارس التعليم المدنى - وهى مدارس وزارة التعليم أن يحصلوا على قسط لابأس به من الدراسة الإسلامية والدراسة العربية اللازمة مع التعليم الجامعى قبل أن يتخرجوا نهائيا من الجامعة وينهوا حياتهم التعليمية بالعمل فى وظائف الدولة .

وضرب الدكتور محمد البهى مثلا بالجامعة الكاثوليكية بمدينة مانيلا عاصمة الفليبين فبها ثلاث وعشرون كلية ومن بينها كلية واحدة للاهوت المسيحى ،ومع ذلك فالكليات الأخرى تعنى بدراسة المسيحية فى جميع سنوات الدراسة الأربع ،وطابع الأساتذة فى جميع الكليات هو

الطابع الكاثوليكى فهم آباء -أي قسس - بالزى التقليدى،ومع ذلك فمن بينهم أشهر الأطباء وكبار المهندسين والعلماء فى جميع فروع العلم فى العالم،وبالأخص فى منطقة الشرق الأقصى،وهى الجامعة التى تمول رسالة الكثلكة فى هذه المنطقة من العالم وعدد الطلاب حسب إمكانية الجامعة فى المكتبة والمعامل والأجهزة وقاعات المحاضرات وقاعات الدرس والأساتذة. ويقدر بنحو عشرة آلاف طالب.

لذلك فإنه يرى المزاوجة بين التعليم المدنى والتعليم الدينى وألا تكون هناك انعزالية بينهما فى المجتمعات الاسلامية فالاسلام ينظر إلى جميع ألوان المعرفة فى هذا الكون على أنها سبل إلى معرفة الله،وللمسلمين فى تاريخ العلوم والمعارف مايعد أمجادا لهم وفخرا للاسلام كقوة دافعة نحو العلم (١).

تقلده وزارة الأوقاف وشئون الأزهر :

فى ٢٩ من شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢ عين الدكتور محمد البهى وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر تحت مايسمى بالمجلس التنفيذى،وكان يرأسه السيد - على صبرى فلما أراد أن يعتذر عن قبول الوزارة لأن الضرورة تقضى بوجوده فى إدارة جامعة الأزهر الوليدة فترة أخرى من الزمن رفض السيد - على صبرى وأصر على ضرورة تركها دون أى توضيح منه لذلك الرفض.

وفى الوقت الذى تسلم فيه العمل وزيرا للأوقاف وجد أن أراضى

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ٧٣ - ٧٥.

الأوقاف الزراعية سلمت لهيئة الإصلاح الزراعى بالفعل،وأن تسليم الملكية العقارية للحكم المحلى فى سبيل إتمامه وذلك تطبيقاً لقانون صدر باستيلاء الدولة على أوقاف المسلمين الخيرية، على أن تتكفل الدولة بالإنفاق على الدعوة الإسلامية وشئونها فى حدود طاقاتها. والهدف من استيلاء الدولة على أوقاف المسلمين الخيرية هو ضياع معالمها مستقبلا،فإذا ضاعت هذه المعالم وطلب من الدولة آنئذ أن تزيد فى الإنفاق على الدعوة أو تستمر فى المستوى الجارى للإنفاق عليها كان لها أن تدعى أنها تنفق أكثر مما للدعوة فى إيراداتها،على أنه من جانب آخر بتمييع الأوقاف الخيرية وجعل مصادرها مبعثرة بين أملاك الدولة تسهم الدولة فى تحقيق معنى (العلمانية) وإبعاد ظل الدين عن أن يكون له أثر فى التمييز بين فرد وآخر،إذ يمكن الآن بعد استيلاء الدولة على الأوقاف الإسلامية الخيرية أن توزع دخلها على المسلمين وغيرهم دون أن يكون هناك فارق طائفى.

قانون الاستيلاء على الأوقاف الخيرية الإسلامية مكمل لمراحل بدأها الاستعمار الإنجليزى فى مصر :

فقد بدأها :

(أولا) بازدواج التعليم المدنى والدينى .

(ثانيا) ازدواج التشريع الأهلى والشرعى .

(ثالثا) إبعاد الدين عن السياسة، فالوطن للجميع والدين للديان.

(رابعا) إلغاء المحاكم الشرعية وتجميد القضاة الشرعيين .

(خامسا) تحويل التقاضى فى شئون الأسرة إلى دائرة مدنية .

والعجيب أن قانون استيلاء الدولة على أوقاف المسلمين الخيرية استثنى الأوقاف القبطية المسيحية ترضية لصوت الكنيسة القبطية (١)

الدكتور عبد الحميد باشا بدوى القاضى السابق بمحكمة العدل الدولية يبكى بمكتب الدكتور محمد البهى

فقد توجه إليه فى بداية تقلده للوزارة الدكتور عبد الحميد باشا بدوى وكان يرافقه المهندس طراف على باشا وزير المواصلات ومدير عام السكك الحديدية الأسبق وطلبا إلى الدكتور محمد البهى أن يرد الأوقاف التى حبست على الجمعية الخيرية الإسلامية إلى الجمعية إذ كان الدكتور عبد الحميد باشا بدوى يرأسها وطراف على باشا الأمين العام لها وعللا طلبهما لوزير الأوقاف بالمساواة بالجمعية الخيرية القبطية .

ولما استوضحهما الدكتور محمد البهى عن المقصود بالطلب هل هو عودة الأملاك للجمعية الخيرية الإسلامية أم زيادة الريع الذى يسلم إليها؟

أجاب الدكتور عبد الحميد باشا بدوى فى حزن عميق: أليس من حق الأكثرية أن تكون متساوية مع الأقلية هنا فى مصر ؟

ويقصد أن الحكومة رجعت فى قانون الأوقاف الخيرية عن مصادرة أوقاف الكنيسة القبطية ،ويجب كذلك تحقيقا للمساواة بين المسلمين وهم الكثرة والأقباط المسيحيين وهم القلة أن تعيد من جديد الأوقاف الخيرية الإسلامية إلى المؤسسات الإسلامية .

فرآها الدكتور محمد البهى فرصة متاحة لرد أوقاف المسلمين

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ٨٠ — ٨١ .

الخيرية لذلك أسرع بنقل هذه الرغبة إلى السيد – على صبرى رئيس المجلس التنفيذى – أى رئيس مجلس الوزراء فى ذلك الوقت – فانفعل انفعالا شديدا وقال : لايمكن أن ترد الأوقاف الاسلامية من جديد ، والرئيس يمنع ذلك منعا باتا (ويقصد بقوله والرئيس يمنع ذلك إلخ... أن الرئيس جمال عبد الناصر منع أن ترد الأوقاف الاسلامية الخيرية إلى وزارة الأوقاف) .

واستطرد السيد – على صبرى يقول للدكتور محمد البهى : فإن كانوا يريدون زيادة فى الريع فأعطهم حسب الإمكانيات الموجودة .

وعندما عاد الدكتور عبد الحميد باشا بدوى والمهندس طراف على باشا إلى الدكتور محمد البهى مرة ثانية حسب تواعدهم فى الأسبوع السابق على ذلك بكى الدكتور عبد الحميد باشا بدوى على أحوال المسلمين ببلادهم عندما سمع رأى رجال الحكم وتعنتهم فى عدم رد أوقاف المسلمين الخيرية ، وانصرف هو والمهندس طراف باشا على وهما فى غاية الضيق والحزن. ومما لاحظه الدكتور محمد البهى أيضا عند تسليم عقارات الأوقاف إلى الحكم المحلى الكثير من الحوادث المفجعة التى تدل مع الأسف الشديد على الانتهازية واستباحة أموال المسلمين من بعض رجال الحكم المحلى فى ذلك الزمان (١) .

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ٨٠ ، ٨٢

عمله على تسجيل حجج الأوقاف التى استولى عليها نظام الحكم فى ذلك الوقت:

أراد الدكتور محمد البهى أن لاتضيع هذه الأوقاف وتضيع معالم ملكيتها المحبوسة على خير المسلمين لعلّ الوزارة تسترجعها عندما يتغير نظام الحكم يوما ما فأمر بالتوسع فى تسجيل حجج الأوقاف وتصويرها وتلخيص مضمونها فى سجلات تعد وتطبع، وعين أربعين من متخرجى كلية الشريعة بالأزهر للمساعدة فى إنجاز هذه الرسالة وفعلا سار العمل فيها بدفعة قوية وأنجز عددا كبيرا من الحجج .

ولكن ما أن أخرج من الوزارة حتى عاد الركود من جديد إلى قسم تسجيل الحجج ووزع الموظفون فيه على إدارات أخرى بتلك الوزارة.

أسباب إبعاده عن جامعة الأزهر ثم إبعاده عن وزارة الأوقاف :

فى سنة ١٩٦٩ أسر إليه بعض من كانوا على صلة بالرياسة العليا إذ ذاك أن سبب نقله من جامعة الأزهر إلى الوزارة كان الحيلولة بينه وبين النشاط فى وظيفة رئيس الجامعة ، فما ظهر منه من نشاط هناك حرك المسئولين على تعويقه إفساحا لمجال الاشتراكية الماركسية التى بدرت بوادرها فى قوانين يوليو سنة ١٩٦١ بإلغاء الملكية الخاصة وتحويل الاقتصاد إلى ملكية الدولة، والتى وعد رجال الحكم فى مصر يومئذ رجال الحكم فى الاتحاد السوفيتى أن يساندوهم مساندة تامة بتطبيق العلمانية فى قطاعات أخرى بعد إلغاء المحاكم الشرعية، كذلك فإن إبعاده عن وزارة الأوقاف بعد ذلك كان استجابة لأصحاب الشورى فى تطبيق الماركسية فى الوطن العربى ومصر فى المقدمة، وحتى مشروعاته فى وزارة الأوقاف تم إلغاؤها والقضاء عليها بعد خروجه من الوزارة ومنها : —

١ - مشروعه الخاص بدار القرآن، فقد ألغى وهدم مسجد أولاد عنان ليقام مسجد الفتح بدلا منها بعد اعتماد مليون وربع المليون من الجنيهات من بقايا حسابات الأوقاف فى عشر سنوات مضت .

٢ - إلغاء مشروعه عن مساكن الأئمة وبالأخص فى الوجه القبلى .

٣ - إلغاء مشروعه بضم أئمة المساجد إلى مدرسى الأزهر فى كادر واحد وتعيين شيخ المعهد الدينى الثانوى بالمحافظة مديرا للدعوة بالمحافظة كما هو مشرف على معاهدها .

٤ - ومشروعات أخرى عديدة لو نفذت لكان علماء الأزهر أصحاب ريادة حقا منها :

١ - رسالة الدعوة فى المساجد .

٢ - رسالة الأزهر فى المعاهد الدينية .

٣ - رسالة جامعة الأزهر .

٤ - رسالة الدعوة فى الخارج .

وحتى تصبح المساجد دور عبادة ولقاء للمسلمين، لقاء يزيد فى إيمان قلوبهم لابد من العناية بالإمام فى شأنه الوظيفى وفى رعايته الاجتماعية وزيادة مرتباتهم ووضع نظام لتنظيف المساجد وصيانة منافعها وتوفير فرشها وجعل صناديق النذور فى المساجد الكبرى مصدر تمويل لفرش جميع المساجد الأخرى التى تقع فى محيط المسجد الكبير مع إحكام الرقابة على صناديق النذور المشار إليها .

وقد رأى أن تقسم المساجد إلى ثلاثة مستويات يخصص لكل

مستوى منها خطباء للجمعة يرتفعون إلى المستوى المعين لها .

كما خطط أن ينشأ فى كل قرية من قرى الجمهورية جمعية لتحفيظ القرآن الكريم تكون بمثابة معهد ابتدائى يشرف عليها إمام المسجد بمكافأة إضافية ، وأن ينشأ أيضا معهد إعدادى فى عاصمة كل مركز على أن يكون فى مقر عاصمة المحافظة معهد ثانوى واحد تنصهر فيه الفروق بين المتخرجين فى المعاهد الاعدادية فى المحافظة ،وعلى أن تكون فيه الإقامة مجانية وأن توجه عناية خاصة للقسم العلمى فى المعاهد الثانوية على أن تخصص مبالغ كبيرة لإنشاء المكتبات ولشراء الكتب التى يحتاجها هذا القسم لجميع الطلاب المنتسبين فيه (١)

إعادة تعيينه مديرا لجامعة الأزهر مرة أخرى :

فى الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٦٤ صدرت القرارات الجمهورية بالتعديل الوزارى وبتحديد وظائف جديدة للوزراء الذين أخرجوا فى هذا التعديل ،وكان الدكتور محمد البهى من بينهم فعين مديرا لجامعة الأزهر للمرة الثانية .

وبعد هذا التعديل الوزارى افتتح رئيس الجمهورية الأسبق مجلس الأمة وأعلن عن التحول العظيم فى الاشتراكية ،وكانت بداية هذا التحول إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وتحويلها إلى ملكية عامة فيما يسمى (قوانين يوليو المجيدة) فى سنة ١٩٦١ .

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤، ٨٥

وكان هنا في مصر إعداد للتحول نحو الاتحاد السوفيتي في النظام الاشتراكي الماركسي والتقرب من سياسة الكتلة الشرقية الشيوعية. ومن مظاهره :

١ - انتخاب مجلس أمة جديد من صنع الاتحاد الاشتراكي .

٢ - الافراج عن المعتقلين الشيوعيين وتمكينهم من وسائل الإعلام في وظائف قيادية .

٣ - تجميد النشاط الإسلامي في الأزهر وفي وزارة الأوقاف .

وقد كان ذلك كله تمهيدا لزيارة خروشوف قطب الاتحاد السوفيتي وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي هناك لمصر والتي تمت في شهر إبريل سنة ١٩٦٤ م (١) .

المشير عبد الحكيم عامر هو الذي حمل رسالة التقريب من موسكو إلى القاهرة :

فعلى أثر زيارته لموسكو في فبراير سنة ١٩٦٤ حمل منها تلك الرسالة التي تضمنت بنودا عديدة منها : -

أولا : الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين .

ثانيا : تمكينهم من وظائف الإعلام.

ثالثا : تجميد النشاط الإسلامي تمهيدا للمد الثوري الاشتراكي في أفريقيا وآسيا. وكان معنى التجميد وقف كل مشروع إسلامي خططته وزارة الأوقاف وشئون الأزهر ، يستهدف تجلية الفكر الإسلامي أو تجميع المسلمين على المبادىء الإسلامية الصافية.

(١) المرجع السابق ص ١١٩، ١٢٠ .

رابعا : شل حركة الدكتور محمد البهى بوصفه وزيرا للأوقاف والذى عرف بخصومته للفكر الماركسى فى أقوى كتاب صدر له وهو الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (١) .

استقالته من جامعة الأزهر :

بعد التشكيل الوزارى السابق الإشارة إليه وإبعاد الدكتور محمد البهى عن وزارة الأوقاف بتعيينه رئيسا لجامعة الأزهر آثر الاستقالة ولكن طلب إليه : —

أولا : أن يستمر فى القيام بشغل وظيفة مدير جامعة الأزهر .

ثانيا : ألا يعلم أحدا باستقالته منها إثر تولى المهندس أحمد عبده الشرباصى وزارة الأوقاف وشئون الأزهر .

ثالثا : أن ينتظر بعد تقديم الاستقالة شاغلا للوظيفة التى استقال منها حتى تتصل به رياسة الجمهورية أو يتصل به رئيس المجلس التنفيذى (٢) .

الوظائف التى عرضت عليه بعد استقالته من جامعة الأزهر ثم بعد إحالته للمعاش :

بعد أسبوع واحد من تاريخ تقديم استقالته من جامعة الأزهر عرض عليه أن يكون مديرا لجامعة الإسكندرية لكنه اعتذر عنها فعرض عليه أن يكون سفيرا فى دولة كندا فاعتذر أيضا بأنه شيخ من شيوخ الأزهر ولايستطيع أن يجامل السفراء مع زوجته فى حفلاتهم وهى حفلات رقص

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٢٠ .
(٢) المرجع السابق صفحة ١٢٢ .

وشرب ، كما لا يستطيع أن يوقع لموظفي السفارة على كشوف الإعفاءات من الجمارك عن مشترياتهم من الميناء الحرة ومشترياتهم فى الغالب خمور وسجاير ومواد غذائية مختلفة قد يكون بينها المحرم شرعا .

وأخيرا عرض عليه أن يكون أستاذا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة بدرجة وزير فقبلها إذ كانت نفسه تميل إلى الأستاذية أكثر من أية وظيفة أخرى،وفى الكلية المذكورة ألقى محاضراته عن الفكر الإسلامى المعاصر ومشكلة الحكم على طلبة الليسانس وكان صريحا فى تعبيره عن رأى الإسلام فى النظامين الرأسمالى والاشتراكي الماركسى.

وفى الثالث من أغسطس سنة ١٩٦٥ بلغ الأستاذ الدكتور محمد البهى سن التقاعد إذ وصل إلى سن الستين وبُلِّغ بإحالته إلى المعاش حسب قانون الجامعات فاعتكف فى منزله فعرض عليه رجال الحكم إضافة خمس سنوات أخرى فى عمر الوظيفة لكنه اعتذر عن قبول العرض،كما عرض عليه أن يكون عضوا متفرغا فى مجمع البحوث الاسلامية ،ولكنه أصر على الاعتذار وسوّى معاشه على ذلك وكان يساوى نصف ماكان يتقاضاه من مرتبات .

عمله على كشف الأفكار المضادة للإسلام فى كل مؤلفاته :

كان رحمه الله على دراية بأساليب الغرب المسيحى الصليبى والعلمانى عارفا بفكر الشرق الشيوعى الإلحادى،ولهذا تصدى لتلك الكتابات الدخيلة على الفكر الاسلامى بعرضها أولا ثم بكشف زيفها وخداعها البراق،وفى نهاية المطاف يطرح الحل الإسلامى الأصيل. ذلك دأبه فى

جميع مؤلفاته التى تنبض بروح الاسلام وقيمه (١) .

ومن أمثلة ذلك ماشاهده بنفسه عندما كلف بتدريس الحركات الإسلامية المعاصرة فى معهد الدراسات الإسلامية الملحق بكلية اللاهوت بجامعة ماكجيل فى مدينة مونتريال بكندا فى العام الدراسى ١٩٥٥ — ١٩٥٦م فلقد أشفق على نفسه فى ذلك العام من أن يموت حزنا على مايباشره المستشرقون ضد الإسلام فى الغرب والشرق على السواء : —

(أولا) فما يسمى معهد الدراسات الإسلامية بمونتريال عبارة عن مسرح تمثل عليه على حد زعمهم خرافة الإسلام وتناقضات المبادىء فى القرآن، واللاإنسانية واللاحضارة للمجتمع الاسلامى.

(ثانيا) ويجلب الطلبة من البلاد الاسلامية ويختارون من أصحاب النفوذ فى المستقبل من الفرق الصوفية المنتشرة والأسر العريقة فى الإسلام والإيمان به.

(ثالثا) كما يدعى المدرسون والأساتذة وهم ثلاثة أنواع : —

(ا) نوع من الإنجليز أو الأمريكان ممن يثيرون الشبه ضد الإسلام وبعضهم يكون قد عاش فى الشرق الأوسط فترة طويلة من الزمن يعمل فى الاستخبارات الأمريكية أو البريطانية .

٢ — ونوع من المسلمين ضعاف الشخصية تستهويهم الاقامة فى الحياة الأمريكية وهى حياة مملوءة بالإغراءات المادية.

---

(١) عن مقدمة بقلم الناشر الحاج وهبة حسن وهبة صاحب ومدير مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة . لكتاب حياتى فى رحاب الأزهر للدكتور محمد البهى :

٣ – ونوع آخر من المسلمين عرف بشخصيته القوية ويراد له عن طريق مثل هذه الدعوات أن يتعاطف يوما مع مايكتبه المستشرقون أو على الأقل لايحذر من الاستشراق ولايتعرض لإضعافه .

* فكان هناك تركى مسلم اسما أسند إليه مايسمى بعلم الاجتماع الإسلامى وكان هذا العلم يدرس فى كتاب ألفه يهودى نمساوى هاجر إلى أمريكا أيام حكم هتلر لألمانيا وهو (جرونى بوم) وكان أستاذاً لمايسمى علم الاجتماع الإسلامى فى جامعة شيكاغو ثم فى جامعه كاليفورنيا . وهو فى كتابته ينكر على الإسلام أن يكون صاحب اتجاه حضارى فى تكوين الأمة وفى المجتمع .

* وكان هناك باكستانى يقوم بتدرس مايزعمونه من تناقض فى آيات القرآن الكريم . وكان تلميذاً (لآربرى) المستشرق الإنجليزى ، وهذا الباكستانى تنصر هو وزوجته وابنتاه وعلى أثر تنصره كتب معه عقد طويل الأمد للعمل مع منصر أمريكى اسمه (كراك) فى مدينة (استان فورد) وهو المشرف على مجلة (العالم الإسلامى) التى كان يصدرها المنصر (زويمر) فى الثلاثينات ضد الإسلام والمسلمين والعالم الإسلامى .

* وطريقة الدراسة كانت قاعات البحث يلقى الأستاذ مجملا للبحث ثم تطرح الشكوك والشبهات من قبل الطلاب والطالبات الأمريكيات ،وقد اختيروا خصيصاً كطرف فى مواجهة الطلاب المسلمين .

* وبجانب هذا التركى وذاك الباكستانى كان يوجد عميل المخابرات الإنجليزية سابقاً فى بغداد وهو على إلمام ببعض الكلمات العربية، ويقوم بتدريس التاريخ الإسلامى على أساس قلب الحقائق كلها .

وهكذا كانت تشهد قاعة البحث الطلاب المسلمين والمسيحيين معاً، وجميع من يسمون بالمدرسين والأساتذة، ومع الجميع مدير المعهد وقد كان قسيساً تخرج على عدو الإسلام المارونى اللبنانى (فيليب حتى) فى جامعة برستن قبل أن يختار مديراً لمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجيل بكندا .

* أما الإنفاق على ذلك المعهد وتلك الدراسات فكانت تقوم به مؤسسة روكفلرفى نيويورك مما هو موقوف على مايسمى بالدراسات الإنسانية (١) .

العمل على إظهار شخصية المسلم فى تلك البلاد :

وفى تلك البيئة المظلمة المعادية للإسلام اجتمع الدكتور محمد البهى بالطلاب المسلمين، واتفق معهم على إقامة صلاة الجمعة فى قاعة من قاعات المعهد، وجعلهم يواظبون على إقامتها ، ثم تكونت من الطلاب جمعية اتصلت بالمسلمين المقيمين فى مدينة مونتريال، وفى يوم عيد الفطر دعت الجمعية جميع المسلمين هناك إلى صلاة العيد

---

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر للدكتور محمد البهى المرجع السابق صفحة ١٢٧ وما بعدها .

فى منزل اللواء عبد الحميد سليمان وكان ممثلا لمصر فى منظمة الطيران المدنى .

وكانت له زوجة فاضلة قدوة حسنة للمرأة المسلمة التى تعيش فى الخارج فى تحديها للعادات السيئة التى تمارس فى الحياة الأمريكية ، وقد ألقى خطبة العيد الشاب المسلم الدكتور هشام نشابه وقد عمل بعد ذلك مديراً للتعليم بالمقاصد الإسلامية ببيروت .

نقده للأسلوب المشوه من جانب ذلك المعهد الأمريكى فى دراساته عن الإسلام :

عزم الدكتور محمد البهى رحمه الله على كتابة دراسة نقدية يكشف فيها عن سيئات الاستعمار من أى لون فى تخفيه الكاذب وراء العلم والمنهج العلمى لمحاربة الإسلام ،وخصوصاً بعد أن رأى بعينه فى كندا واحدة من أبشع التجارب ضده ولكنها كانت مغلفة بغلاف عصرى ، وهو غلاف البحث العلمى : طلاب مسلمون يختارون لدراسة الإسلام فى أمريكا ويغرر بهم حتى يقدم لهم الاسلام كما يريد أعداؤه ،ولكن من أفواه من ينتسبون إلى الإسلام ، فالمجموعة المختارة من الطلاب الدارسين هناك محاصرة بنوعية مايقدم لهم من أباطيل باسم العلم عن الإسلام ، وبالتشكيكات التى يثيرها الطلاب المسيحيون معهم ، وبنوعية خاصة من المتهافتين على الحياة الأمريكية وضعاف النفوس ممن ينسبون إلى المجتمعات الإسلامية ليكونوا مدرسين لهم من كتب هى من تأليف أعداء الإسلام ومحاربيه .

وفعلا نفذ هذه الدراسة النقدية قبل أن يغادر مدينة مونتريال

إلى القاهرة وترجمها إلى اللغة الإنجليزية وأودعها مكتبة المعهد ثم قامت المكتبة كما هى العادة بإرسال نسخ إلى أقسام الدراسات المماثلة فى الجامعات الأمريكية، وعندما اطلع مدير المعهد على تلك الدراسة النقدية لطريقة تدريس الإسلام فى معهده غضب غضباً شديداً ولم يتصل به منذ ذلك الوقت، وعندما ظهر كتابه موضوع تلك الدراسة النقدية باسم الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى فى القاهرة أعفى ذلك المدير من مباشرة إدارة المعهد وعين خلف له .

ثم أخذت السفارة الأمريكية فى القاهرة تسعى إلى حذف ماجاء فيه خاصاً بالمستشرقين والمبشرين لذلك اتصلت به السفارة المشار إليها عن طريق المستشار الثقافى فى سنة ١٩٦٢ وأبلغته أن مجلس التعليم الأمريكى قد اختار كتاب (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) ضمن الكتب التى اختيرت لترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، فأجابه بأنه يرحب بذلك،ولكن المستشار الثقافى استدرك وقال : إن المجلس سيدفع مبلغ ستة آلاف دولار حق الترجمة فى حال واحدة وهى أن تحذف الفصول الخاصة بالمستشرقين والمبشرين فيه،فرد عليه بأن الكتاب كتاب رأى وليس عملا تجارياً ، فإن كانت فيه أخطاء علمية فإنه على استعداد لتلافيها فى طبعة قادمة وإثبات الصحيح بدلا منها .

وبالطبع لم يتم اتفاق لأن المقصود كان إظهار المؤلف بمظهر

الضعف عندما يصدر كتابه باللغة الإنجليزيه يقول شيئاً يناقض ما سبق أن ذكره باللغة العربية(١) .

وفى شهر يناير سنة ١٩٦٦ نقل إليه تلميذه الدكتور توفيق شاهين،أنه علم أن كتاب الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى رصت حروفه بمطبعة مصر ثم جمد لأن الأستاذ محمود العالم وهو أحد أعلام الشيوعيين فى مصر تولى إدارة هيئة الكتاب التى ضمت فيما ضمت إليها الدار القومية التى تعاقد معها الدكتور محمد البهى لطبع الكتاب،وأبلغه رسالة شفوية تفيد أنه على استعداد لزيادة المبلغ المتعاقد عليه من ألف ومئتى جنيه مصرى إلى ألفين من الجنيهات،ولكن على شرط أن تحذف من الكتاب الفصول الخاصة بالشيوعية ،وعندئذ طلب من الدكتور توفيق شاهين أن يبلغ الأستاذ محمود العالم بنص ماذكره للمستشار الثقافى الأمريكى يوم عرض عليه اختيار الكتاب للترجمة إلى اللغة الإنجليزية فى سنة ١٩٦٢ .

وكان رد علم الشيوعية المشار إليه أن أوحى إلى أحد موظفيه فى وزارة الثقافة بكتابة تقرير ضد الكتاب لأنه تضمن كثيراً من الأفكار الإسلامية على رأسها أن الإسلام دين ودولة. وكان من من نتيجة ذلك عدم تنفيذ التعاقد بطبع هذا الكتاب فى مصر وبقى تحت الرقابة دون طبع حتى اتفق على طبعه فى بيروت سنة ١٩٦٩ على الوجه السليم دون حذف أى فصول منه (٢).

(١، ٢) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٣٨

تكليفه بإلقاء محاضرة عن الإسلام والاشتراكية :

يذكر الدكتور محمد البهى أنه خلال سنة ١٩٦٦ بعد تركه لوزارة الأوقاف اتصل به السيد سامى شرف وقد كان يشرف على معهد الدراسات الاشتراكية فى نادى الشمس، وطلب منه أن يلقى محاضرة عن الإسلام والاشتراكية ،فذهب فى الموعد المحدد وكان ذلك بعد الإفطار فى رمضان وفى المحاضرة أبرز التضاد والتحدى بينهما .

ومنذ ذلك المساء لم يتصل به أحد من ناشر لكتاب أو من عارض لبرنامج دينى فى الإذاعة أو فى التليفزيون أو من صحفى فى صحيفة يومية أو أسبوعية يطلب حديثاً أومقالا. كما انقطع عن حضور جلسات مجمع البحوث الإسلامية وفى هذه العزلة تفرغ لتأليف الكتب والرسائل التى عرض فيها الإسلام فى مواجهة التحديات الإيدلوجية الماركسية والمنطقية الوضعية (١) .

دوره فى كشف مخططات القسيس جورج قنوانى ضد الإسلام :

يذكر الدكتور محمد البهى أنه خلال إشرافه على مراقبة الثقافة الإسلامية بالإدارة العامة للأزهر خلال مشيخة الشيخ مأمون الشناوى فى وزارة إبراهيم عبد الهادى قبل حركة ضباط الجيش سنة ١٩٥٢ فقد حول إليه شيخ الأزهر مكتوباً من الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى يوصى فيه أن يباشر الأزهر على نفقته الخاصة ترجمة كتاب فى علم الكلام الإسلامى باللغة الفرنسية للأب قنواتى قام

---

(٢) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٣٨

بإلقائه محاضرات فى جامعة مونتريال بكندا ولم يزل يحاضر فى مادته كل عام هناك بدعوة من هذه الجامعة وهى جامعة كاثوليكية فرنسية .

وفى ذات الوقت ورد كتاب من وزارة الخارجية المصرية إلى إدارة الثقافة بالأزهر يبلغها أن اجتماعا تم فى السفارة المصرية بالفاتيكان بروما لسفراء البلاد الإسلامية بعد أن اطلعوا على كتاب الأب قنواتى باللغة الفرنسية عن علم الكلام الإسلامى ، وقد قرروا معرفة رأى الأزهر فى الأخطاء الإسلامية التى وردت فيه ومحاولة تغطيتها من جانب المؤلف .

والمؤلف معروف فى مصر بنشاطه ضد الإسلام فى صورة متخفية وبالأخص بين طبقة المثقفين كما هو معروف بمكره السياسى وكان يريد بلوغ مأربه فى إقامة جمعية للتقريب بين الإسلام والمسيحية وقد أفلح :

١ - فى إرسال المرحوم الاستاذ محمود الخضيرى مدرس الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة فى سنة ١٩٤٩ ممثلا للأزهر فى مكتبة الفاتيكان ، للتعرف على المخطوطات الإسلامية والعربية .

٢ - ومن قدوم وفد برياسة مندوب الخارجية بالفاتيكان لزيارة شيخ الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية فى سنة ١٩٧٨ بحجة التقريب بين الإسلام والمسيحية .

وهو نشاط مريب لأن الأمر فى اعتداء المستشرقين واضح (وهم جميعاً من رجال الكنيسة فيما مضى أو من الدارسين للاهوت المسيحى فى تعصب) - على الإسلام فى تشويه مبادئه وتحريف أهداف

الأحداث التى وقعت فى طريق انتشاره ، فإذا كان هناك عزم من الكنيسة على التقريب بين المسلمين والمسيحيين حقاً فما عليها إلا أن تصدر أمراً لرجالها الباحثين باسم العلم والمعرفة بأن يتوقفوا عن إشاعة الاتهامات الباطلة فى دراساتهم ضد الإسلام .

ولكن القصد من إشاعة مايسمى بالتقريب بين المسيحية والإسلام هو دفع المسلمين إلى إضفاء الحجية على مسيحية الكنيسة وقبولها عندهم كدين سماوى مع أن الله فَصَلَ فى قرآنه بين رسالة المسيح عيسى بن مريم ومسيحية الكنيسة ،فيسأل الله المسيح فى إنكار فى قوله تعالى : (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب * ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (١) .

وطبقاً للإجراء المعهود فى إدارة الثقافه بالأزهر إزاء مثل هذا الكتاب الذى ألفه الأب قنواتى أن تبعث به إلى خبير باللغة الفرنسية والإسلام معاً لتقرير أخطائه إن كانت به أخطاء أو مدى صلاحيته للتداول ولنشر الفكرة الإسلامية إن كان قد قصد به وجه الله ،وفعلا أرسل نسخة منه مع طلب سفراء الدول الإسلامية فى الفاتيكان إلى

(١) سورة المائدة ١١٦ — ١١٨ .

الدكتور خليل مدكور وهو أستاذ متدين ويجيد الفرنسية إلى حد كبير. وذلك للاطلاع على الكتاب وإعداد تقرير عنه، فأعد التقرير المطلوب، وباطلاع الدكتور محمد البهى عليه : —

١ — هاله موقف الدكتور محمد يوسف موسى فى طلبه من الأزهر مباشرة ترجمته على نفقته الخاصة .

٢ — إذ أن الكتاب ملىء بالأخطاء الجسيمه ضد الإسلام :

لذلك كتب الدكتور محمد البهى إلى الخارجية المصرية مؤيدا رفضه للكتاب المشار إليه (١) .

رأيه فى كتاب معالم على الطريق للمرحوم سيد قطب :

يحكى الدكتور محمد البهى أنه بعد أن أبعد عن وزارة الأوقاف طلب اللقاء معه المشير عبد الحكيم عامر فسأله عن رأيه فى كتاب معالم على الطريق الذى ألفه المرحوم سيد قطب، فأدرك مدى كراهيته للإخوان المسلمين وللمرحوم سيد قطب بالخصوص، وقد أجابه عن تقييمه للكتاب المشار إليه بأنه كان يتمنى أنه هو الذى كتبه. وهنا هاج عبد الحكيم عامر ووقف من جلوس وقال: كيف تقول ذلك والصحافة كلها نددت به ؟

فقال له الدكتور البهى : إن مافى هذا الكتاب هو رأى القرآن فيما أرى وما تقول به الصحافة عنه شىء سياسى لادخل له إطلاقا فى تقييمه(٢) .

(١) كتاب حياتى فى رحاب الأزهر المرجع السابق صفحة ٥٥ — ٥٨ :
(٢) المرجع السابق صفحة ١٣٣ .

تغطيته لتاريخ الفكر الإسلامى فى كتاباته وكتبه التى قام بتأليفها :

فقد قام بتغطية لتاريخ الفكر الإسلامى بكتاباته وكتبه منذ نشأته حتى وقتنا المعاصر،وبين أثر الإسلام وقيمته فى توجيه الحياة والناس،كما كشف عن زيف الفكر الإغريقى الوثنى وتهافت الفكر المادى التاريخى وإلحاد الماديين .

١ — ففى أول كتبه (الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى) الذى ألفه سنة ١٩٤٥ وضح وثنية التفكير الإغريقى وعظمة التفكير الإسلامى فى الجانب الإلهى وبالتالى وضح الإضافات البناءة من علماء الإسلام ومفكريه إلى الرصيد الإنسانى فى الحضارة . وبين أن مفكرى الإسلام لهم عقلية تواكب عقلية غيرهم من العباقرة والمفكرين وأنهم لم يكونوا عالة على غيرهم كما لم يكونوا نقلة بريد وإنما لهم استقلالهم وإبداعهم فى الرأى والفكر .

والذى جاء فى هذا الكتاب يغطى حقبة طويلة تمتد حتى مشارف القرن السادس الهجرى . ثم كتب عن السهروردى أو عن عالمية الثقافة فى القرن السادس الهجرى .

٢ — ثم كتب كتابه الرائع (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) والذى كان يعرف به فى المؤتمرات العلمية والرحلات كأنه صار علماً عليه،وقد أشرنا إليه فيما سبق وخصوصاً عن الأسباب التى دعته إلى تأليفه عندما كان مكلفا بتدريس الحركات الإسلامية

المعاصرة بجامعة ماكجيل فى مدينة مونتريال بكندا. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية والتركية والأردية واللغة الأندونيسية(١)

وفى العصر الذى نحياه عصر التكنولوجيا الحديثة ومنجزاتها الهائلة واجه الإسلام تحديات عاتية من المادية والإلحاد حتى اهتزت أمامها القيم الروحية. وهنا توالت كتب الدكتور محمد البهى وكتاباته تلاحق هذا الطوفان وتبين زيف الباطل، وتكشف عن جمال الحق وتعيد للإسلام أصالته واعتباره وضرورة توجيهه للحياة الفاضلة بمستواها الإنسانى الرفيع(٢) وهذه الكتب هى : -

٣ - الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر - مشكلات الحكم والتوجيه.

٤ - الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر - مشكلات الأسرة والتكافل.

٥ - الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم .

٦ - الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة .

٧ - تهافت الفكر المادى التاريخى بين النظرية والتطبيق .

٨ - غيوم تحجب الإسلام .

٩ - الإسلام فى الواقع الأيديولوجى المعاصر .

١٠ - طبقية المجتمع الأوربى وانعكاس آثارها على المجتمع الإسلامى المعاصر :

---

(١) عن تقديم الطبعة الثالثة لكتاب الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى : الطبعة التاسعة رمضان سنة ١٤٠١ هـ - يوليو سنة ١٩٨١ م

(٢) عن مقال بمجلة الأزهر شوال سنة ١٤١٠ هـ - مايو سنة ١٩٩٠ م المرجع السابق للدكتور توفيق محمد شاهين :

١١ - الفكر الإسلامى فى تطوره .

١٢ - الإسلام فى حياة المسلم .

١٣ - رأى الدين بين السائل والمجيب فى كل مايهم المسلم المعاصر (جزآن معاً)

١٤ - رأى الدين بين السائل والمجيب فى كل مايهم المسلم المعاصر الجزء الثالث .

١٥ - رأى الدين بين السائل والمجيب فى كل مايهم المسلم المعاصر الجزء الرابع .

١٦ - نحو القرآن .

١٧ - القرآن والمجتمع .

١٨ - منهج القرآن فى تطوير المجتمع .

١٩ - المجتمع الحضارى وتحدياته من توجيه القرآن الكريم.

٢٠ - القرآن الكريم يقول .

٢١ - من مفاهيم القرآن فى العقيدة والسلوك .

٢٢ - خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر .

٢٣ - حياتى فى رحاب الأزهر طالبا وأستاذ ووزيرا .

كما ألف الرسائل الصغيرة الآتية :

١ - القرآن فى مواجهة المادية .

٢ - هيمنة القرآن .

٣ - الاسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة .

٤ – الإسلام والإدارة – الحكومة .

٥ – الإسلام والاقتصاد .

٦ – مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة والفراغ من الإسلام.

٧ – عقبات فى طريق الإسلام فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة .

٨ – الإسلام دعوة ... وليس ثورة .

٩ – من أداء الواجبات . تبتدئ سياسة الحكم فى الإسلام .

١٠ – الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة .

١١ – مفاهيم يجب الوقوف عندها فى لغة اليسار العربى .

١٢ – الإخاء الدينى ومجمع الأديان وموقف الإسلام .

١٣ – العلمانية وتطبيقها فى الإسلام .

١٤ – مستقبل الإسلام والقرن الخامس عشر الهجرى .

١٥ – الإسلام والرق .

١٦ – التفرقة العنصرية والإسلام .

١٧ – التربية فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة .

١٨ – الشباب بين التطرف فى الإيمان ... والشك فى الله .

١٩ – الاسلام كنظام للحياة .

٢٠ – مشكلة الألوهية بين ابن سينا والمتكلمين .

٢١ – الفارابى ... الموفق والشارح .

٢٢ – الغزالى – فلسفته الأخلاقية والصوفية (١) .

---

(١) ملحق بمؤلفات الأستاذ الدكتور محمد البهى، مرفق بنهاية كتاب حياتى فى رحاب الأزهر .

اتجاهه إلى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم :

للدكتور محمد البهى منهجه فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم. قدم به رؤية جديدة لآياته المعجزة عنى فيها بتصحيح المفاهيم والأفكار والسلوكيات العامة والخاصة من منطلق الفهم الصحيح لكتاب الله. فلم يحرص رحمه الله فى تفسيره على ترتيب السور فى المصحف الشريف . بل بدأ :—

أولا — بالسور المكية من منطلق أن القرآن المكى يمثل عقيدة الإسلام. والعقيدة هى الأساس فى بناء أى مجتمع فإذا كان الاساس قويا راسخاً ارتفع البناء شامخاً متيناً . ولما كان التوحيد هو أساس دعوة القرآن فقد تصدى له مجتمع الجاهلية المادى بعد أن ادرك أن الدعوة إلى توحيد الألوهية تعنى الدعوة إلى المساواه التامة بين البشر جميعا . فهم جميعا أمام (لا إله إلا الله) عبيد لإله واحد لا تمايز بينهم بسبب أوضاع طبقية أو عنصرية أو مادية أو اجتماعية .

والمجتمع المادى يحرص دائماً على تفاوت الطبقات فيه. ويكتسب وجوده من العصبية العائلية والمراكز الاجتماعية المتميزة التى تسيطر على مصائر الناس. ووسيلتها فى ذلك اكتناز المال وتكديسه ، هذا المجتمع الجاهلى مهما اختلفت الأسماء والمسميات فى كل زمان ومكان وإلى أن يرث الله الارض ومن عليها إنما يتصدى دائما لوحدة الألوهية من منطلق مصلحته المادية وحدها .

ومن هنا احتفظ الدكتور محمد البهى فى منهجه التفسيرى للقرآن بتقسيمه إلى مكى ومدنى وجعل عنوان القرآن المكى فى تفسيره — القرآن فى مواجهة المادية .

ثانيا — السور المدنية : وقد رأى أن تكون على قسمين :

القسم الأول — القرآن فى بناء المجتمع .

القسم الثانى — القرآن فى تنظيم المجتمع .

فالمجتمع المدنى (بعد القضاء على المجتمع المادى الجاهلى) كان فى حاجة الى أسس جديدة لبنائه وتنظيمه ،ومن هنا جاء القرآن الكريم فى عهده المدنى منصبا على هاتين الناحيتين. وكانت النية معقودة بعد الانتهاء من تفسير القرآن كله بأقسامه الثلاثة :.

القرآن فى مواجهة المادية — القرآن فى بناء المجتمع — القرآن فى تنظيم المجتمع .

أن يطبع التفسير كله فى مجلد واحد بعد إعادة ترتيبه حسب المصحف الشريف. ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن يوافيه الأجل قبل إتمام مشرعه .

وفاته :

وفى يوم الجمعة ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤٠٢هـ الموافق ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٢م أغمض الدكتور محمد البهى عينيه ،وانتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد أن عاش وجاهد فى سبيل المثل العليا والمستوى الإسلامى الرفيع. وصبر على ما ناله من أذى وسوء فعل وتقدير غير الفاهمين لرسالة الإسلام فى موقعها الصحيح. ومن غير المقدرين لأقدار أصحاب العفة من الرجال والعظماء من العلماء الأفذاذ فجزاه الله جزاء العلماء العاملين والمجاهدين الصادقين ،الذين دافعوا عن الإسلام وعقيدته بفكره وكتبه

فى كتابات أكاديمية منهجية تدور كلها فى رحاب ورحابة الفكر الإسلامى شرحاً وتاريخاً ومنهاجاً فأضاف بذلك إضافات بناءة إلىتاريخ الفكر الإنسانى،وأبان بالتالى عن جمال الإسلام وكماله كمنهج حياة وهداية للبشرية ،من الله سبحانه وتعالى .

* * *

الشيخ محمد الحفنى

الملقب بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى

(شيخ الأزهر)

علم خفاق من علماء الإسلام كان على علم غزير فى العلوم الكسبية فهو محدث مع المحدثين ومنطقى مع علماء المنطق وفقيه مع الفقهاء. إلا أن جاذبيته الكبرى تتمثل فى شخصيته التى تتجه بكل ما تستطيع إلى الله ، لم تفتنه الدنيا وقد كانت عند قدميه ، ولم يفتنه المنصب (وهو مشيخة الأزهر) عندما احتل أرفع المناصب الدينية فى زمانه ، مع ما كان فيه من الأناقة وحسن السمت، مع براعته فى الحديث وتملكه لزمام التوجيه ، ذلك هو الشيخ محمد الحفنى أحد شيوخ الأزهر خلال القرن الحادى عشر الهجرى .

يقول عنه الإمام أحمد الدردير وهو من علماء الأزهر السابقين وأحد تلاميذ الشيخ محمد الحفنى المقربين فى وصفه له : (الإمام المهيب الذى كانت الملوك تخضع لهيبته ، السخى الذى شهد الأعداء بهمته وسخائه ، الحسن الخلق الذى كان كل من جالسه لا يشبع من وداده ، الجميل الذى كان وجهه كالشمس فى رابعة النهار، حتى أن كل من رآه ذكر الله العزيز الغفار ، ولقد كانت العامة والخاصة

نشر هذا المقال فى مجلة الأزهر — السنة الثامنة والخمسون الجزء الثامن شعبان سنة ١٤٠٦ هـ — أبريل — مايو سنة ١٩٨٦ .

يتبركون برؤيته ، وكان جامعاً بين تحقيق العلوم الظاهرية والأسرار الإلهية) (١) .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ محمد بن سالم الحفنى على رأس المائة بعد الألف أو عام واحد تقريباً (٢) ببلدة (حفنا) بمركز بلبيس من أعمال محافظة الشرقية فى جو يشيع بتيار الروحانية لما بها وقتئذ من الرجال الصالحين الذين ينتسبون إلى التصوف النقى. ولما شب عن الطوق دخل كتاب بلدته حيث تعلم القراءة والكتابة كما حفظ الكثير من سور القرآن الكريم طبقاً لما كانت عليه عادات المسلمين وقتئذ (٣)

ولقد كانت كتاتيب القرآن الكريم تقوم فى القرون الماضية بمهام التربية والتعليم والتثقيف لأبناء المسلمين عامة وخصوصاً فى قراءة القرآن وحفظه،فليس مثل القرآن الكريم مؤثرا فى إصلاح الناس وتطهير المجتمع وتعود أفراده على التزام القيم الرفيعة والتحلى بكمال

---

(١) كتاب أبى البركات سيدى أحمد الدردير تأليف المرحوم الشيخ عبدالحليم محمود.

(٢) كتاب مناقب وكرامات شيخ الإسلام شمس الدين أبى الأنوار الشيخ محمد الحفنى تأليف الشيخ حسن شمه الفوى المكى وكتاب المختار من تاريخ الجبرتى اختيار محمد قنديل البقلى كتاب الشعب رقم ٢٧ ص ٧٨ .

(٣) كتاب مناقب وكرامات شيخ الإسلام شمس الدين أبى الأنوار محمد الحفنى تأليف الشيخ حسن شمه المكى .

الأَخلاق فانه « يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ » (١) أليس هو الهادي إلى عقيدة التوحيد وما فى منهجها من مكارم الأَخلاق ورفيع القيم، وفى الحديث الشريف لرسول الله ـ ﷺ:

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٢) :

« لأَن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة » (٣)

« أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » (٤) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأَصحابه »(٥)

انتقال الشيخ الحفنى إلى القاهرة :

ولما كان والد الشيخ محمد الحفنى يعمل فى القاهرة ومقيماً بها استقدم نجله صاحب الترجمة ليكون تحت رعايته ، وفى القاهرة استكمل حفظ القرآن الكريم ، ثم أخذ يسير فى التعليم على النهج الذى كان متبعاً فى تلك الأَيام وهو حفظ المتون قبل أن يبدأ طالب العلم الدراسة فى الأَزهر .

فحفظ ألفية ابن مالك وهى متن فى النحو والصرف وعليه شرح

---

(١) سورة الإسراء ٩ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبى ذر :

(٤) أخرجه النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس :

(٥) رواه مسلم :

ابن عقيل ، كما حفظ متن السلم ، والجوهرة فى التوحيد ، والرحبية ، وأبا شجاع فى الفقه الشافعى وهو متن مشهور فى فقه ذلك المذهب (١).

ظهور نبوغه وجده واجتهاده :

لما انتظم الشيخ محمد الحفنى فى دراسته بالأزهر ظهرت دلائل نبوغه فى سنيه المبكرة،كما كان مجدا فى دراسة العلوم مجتهدا فى تحصيل الدرس بعيدا كل البعد عن توافه الأمور معرضاً عن اللغو عاملا مستثمرا وقته فيما يفيد ، وكان مكبا على الكتب ملازما لأساتذته وأشياخه بقصد الاستفادة إما عن طريق المطالعة وإما عن طريق السماع من أولئك الأساتذة الأعلام (٢) .

العلماء الذين تلقى عليهم العلم بالأزهر الشريف هم :—

١ — الشيخ محمد الديربى .

٢ — الشيخ عيد النمرسى .

٣ — الشيخ أحمد الخليفى .

٤ — شيخ المحدثين الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت .

٥ — شيخ الإسلام الشيخ محمد الشناوى .

---

(١) كتاب العارف بالله أبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر تأليف المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) المرجع السابق :

٦ – الشيخ أحمد الشهير بالملوى .

٧ – والشيخ عبده الديوى .

٨ – والشيخ محمد الصيفى .

٩ – والشيخ محمد السلجماسى (١)

أثر الشيخ محمد البديرى الدمياطى العلمى فى الشيخ محمد الحفنى :

كان للشيخ محمد البديرى الدمياطى آثار كبيرة فى حياة تلميذه الشيخ محمد الحفنى العلمية، فلقد أخذ عنه تفسير القرآن الكريم كما تتلمذ عليه فى الحديث ، ولم تكن دراسته له دراسة موجزة وإنما كانت دراسة مستفيضة جدا، لأن الأزهر كان معنيا وقتئذ بالسنة كل العناية لا يدرسها فى مختصرات أو موجزات أو مختارات وإنما يدرسها فى الأمهات الأصيلة فدرس :

١ – صحيح الإمام البخارى .

٢ – صحيح الإمام مسلم .

٣ – وسنن أبى داود .

٤ – وسنن النسائى .

٥ – وسنن ابن ماجه .

٦ – كما درس الموطأ الذى صنفه الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة .

٧ – وكذلك مسند الإمام الشافعى .

٨ – ومعاجم الطبرانى الأكبر والأوسط والصغير .

---

(١) المرجع السابق .

٩ ـ كما درس صحيح ابن حبان .

١٠ـ وكذلك المستدرك للنيسابورى (١) .

وأيضاً مما درسه الشيخ محمد الحفنى على الشيخ محمد البديرى الدمياطى مادة التصوف إذ كانت هذه المادة من المواد التى تدرس فى الأزهر :

١ ـ فدرس كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام أبى حامد محمد الغزالى وهو فى ستة عشر جزءاً .

٢ ـ كما درس كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى ويقع فى عشرة أجزاء كبار،بدأه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،وفى طليعتهم سيدنا أبو بكر الصديق وذكر فيه كبار المحدثين الصوفية ، وكذا أئمة مذاهب الفقه رضوان الله عليهم (٢)

تقدير أشياخه الأعلام له :

ولقد قدره أساتذته وأشياخه تقديراً كبيراً وهو ما زال بعد فى بواكير شبابه ،فأجازوه الإفتاء والتدريس . وهو لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره ، وحين جلس لتدريس العلوم ظهرت على مجالسه إمارات الهيبة والوقار،ولازمه كثير من طلبة العلم فشمر عن ساعد الجد ولم يبدأ بتدريس كتب المبادئ الأولى بل اتجه مباشرة إلى تدريس

---

(١) المرجع السابق .

(٢) كتاب مناقب وكرامات شيخ الإسلام شمس الدين أبى الأنوار محمد الحفنى تأليف الشيخ حسن شمه المكى .

أمهات الكتب كالأشمونى وجمع الجوامع والمنهج ومختصر السعد وغير ذلك من كتب العلوم الأخرى كالحديث والفقه والمنطق والأصول وعلم الكلام (١)

بعض من تخرج على يديه من العلماء :

تخرج عليه غالب علماء أهل عصره وطبقته ومن دونهم نذكر منهم أخاه الشيخ يوسف الحفنى والشيخ إسماعيل الغنيمى والشيخ على العدوى والشيخ محمد الغيلانى والشيخ محمد الزهار نزيل مدينة المحلة الكبرى والشيخ على الصعيدى (٢) .

الكتب التى ألفها :

ومن آثاره العلمية رحمه الله :

١ – حاشية على الجامع الصغير للسيوطى (فى الحديث) .

٢ – حاشية على شرح الأشمونى (فى النحو) .

٣ – حاشية على شرح السمرقندى على الرسالة العضدية (فى الوضع) .

٤ – رسالة فى التقليد فى الفروع (فى أصول الفقه)

٥ – حاشية على السبط المارديني للياسمينية (فى الجبر والمقابلة)

٦ – الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية (فى التاريخ)

---

(١) كتاب الأزهر الشريف فى عيده الألفى باب مشيخة الأزهر الشريف .

(٢) كتاب العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر للدكتور عبد الحليم محمود .

٧ – أنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البوصيرى) .

٨ – حاشية على شرح الفوائد الشنشورية للشنشوري فى المواريث .

٩ – رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى صلى الله عليه وسلم سماها درر التنوير .

١٠ – رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى فى البلاغة .

١١ – شرح المسألة الملفقة في تحليل المطلقة (ثلاثا) .

١٢ – مجموعة من الإجازات لكثير من تلاميذه .

١٣ – رسالة فى فضل التسبيح والتحميد فى الفضائل والآداب (١)

الشيخ محمد الحفنى وسلوك طريق التصوف :

من الأسباب المباشرة التى أدت بالشيخ محمد الحفنى إلى التصوف أن وفقه الله إلى مرشد أمين وشيخ صادق مع الله ومع الناس ذلك هو الأستاذ الكبير الشيخ « مصطفى الصديقى البكرى » نزيل مدينة القدس . فقد كان على علم غزير ومنطق جذاب وعبادة لا تفتر، زار الكثير من بلاد الإسلام فذهب إلى حلب وبغداد والحجاز وتركيا ثم جاء إلى مصر حيث مات فى القاهرة، ولقد تربى الشيخ مصطفى الصديقى البكرى فى أهل بيت كانوا جميعاً على قدر كبير من العلم ؛ فوالده الشيخ كمال الدين وجده الشيخ على ، وجد والده الشيخ كمال الدين وجد جده الشيخ محى الدين، كانوا كلهم من علماء الإسلام وعلى جانب عظيم من الورع والتقوى وسمو الأخلاق .

(١) مجلة منبر الإسلام جمادى الأولى وجمادى الآخر سنة ١٤٠٣ هـ – مارس سنة ١٩٨٣ م عدد تاريخى بمناسبة العيد الألفى للأزهر .

ولما التقى الشيخ محمد الحفنى بالشيخ مصطفى البكرى أعجب به وسلك على يديه طريق التصوف على أسلوب ومنهاج العارف بالله تعالى الشيخ الجنيد فكانت طريقته تدعى بالجنيدية، ثم دعيت بعد ذلك بالطريقة الخلوتية، وكان مما أوصاه به أستاذه الشيخ البكري أن ينبسط إلى الناس وألا يمنع أحداً من التوبة على يديه. وأخذ العهد عليه فى سلوك طريقه إلى الله ولو كان نصرانيا. فأسلم على يديه خلق كثير من النصارى نذكر منهم الشيخ محمد المهدى أسلم وهو صغير وحضنه الشيخ محمد الحفنى ورباه مع أولاده فحفظ القرآن الكريم ثم اشتغل بطلب العلم على يد الشيخ الحفنى ثم بعد وفاته على يد الشيخ أحمد الدردير ثم تصدر للتدريس بالأزهر، جلس مكان الشيخ محمد الهلباوى بعد وفاته عام ١١٩٢ هـ (١) .

بيان بذكر بعض من سلك طريق التصوف على يديه :

سلك طريق التصوف على يد الشيخ محمد الحفنى كثيرون نذكر منهم :

١ — الشيخ أحمد البنا .

٢ — الشيخ محمد المنير السمانودى شيخ القراء والمحدثين .

٣ — الشيخ محمد السنهورى .

٤ — الشيخ حسن الشبينى .

٥ — الشيخ محمد الزعيرى .

٦ — الشيخ خضر رسلان .

٧ — الشيخ محمود الكردى .

٨ — الشيخ أحمد الغزالى .

---

(١) كتاب مناقب وكرامات شيخ الإسلام شمس الدين أبى الأنوار محمد الحفنى تأليف الشيخ حسن شمه المكى .

٩ - الشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى .

١٠- الشيخ أحمد القحافى . ١١ - السيد على القناوى .

١٢- الشيخ سليمان المنوفى نزيل طنطا ١٣- الشيخ حسن السخاوى .

١٤- الشيخ محمد الرشيدى .

١٥- الشيخ يوسف الرشيدى الملقب بالشيال .

١٦- الشيخ محمد الصعيدى . ١٧ - الشيخ عثمان الزرقانى .

١٨- الشيخ محمد الشهير بالسقا . ١٩ - الشيخ باكير أفندى .

٢٠- الشيخ محمد الفشنى .

٢١- الشيخ عبد الكريم المسيرى الزيات .

٢٢- الشيخ أحمد العدوى الملقب بدردير .

٢٣- الشيخ محمد الرشيد الشهير بالمعصراوى .

٢٤- شيخ القراء السيد منصور الحلبي .

٢٥- الشيخ أحمد الصقلى المغربى .

٢٦- الشيخ سلمان البتراوى الأنصارى وهو من ذرية سيدنا جابر الأنصارى رضى الله عنه .

٢٧- الشيخ إسماعيل اليمنى .

٢٨- الشيخ حجاب الهيفماوى .

٢٩- الشيخ حسن شمه الفوى المكى (١) .

---

(١) المرجع السابق .

تولية الشيخ محمد الحفنى مشيخة الأزهر :

بعد حياة طويلة فى خدمة الشريعة والعلم والإسلام وأداء العبادات بلغت سبعين عاماً تولى الشيخ محمد الحفنى مشيخة الأزهر الفترة من سنة ١١٧١ هـ إلى سنة ١١٨١ هـ وهو فى الترتيب الشيخ الثامن لهذا الصرح العتيد ، وكان لهذا المنصب من الإجلال والاحترام فى ذلك الزمان ماله فى وقتنا المعاصر، لأن الأزهر منذ قرونه الأولى قائم على الحفاظ على العقيدة الإسلامية النقية يقف فى وجه كل انحراف أو غزو فكرى يتهدد البلاد الإسلامية من الشرق أو الغرب ، ومن هنا كان المسلمون وما زالوا فى مشارق الأرض ومغاربها يدينون للأزهر بالفضل فى حماية عقيدتهم، كما تدين له الدول العربية بالفضل فى حماية الدين واللغة العربية (١) .

جهاد الشيخ الحفنى بعد توليته مشيخة الأزهر :

عندما تولى الشيخ محمد الحفنى مشيخة الأزهر كان عليه أن يخوض جهادا فى ثلاثة ميادين :

الأول - ميدان النصيحة والوعظ العام

وقد كان الشيخ الحفنى قائما بهما حتى من قبل أن يسلك طريق التصوف ، لكنه لما تصدى لتربية مريديه على نهج التصوف أقبل عليه

---

(١) كتاب العارف بالله أبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر تأليف الدكتور عبد الحليم محمود .

الناس من كل فج عميق ومنهم علماء كانوا نجوم الهداية للمجتمع إرشادا وسلوكاً وقد ذكرنا آنفا بعضاً منهم .

الثانى — الميدان العلمى وإثراء الفكر العربى والدينى :

كان رحمه الله — معنياً بهذا الجانب قبل توليه مشيخة الأزهر ، ولكنه حين تولى المشيخة عنى على الخصوص بسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبرع فى ذلك براعة فائقة حتى أصبح من كبار المحدثين رواية ودراية ،وشرح كتاب الجامع الصغير للإمام جلال الدين السيوطى ،وانتهى من شرحه سنة ١١٧٩ هجرية أى قبل أن ينتقل إلى رحمة الله بعامين تقريبا (١) .

الثالث — ميدان الجهاد فى المجتمع المصرى :

وذلك بين حكامه من المماليك وعامة الشعب حتى تستقيم الأمور العامة للشعب والمواطنين ، وكان هذا الميدان من أشق الميادين، ذلك أن النزاع بين المماليك بعضهم وبعض كان مستمراً ونتيجة لهذا كانت المؤامرات والغدر والحروب لا تكاد تهدأ بينهم أبدا ، كما كان النزاع بين أولئك المماليك وبين الجماهير قائما مستمراً أيضاً نتيجة فرضهم الضرائب والإتاوات على الشعب الذى كان ينوء بحملها ، ولقد عمل الشيخ الحفنى ما وسعه بقصد إصلاح حال المماليك وبث الوئام فيما بينهم تمهيدا للتخفيف مما يعانيه الشعب إذا سادت روح السلام وأقلعوا عن حروبهم .

---

(١) المرجع السابق .

ويبدو أنه كان قاسياً على هؤلاء المماليك ولم يهادنهم الأمر الذى كلفه حياته لأنه فى واحدة من محاولاته فض تلك الخلافات وما كان أكثرها (يقال أنهم أشغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم فلم يلبث الشيخ محمد الحفنى بعد هذا المجلس إلا أياما، ومرض ورمى بالدم) هذا ما رواه الجبرتى فى تاريخه ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى فى يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ وقد بلغ الثمانين من حياته المباركة (١) وهو قائم يؤدى واجبه نحو الإسلام والمسلمين ، وانتهت بموته حياة شيخ جليل وعالم كبير قدم نموذجا لحياة متألقة بالإيمان مشعة بالطهر زاخرة بالعلم والتقوى ستظل قلادة خالدة فى جيد التاريخ .

---

(١) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى اختيار محمد قنديل البقلى كتاب الشعب رقم ٢٧ .

الشيخ أحمد العدوي

الملقـــب

بأبى البركات أحمد الدرديـــر

درة رجال الأزهر النابهين فى زمانه وإمام العلماء العاملين فى وقته وعصره، وذلك لما اشتهر به من العلم الغزير والعمل المستمر والإرشاد النافع وكثرة المناقب والفضائل على تعدد أنواعها فى شخصيته ، فهو شمس العرفان وعارف الزمان ، أجمع الناس على جلالة قدره وزعامته وعموم نفعه فى سائر البلاد إذ جمع بين الإمامة فى الدين والعلم وبين رعاية مصالح الناس .

ذلك هو الشيخ أحمد العدوى الشهير بـ « دردير » ، ولفظ العدوى نسبة إلى بلدته « بنى عدى » التى سكنها بعد الفتح الإسلامى لمصر بطن من قبيلة بنى عدى ، تلك القبيلة العربية التى أنجبت سابقا الخليفة الراشد « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، وأما كلمة (دردير) فهو اسم جده زعيم فرع تلك القبيلة ،لذلك كان هذا الاسم لقبا لأسرته كما لقب هو به تفاؤلا لشهرته (١) .

---

(١) كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، تأليف العلامة أبى البركات أحمد بن الدردير . الجزء الأول — طبعة دار المعارف بمصر — ١٩٧٢ وتنسيق الدكتور مصطفى كمال وصفى المستشار السابق بمجلس الدولة .

ميلاده وبيئته :

ولد الشيخ أحمد الدردير سنة ١١٢٧ هجرية فى بلدة (بنى عدى) من أعمال محافظة أسيوط بصعيد مصر فى وسط جو من الصلاح والتقوى والعلم والمعرفة ، فقد كان والده عالما دينيا ومعلما متقنا للقرآن الكريم،وكان علمه يضفى على كتابه الكثير من الفوائد، وبرغم أنه كان ميسور الحال فقد استمر فى تحفيظ أبناء المسلمين كتاب الله حتى بعد أن تقدمت به السن وكف بصره .

وفى هذا الجو القرآنى المبارك كانت نشأة نجله « أحمد » فحفظ القرآن وتابع دراسته بعد وفاة والده وله من العمر عشر سنين حتى استكمل حفظه وأتقن تجويده واستوعب أوليات بعض العلوم(١) .

انتقاله إلى القاهرة :

لما كان الأزهر الشريف — قديما وما زال — قبلة المسلمين العلمية فى داخل البلاد وخارجها تسوده روح الإسلام فى القول والعمل عزم الشيخ أحمد الدردير على السفر إلى القاهرة لكى يلتحق به وينتظم فى صفوف طلابه حتى يغترف من علومه وينهل من معارفه .

أساتذته الذين تلقى العلم عنهم بالأزهر :

تلقى الشيخ أحمد الدردير العلم على كثير من علماء الأزهر فى ذلك الوقت نذكر منهم : —

---

(١) كتاب — أبو البركات سيدى أحمد الدردير — تأليف الدكتور عبد الحليم محمود دار الكتب الحديثة — طبعة ١٩٧٤ .

١ – الشيخ محمد الدفروى الذى سمع عليه « الأولية » بشرطه .

٢ – الشيخ أحمد الصباغ وقد سمع عليه « الحديث » .

٣ – الشيخ على الصعيدى إذ لازمه فى دروس الفقه المالكى حتى نجب فيه وصار علما مفردا .

٤ – الشيخ الملوى والشيخ الجوهرى .فقد درس وسمع منهما بعضا من فروع العلم .

تأثره بالشيخ محمد شمس الدين الحفنى :

كان الشيخ محمد شمس الدين الحفنى الشهير بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى صاحب الكلمة المسموعة وكان شيخا للأزهر أيام دراسة الشيخ أحمد الدردير فتأثر به تأثرا عظيما ، فقد كان الشيخ محمد الحفنى مصدر جاذبية عظمى من عدة نواح فى شخصيته ، كان حسن السمت أنيقا بارع الحديث مالكا لزمام التوجيه ، وكما قدمنا آنفا كان على علم غزير فى العلوم الكسبية فهو محدث مع المحدثين ومنطقى مع علماء المنطق وفقيه مع الفقهاء ثم هو إمام فى كل ما يتصل بالدراسة فى الأزهر ، كما كان مربيا صاحب إرشاد وتوجيه وله أتباع ومريدون كثيرون ، وكان سلوكه يتمثل فيه الإخلاص والطهر (١) .

---

(١) كتاب العارف بالله أبو الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر – تأليف الدكتور عبد الحليم محمود – من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – إدارة نشر الثقافة الإسلامية طبعة ١٩٧٧ .

سلوكه طريق شيخه الحفني واتباعه إياه :

لقد بلغ من تأثر الشيخ أحمد الدردير بشخصية أستاذه الشيخ محمد شمس الدين الحفنى أن سلك طريقه فى التصوف على يديه فسار أحسن سير وسلك أحسن السلوك ، لأنه كان سليم الباطن مهذب النفس مع المجاهدة والعمل المرضى الموافق للكتاب والسنة ، وقد أثنى عليه الشيخ محمد الحفنى بقوله (ما له نظير وحاله جميل وهو من الصدق فى درجة عليا ومن الأدب والتواضع فى أعلى منها)(١) .

ويتحدث الشيخ أحمد الدردير عن أستاذه الشيخ محمد الحفنى فيرسم له صورة مشرقة ، يقول عنه كما قدمنا آنفا : « الإمام المهيب الذى كانت الملوك تخضع لهيبته ، السخى الذى شهد الأعداء بهمته وسخائه بحيث يقر كل إنسان بأن الملوك لا قدرة لهم على أن يجودوا كما كان يجود ، الحسن الخلق الذى كان كل من جالسه لا يشبع من وداده حتى الحسود ، الجميل الذى كان وجهه كالشمس فى رابعة النهار ، حتى أن كل من رآه ذكر الله العزيز الغفار ، الذى كانت العامة والخاصة يتبركون برؤيته ويتسارعون لمصافحته ، الجامع بين تحقيق العلوم الظاهرية والأسرار الإلهية ، المتكلم على الخواطر كما كان يشهده من سلك على يده السنية ، يربى أصحابه باللحظ والدلال وله بينهم مهابة لا توجد فى كثير من الأبطال كما قيل :

---

(١) كتاب مناقب وكرامات — شيخ الإسلام شمس الإسلام شمس الدين الحفنى : تأليف الشيخ حسن شمه الفوى المكى — مطبعة الصدق الخيرية ١٣٧٤ هـ .

إذا ما سطا دع عنك تذكار عنتر   وإن جاد لا تذكر مكارم حاتم(١)

تعيين الشيخ أحمد الدردير شيخاً للمالكية :

لما توفى الشيخ على الصعيدى شيخ المالكية فى زمانه عين الشيخ أحمد الدردير خلفا له شيخا للمالكية ومفتيا وناظرا على « وقف الصعايدة » وشيخا على طائفة الرواق،وكما يقول الجبرتى فى تاريخه :

شيخا على أهل مصر بأسرها فى وقته حسا ومعنى ، لأنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق. واستمر على ذلك حتى توفى فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٠١ هـ وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل عظيم ودفن بزاويته بخط الكحكيين بمدينة القاهرة خلف الجامع الأزهر » .

مؤلفاتــه :

له مؤلفات كثيرة نذكر منهــا :

١ — شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهورى والزرقانى واقتصر فيه على الراجح من الأقوال وسماه الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك .

٢ — متن فى فقه المذهب سماه أقرب المسالك لمذهب مالك .

٣ — رسالة فى متشابهات القرآن .

---

(١) كتاب أبو البركات سيدى أحمد الدردير تأليف الدكتور عبد الحليم محمود — السابق الإشارة إليه .

٤ - نظم الخريدة السنية فى التوحيد وشرحها .

٥ - تحفة الإخوان فى آداب أهل العرفان فى التصوف .

٦ - رسالة على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتى فى المولد النبوى .

٧ - شرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكرى .

٨ - رسالة فى المعانى والبيان .

٩ - رسالة أورد فيها طريق حفص .

١٠ - رسالة فى المولد النبوى الشريف .

١١ - رسالة فى شرح قول الوفائية : يا مولاى يا واحد ، يا مولاى يا دائم ، يا على يا مكين .

١٢ - شرح على مسائل كل صلاة بطلت على الإمام (الأَصل للشيخ البيلى) .

١٣ - شرح على رسالة فى التوحيد من كلام دمرداش .

١٤ - رسالة فى الاستعارات الثلاث .

١٥ - شرح على آداب البحث .

١٦ - رسالة وشرح صلاة السيد أحمد البدوى .

١٧ - شرح على الشمائل « لم يكمل » .

١٨ - رسالة فى صلوات شريفة اسمها الورد البارق فى الصلاة على أفضل الخلائق .

١٩ – التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى .

٢٠ – مجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ .

٢١ – رسالة جعلها شرحا على رسالة قاضى مصر عبد الله أفندى المعروف بططرزاده (١) فى قوله تعالي « يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا » سورة الأنعام ١٥٨

سعيه فى قضاء حوائج الناس ومناصرته للضعفاء والمظلومين من أبناء الشعب :

يقول عنه الجبرتى فى تاريخه « وله فى السعى على الخير يد بيضاء » وذلك لما اشتهر عنه أنه كان يسعى فى قضاء حوائج الناس بالليل وبالنهار ولو أدى الأمر إلى أن يركب ويذهب المسافات الطويلة لقضاء تلك الحوائج ومواجهة الحكام والأمراء إذا تقدم أحد أفراد الشعب بشكوى أو مظلمة ضدهم فقد حدث فى ربيع سنة ١٢٠١ هـ يناير ١٧٨٦ م أن نهب جماعة من المماليك دارا بحى الحسينية فتجمع أهالى الحى وعولوا على الثورة واتجهوا إلى الجامع الأزهر ومعهم الطبول والعصى الغليظة وذهبوا إلى الشيخ أحمد الدردير فقال لهم (أنا معكم) وصعد منهم طائفة إلى أعلى المنازل وعلى منارات المساجد

---

(١) كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك – تأليف العلامة أبى البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير – الجزء الأول وأيضاً كتاب أبو البركات سيدى أحمد الدرديرى تأليف الدكتور عبد الحليم محمود وقد أشير إليهما فيما سبق .

يصيحون ويضربون بالطبول ، وانتشروا بالأسواق وأغلقوا الحوانيت وخاطبهم الشيخ أحمد الدردير قائلا « فى غد نجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » .

ولم تلبث هذه الصيحة أن حققت هدفها فقد حضر بعد مغرب اليوم نفسه « سليم أغا مستحفظان ومحمد كتخذا ومعهما نائب الوالي وجلسوا فى الغورية ، ثم ذهبوا إلى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال وقالوا للشيخ « اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتى بها من محل ما تكون » .

وحدث نفس الشىء فى العام نفسه فى « مولد السيد أحمد البدوى » إذ وقع العسف من كاشف الغربية على بعض أفراد الشعب فلما التجأ الناس إلى الشيخ أحمد الدردير ركب إلى خيمة الكاشف ودعاه إليه فلما أجابه الكاشف كلمه الشيخ الدردير من فوق ظهر بغلته ووبخه ، وبهذا السعى على الخير من جانبه ووقوفه إلى جانب الضعفاء والمظلومين رد إليهم حقوقهم كما أرهب الحكام من المماليك حتى لا يعودوا إلى ارتكاب مظالمهم مرة أخرى .(١)

(١) كتاب الأزهر الشريف فى عيده الألفى – فصل (نضاله الوطنى قبل الحملة الفرنسية) .

شيء مما كان ينعيه على حكام عصره في ظلمهم المسلمين رغم سماحتهم لأهل الذمـــة :

كان مما ينعيه الشيخ أحمد الدردير على أمراء عصره وحكام زمانه أنهم أغروا أهل الذمة من اليهود والنصارى ورفعوهم دون وجه حق على المسلمين حتى يقول « ويا ليت المسلمين عندهم كمعشار أهل الذمة إذ ترى المسلمين كثيرا ما يقولون : ليت الأمراء يضربون علينا الجزية كالنصارى واليهود ويتركوننا بعد ذلك كما تركوهم (١) .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (٢) .

وبعـــد :

فان أمة الإسلام ممثلة فى علمائها ومفكريها وظيفتها بين الأجناس والأوطان أن تدعم الخير وأن تعلى صوت الحق ، وأن تحمى شارة الإيمان ، وأن تجعل من كيانها موئلا للفضائل ، وأن تكره الآثام وتتنكر لفاعليها ، وتعقب على أخطائهم وخطاياهم بالتفنيد والرد ، وتعمل على نصرة المظلومين والوقوف بجانبهم ضد الظالمين ، فهى الحارسة لوحى السماء وإبقاء مناره عاليا يومض بالإشعاع الهادى كى يهتدى به السارون فى ظلمات البر والبحر .

ومذ تسلم الأزهر رسالة الإسلام فى العلم والمعرفة من المسجد العتيق جامع عمرو بن العاص صار الممثل للإسلام ، القائم على نشره ومنع الظلم عن المسلمين ، فلا غرو إذا كان علماؤه فى شتى العصور يمثلون

---

(١) كتاب غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى — تأليف الدكتور يوسف القرضاوى — تنشره مكتبة وهبة — طبع ١٩٧٧ .
(٢) سورة الشعراء — ٢٢٧ .

حقا الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعارهم قول الله تعالى « وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا »(١) وقوله جل شأنه « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »(٢) .

(١) سورة طه — ١١٤ .
(٢) سورة الشورى — ٤٢ .

الشيخ أحمد هاشم المكاوي

الشهير بأحمد السيوطى

علم من رجال الأزهر فى عهوده الأولى نهل من رحيق علومه وارتوى من بحور ثقافته ، ثم قام بالتدريس فيه لمدة خمسة عشر عاما حتى تطوع من قبل الأزهر الشريف عندما لجأت إليه الحكومة العثمانية بطلب السفر إلى مدينة جرجا بالصعيد الأوسط بمصر للإقامة بها وإعادة تعميرها ، وافتتاح معهدها الدينى بعد خرابها وتوقف الحياة فيها بسبب ما ألم بها من وباء الطاعون سنة ٩٨٠ هـ ، ذلك الوباء الذى أهلك الحرث والنسل فى تلك المدينة إذ قضى على أربعة أخماس سكانها أما الباقى فقد هرب بعضه إلى أقليم السلسلة ببلاد النوبة ثم واصل سيره حتى بلاد مالى بغرب أفريقيا والبعض الآخر فر إلى مدينة المحلة الكبرى حيث استقر بها .

ذلك هو الشيخ أحمد هاشم المكاوى الجد الأكبر لعائلة السيوطى(١) هناك والتى تنتسب إليه وأول مجدد لمعهد جرجا الدينى بعد توقفه

---

(١) وهذه العائلة هى خلاف عائلة السيوطى التى ينتمى إليها الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى الذى ينتسب إلى مدينة أسيوط حيث كانت عائلته تقيم بها قبل نزوحها إلى القاهرة .

عن مدارسة العلم والشريعة لما انحسرت الحياة عنها بسبب ما أصابها من ذلك الوباء الخطير فى ذلك الزمان .

مــولده :

يذكر الحاج أحمد عبد العزيز السيوطى (١) وهو أحد أحفاد الشيخ أحمد هاشم المكاوى عن جده المذكور أن تاريخ مولده كان فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى بمدينة مكة المكرمة وهو من عائلة (آل أبو سريع) الذين هم من أولاد الشيخ عُنيِّر أحد أحفاد الإمام الحسن السبط رضى الله عنه ابن الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولما شب عوده تلقى العلوم الدينية على يد العلماء من أسرته بالديار الحجازية ثم رحل إلى الديار المصرية حيث استأنف دراسته على يد علماء الأزهر الشريف ثم قام بالتدريس فيه .

نزوله جــرجا ووفــاته :

وأما تاريخ نزوله بمدينة جرجا فكان فى سنه ١٠٠٥ هـ الموافق سنة ١٦٠٥ م وقد اصطحب معه ثلاثمائة نفر من طلاب العلم من أبناء الصعيد ليكونوا نواة نشاط المعهد الدينى عند إعادة افتتاحه ، وقد اتخذ من المسجد العمرى العتيق مكانا لإلقاء دروس العلم والدين فيه ،ثم تزايد عدد الطلاب حتى بلغ عدد من يتلقى العلم فى ذلك المعهد بعد ذلك نحو ستة آلاف طالب تقريبا يمتون إلى جنسيات

---

(١) هو وكيل نقابة الأشراف وصاحب مكتبة الهلال ومطبعتها بمدينة جرجا .

مختلفة إذ كان منهم الأتراك والشوام ومن السودان والهنود ومن أهل العراق وغيرهم .

وبعد حياة حافلة فى خدمة العلم والدين توفى الشيخ أحمد هاشم المكاوى إلى رحمة الله ودفن بتلك المدينة التى كان له شرف تعميرها بشخصه وعلمه .

كيف قام بذلك مع أنه لم يكـــن مصريـــا :

إنما كان ذلك ، لأن شريعة الإسلام تجعل المسلمين أمة واحدة بسبب وحدة العقيدة التى تجمعهم حتى ولو اختلفوا فى الجنس أو اللغة أو الإقليم أو غير ذلك مما يختلف فيه الناس فى وقتنا الحاضر ، لأن عنصر العقيدة الإسلامية يغلب هذه الاختلافات ويجعل المسلمين ، ليسوا إخوة فى الدين فحسب ، بل إنه ليصهرهم فى بوتقة واحدة هى دولة الإسلام قال تعالى : (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)(١) .

وقال جل شأنه (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(٢)

ولهذا اقترن هذا التنظيم السياسى (أى الدولة) مع تكوين الجماعة الإسلامية الأولى عندما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

---

(١) الأنبياء — ٩٢ .

(٢) آل عمران — ١١٠ .

فى المدينة المنورة وصارت رابطة الفرد المسلم بدولة الإسلام هى رابطة قانونية بسبب كونه مسلما وهو ما نسميه بالجنسية فى زماننا المعاصر(١)، لذلك لم يكن هناك حرج فى ذلك الزمان أن ينتقل الشيخ أحمد هاشم المكاوى صاحب الترجمة من موطنه الأصلى فى بلاد الحجاز فى يسر إلى القاهرة ثم منها إلى مدينة جرجا والإقامة بها دون أن تكون هناك عقبات تعترضه ، لأنه كان مسلما تابعا فى جنسيته لدولة الإسلام التى تتبعها مصر .

لمحة تاريخيـــة عن مدينة جـــرجا :

كانت تلك المدينة حاضرة للإقليم المحيط بها فى الصعيد الأوسط منذ عصور المصريين القدماء لكنها لم تكن معروفة بهذا الاسم حينئذ بل كانت تدعى (أباذو) وذلك فى عهد الملك مينا (نارمر) أول ملوك الأسر المصرية القديمة .

وفى العهد الرومانى أطلق عليها الرومان (داجرجر) نسبة إلى الأمير داجرجر ابن الملك داجرج ثم دعيت بعد ذلك (دا جرجا) نسبة إلى الأميرة (داجرجا) ابنة الملك (داجرجر) ، ثم سميت (جرجى) فى العهد القبطى خلال القرن الثالث والرابع الميلادى نسبة إلى الأسقف (جرجى) الأريوسى الذى نفى إليها بسبب اعتناقه

---

(١) كتاب أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام — تأليف الدكتور عبد الحكيم زيدان — الأستاذ بكلية الآداب جامعة بغداد ونشرته الجامعة المذكورة سنة ١٣٩٦ هـ — سنة ١٩٧٦ م ص ٦١ المبحث الثانى الجنسية فى الشريعة الإسلامية .

لعقيدة (التوحيد) التى كان ينادى بها الأسقف (آريوس) ومعارضته لنحلة التثليث التى اعتنقتها الدولة الرومانية والكنيسة القبطية منذ ٣٢٥ م إثر انعقاد مجمع (نيقية) بواسطة الإمبراطور قسطنطين قيصر الرومان (١) .

ولما جاء الجيش الإسلامى فى عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وحارب الرومان وطردهم من مصر أرسل قائده عمرو بن العاص فرقة من جنوده تحت إمرة أحد أعوانه إلى بلاد الصعيد فتم له ضمن ما فتح من مدن مدينة (جرجى) وأعجبه فيها معبد فرعونى ضخم فحوله إلى مسجد تقام فيه الصلاة سماه بالمسجد العمرى نسبة إلى اسم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،وكان ذلك عام ٢١ هجرية الموافق سنة ٦٤١ م ، وقد عنى به الولاة من قبل الدولة الإسلامية إذ كانت مدينة جرجا عاصمة لإحدى تلك الولايات التابعة للديار المصرية (٢) فأقاموا له أربع منارات كان يتردد عليها الأذان للصلاة وتدرس فيه العلوم الإسلامية كما قدمنا واستمر على ذلك حتى حول النيل مجراه واخترق داخل المدينة فى عام ١١٧٢ هـ الموافق سنة ١٧٧٣ م فحطم ضمن ما حطم ذلك المسجد العمرى العتيق فأعيد

---

(١) كتاب جرجا بين القديم والحديث إعداد الأستاذين محمد فؤاد أحمد عبد العال وفاروق محمود بلاش بمديرية التربية والتعليم بمحافظة سوهاج .

(٢) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى اختيار محمد قنديل البقلى الجزء الأول — نشر دار الشعب .

مكانه بناء مسجد حديث صغير سمى باسمه وإن كان يختلف عن المسجد القديم فى حجمه ورسمه .

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ خالد بن عبد الله النحوى الشهير بـ (الأزهرى) صاحب متن النحو المعروف بالأزهرية كان من مدينة جرجا (١) .

عـراقة معهـد جرجا الدينى فى دراسة العلوم الإسلامية :

يعتبر ذلك المعهد من أقدم المعاهد الإسلامية فى الديار المصرية لأنه منذ إعادة افتتاحه سنة ١٠٠٥ هـ بمعرفة الشيخ أحمد هاشم المكاوى يكون قد مضى عليه قرابة أربعة قرون حتى الآن كان خلالها يبث العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية لكل من انتظم فيه من طلاب العلم ، والاقبال على العلم طابع المسلمين منذ عصورهم الأولى فقد تميز المسلمون بحرصهم البالغ على طلب العلم واستمر ذلك الحرص خلال تاريخهم الطويل، وكان الطالب المسلم حديد العزم قوى الإرادة ذلل كل الصعوبات التى اعترضته ، ولم يكترث بالعقبات ولم يبال بالمخاطر وما كان ذلك إلا استجابة للوحى القرآنى الذى آمن به وامتثالا لتوجيهات النبى ﷺ التى تحث على العلم وترفع قدره وقدر من يشتغل به :

قال الله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

سورة الزمر ٩

---

(١) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر — مقال (الأزهر المعجزة الرباط) لسماحة الشيخ عبد الله كنون .

(يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِين أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)
سورة المجادلة ١١

(وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا) « سورة طه ١١٤ ».

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحاديث كثيرة نجتزىء منها الآتى (١) :

(من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين) متفق عليه .

(لاحسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) متفق عليه .

(من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة) « رواه مسلم »

(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم .

(من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

(فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

---

(١) كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى .

استمرار المعهد الدينى تحت إشراف أولاده وأحفاده :

لما قام ذلك المعهد العتيد بأداء رسالته العلمية والدينية أشرف عليه الشيخ أحمد هاشم المكاوى إذ قد صار شيخاً له حتى توفى إلى رحمة الله فقام أولاده وأحفاده من العلماء بشرف ملاحظته والعناية به والتدريس فيه ، ينفقون فى ذلك عليه من حر مالهم الخاص ، وعلى طلاب العلم فيه وخصوصاً الفقراء منهم ونذكر من هؤلاء العلماء:

١ ـ المرحوم الشيخ مكى وهو ابن صاحب هذه الترجمة .

٢ ـ المرحوم الشيخ على مكى ويقول عنه صاحب كتاب تاريخ النواحى والأرجا فى ذكر علماء جرجا أنه كان من أقران العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير وحرر على مجموعه ، وكان يرجع إليه بعض العلماء فى حل معضلات المسائل (١) .

٣ ـ المرحوم الشيخ أبو بكر مكى وقد ورد عنه فى الكتاب المشار إليه فيما سبق أنه كان إماماً شهيراً وعالماً كبيراً أدرك من علماء بلده الجهابذة المرحوم الشيخ عبد المنعم بن عبد الرحمن الخياط والمرحوم الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الخياط وغيرهما من أفاضل العلماء ، كما أخذ عنه كثيرون من أجلهم مفتى الصعيد وقتئذ المرحوم العلامة الشيخ عبد الله عنانى والمرحوم العلامة الشيخ محمد

---

(١) كتاب تاريخ النواحى والأرجا فى ذكر علماء جرجا لمؤلفه فضيلة المرحوم الشيخ محمد حامد المراغى ص ٣٢٦ وهو مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (١) ـ ٢٤٨٧ :

ابن أحمد المصرى الكبير ، وابن أخيه المرحوم العلامة الشيخ محمد على مكى (١)

٤ — المرحوم الشيخ محمد على مكى الذى تلقى العلم على يد عمه وأستاذه المرحوم الشيخ أبو بكر مكى .

٥ — المرحوم الشيخ أحمد على مكى وهو شقيق المرحوم الشيخ محمد على مكى السابق الإشارة إليه .

٦ — المرحوم الشيخ عبد الله محمد على مكى وقد أخذ العلوم على أفاضل علماء عصره نذكر منهم العلامة الشيخ حسن العدوى الحمزاوى والشيخ محمد إبراهيم الشهير بالإبراشي وقد اشترك معه فى تصنيف بعض التآليف النحوية ومختصر ابن أبى جمرة وفى شرح الأحاديث النبوية فى بعض أجزاء من كتاب الإمام البخارى.

وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء ، وكان منهم الشيخ محمد البغدادى من مدينة بغداد عاصمة بلاد العراق .

٧ — المرحوم الشيخ أحمد محمد على مكى .

٨ — المرحوم الشيخ عبد المنعم محمد على مكى .

٩ — المرحوم الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ عبد الرحمن السيوطى ؛

وهو آخر شيخ لذلك المعهد الدينى العتيد قبل ضمه لإدارة الأزهر ، داوم على العناية به وتدريس العلوم الشرعية فيه حتى تاريخ وفاته سنة ١٣٤٢ هـ وله مؤلفات كثيرة لكنها ما زالت مخطوطة ، اطلع على

---

(١) المرجع السابق :

بعضها المستشرق الألماني بروكلمان وأعجب بها ونقل بعضاً منها إلى اللغة الألمانية .

وقد أحبه طلاب العلم وتلاميذه لغزارة علمه وسمو خلقه وعلو همته وسماحة طباعه حتى مدحه بعض تلاميذه بالقصائد الشعرية نجتزىء منها بالأبيات الآتية :

أصل العلوم وحافظ القرآن ... آل السيوطى شعلة الإيمان
العلم ديدنهم والفضل مشربهم ... فاحفظ إلهى صائنى الإحسان
هم قد بنوا للدين شامخ معهد ... يسقى من الآيات والقرآن
ذكراه للعطشى رحيق سائغ ... حلو المذاق لتائه ظمآن
سكناه للمرضى دواء ناجع ... يشفى عليل الحب والفرقان

* * *

أبناء جرجا يشهدون بفضلهم ... بك ياسيوطى تسعد الأرجاء
المعهد الدينى يشدو فرحة ... وبدت على آفاقه الأضواء
ولقد تفضل تسعة منهم على ... برج الفضائل فالتقى الفضلاء
اليوم نذكر للسيوطى واجبا ... نسل السيوطى كلهم كرماء
من أرض مكة أصله وشعاره ... للناس دوما لا يرد دعاء

ولا يفوتنا أن نشير أنه انتظم فى جامعة الأزهر وتخرج منها فى زماننا المعاصر نفر من تلك العائلة التى حمل علماؤها شرف رسالة العلم والدين نذكر منهم المرحوم الشيخ عبد الحليم عبد الرحيم السيوطى ابن آخر شيخ لذلك المعهد قبل ضمه لإدارة الأزهر الشريف وقد تخرج فى كلية الشريعة وقام بالتدريس فى المعاهد الدينية ، والداعيين الإسلاميين

الشيخ عبد الوهاب عبد الرحيم السيوطى وشقيقه الشيخ حسين عبد الرحيم السيوطى، وقد تخرجا فى كلية أصول الدين ، والدكتور رمضان حافظ السيوطى الأستاذ بقسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر .

إدارة الأزهر تتسلم المعهد الديني :

بعد وفاة الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ عبد الرحمن السيوطى قامت إدارة الأزهر الشريف بضم المعهد الدينى إليها وكان ذلك عام ١٣٤٥ هـ وبذلك صار تحت إشراف الأزهر ليستأنف مسيرته المباركة رافدا جاريا مع باقى المعاهد الدينية الأخرى التى نبتت حوله من بذرته المباركة من إعدادية وثانوية ومعاهد البنات الأزهرية ،حتى تكون برهانا شاهداً ودليلا ملموساً على أن الأزهر ومعاهده ظل وسيظل حارساً للدين ومعقلا للغة العربية وهاديا إلى الصراط المستقيم .

نشر بمجلة الأزهر عدد المحرم سنة ١٤٠٥ هـ .

الشيخ خالد بن عبد الله بن أَبي بكر الجرجاوي

الشهير بالأزهــرى

أحد مشاهير علماء النحو والإعراب فى القرن التاسع الهجرى درس اللغة العربية فى رحاب الأَزهر الشريف وحفظ عدداً من المتون وبرع فى عدد من الفنون وكثر النفع بتصانيفه لإخلاصه ووضوحها .

ذلك هو الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد ابن أحمد الجرجاوى الأَزهرى الشافعى وغلبت شهرته بالأَزهرى إذ كان الانتساب إلى الأَزهر فى ذلك الزمان شرفا يغطى على النسب الخاص للشخص،وحتى مؤلفاته العلمية فى النحو سمى بعضها أو أضاف إليها كلمة الأَزهرية تحقيقاً لهذا الشرف (١)

مكان مولده وأصل محتده :

ولد الشيخ زين الدين خالدبن‌عبدالله الأَزهرى بمدينة جرجا (٢) من أعمال محافظة سوهاج بصعيد مصر سنة ٨٣٨ هجرية تقريبا

---

(١) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ : مارس سنة ١٩٨٣ م مقال الأزهر المعجزة الجامعة الرباط لسماحة الشيخ عبد الله كنون :

(٢) تكلمنا عن تاريخ مدينة جرجا بشيء من التفصيل فى مقالنا من أعلام الأزهر فى القرن الحادى عشر الهجرى (الشيخ أحمد هاشم المكاوى الشهير بأحمد السيوطى) بمجلة الأزهر المحرم سنة ١٤٠٥ هجرية أكتوبر سنة ١٩٨٤ م وهو المقال السابق فى هذا الكتاب .

ونشأ في كنف والديه وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ فيها القرآن الكريم وقرأ العمدة ومختصر أبي شجاع وعمل في شبابه بالوقادة في الأزهر حيث كان يشعل فوانيس الزيت في أروقة الأزهر في ذلك العصر واستمر على أداء هذا العمل حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمره (١)

حادثة تعرض لها غيرت مجرى حياته إلى الوجهة العلمية :

ذلك أنه بينما كان يشعل إحدى الفتائل بالأزهر سقطت فتيلة على كراس أحد طلبة العلم فهاج ذلك الطالب وشتمه وعيره بالجهل وعندئذ ترك الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري الوقادة واشتغل بطلب العلم وهو في تلك السن المتأخرة عن وقت التحصيل وجَدَّ واجتهد وبرع وصنف حتى صار من كبار علماء النحو والإعراب واللغة (٢) .

شيوخه الذين تتلمذ عليهم :

تتلمذ الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري على عدد من شيوخ الأزهر ودرس عليهم اللغة العربية ونال منهم الإجازة نذكر منهم :

١ ـ الشيخ السنهوري قرأ عليه كتب ابن الحاجب المصري .

٢ ـ الشيخ الأمين الأقصرائي قرأ عليه كتاب العضد وحاشيته .

---

(١) كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ج ٣ نشر مكتبة القدسي سنة ١٣٥٤ هـ .

(٢) كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي حـ ٧ نشر مكتبة القدسي سنة ١٣٥١ هـ .

٣ – الشيخ التقى الحصنى درس عليه علوم البديع والمعانى والصرف والمنطق والأصول والبيان .

٤ – الشيخ على بن المجدى درس عليه علمى الفرائض والحساب .

٥ – الشيخ يعيش المغربى نزيل سطحه قرأ عليه فى العربية .

٦ – وقرأ على الجوجرى وإبراهيم العجلونى والزين الإبناسى والشيخ داود المالكى والشيخ عباس الأزهرى وغيرهم (١) .

مؤلفاته العلمية :

بارك الله فى علم ودراسة الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى فألف عدة مؤلفات قيمة قاربت الخمسة عشر مؤلفاً أشهرها الكتب الآتية :.

١ – التصريح بمضمون التوضيح .

وهوشرح على كتاب أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك للعلامة ابن هشام وقد طبع هذا الكتاب بحاشية الشيخ ياسين العليمى فى مجلدين وأثنى الإمام ابن العماد الحنبلى على هذا الكتاب فقال عنه (إنه لم يصنف مثله)

٢ – الحواشى الأزهرية – وهو كتاب فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية فى التجويد .

٣ – المقدمة الأزهرية فى علم العربية .

وقد طبع هذا الكتاب بحاشية العلامة أبى بكر الشنوانى، كما شرحها

(١) كتاب الضوء اللامع حـ ٣ لشمس الدين السخاوى المرجع السابق .

الشيخ زين الدين منصور الطبلاوى فى كتاب العقود الجوهرية فى حل ألفاظ الأزهرية .

٤ — الزبدة فى شرح البردة .

وهو رسالة فى شرح قصيدة البردة التى قام بتأليفها الإمام البوصيرى وقد شرحها شرحاً مفصلا ثم اختصره .

٥ — موصل الطلاب الى قواعد الإعراب .

وهو شرح قواعد الإعراب لابن هشام .

٦ — شرح المقدمة الأجرومية فى كتابين .

وقد قام بتأليف ذلك الشرح بطلب من أستاذه الشيخ عباس الأزهرى وطبع الكتاب الأول بحاشية الشيخ أبى بكر الشنوانى ، وطبع الثانى بحاشية الشيخ أحمد بن سلامة القليوبى .

٧ — القول السامى على كلام ملا عبد الرحمن الجامى فى النحو .

٧ — تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب وهو إعراب لألفية ابن مالك .

٩ — الألغاز النحوية .

وهو كتاب لطيف يحوى مسائل يُعدها النحاة من الألغاز التى تحل بالذكاء .

١٠ — تفسير آية (فلا أقسم بمواقع النجوم) سورة الواقعة ٧٥ (١)

---

(١) كتاب معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية تأليف عمر رضا كحاله الجزء الثالث نشر المكتبة العربية بدمشق مطبعة الترقى سنة ١٣٧٦ هـ سنة ١٩٥٧ م — ومجلة الحرس الوطنى السعودية ذو القعدة سنة ١٤٠٨ هـ — يونية سنة ١٩٨٨ م من مقال الأستاذ أحمد بن عبد الله الباتلى .

وفاتـــه :

توفى الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ببركة الحاج خارج القاهرة بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام ،وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٩٠٥ هجرية التى توافق سنة ١٤٩٩ميلادية (١)

وبعـــد :

فإن الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى يعد بمؤلفاته السابق الإلماع إليها من أفاضل علماء الأزهر الذين قاموا فى عصره على خدمة اللغة العربية خير قيام. فإذا كان الاهتمام بلغة العرب واجبا وحتما فى كل الأزمنة فذلك أن العرب يحملون مسئولية ضخمة لايحملها شعب آخر ، والتراث الإسلامى من الكتاب والسنة اكتمل بلغتهم ونهر المعرفة الدينية والأدبية تفجر من منابعهم وامتد مع التاريخ بلسانهم،قال الله تعالى (إنَّا أنْزلناه قرآنا عربيا لعَلكم تعقِلون) سورة يوسف ٢ .

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما :

١ — الدين بعلومه المختلفة .

٢ — واللغة بفنونها المعروفة .

وهذان الركنان يشدّ أحدهما الآخر ويمسكه .

(١) فالإسلام بغير العربية ينبهم ويضمحل .

---

(١) كتاب شذرات الذهب لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى الجزء السابع المرجع السابق .

(٢) والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول . (١)

والإسلام وإن كان قد سوى بين الأجناس كلها فى الحقوق والواجبات العامة إلا أن ذلك لايغير من الحقيقة الثابتة وهى أن العرب هم دماغ الإسلام ،وأن نزول الوحى بلغتهم يجعلهم حكاما أو محكومين قادة الفكر والفقه والأدب والتربية فى كافة بلاد الإسلام .

والأزهر بقيامه بتخريج أولئك العلماء فى الدين واللغة انتهت إليه فى القرون الثلاثة الهجرية السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة فى جميع البلاد العربية فحفظ وجود اللغة ورفع سقوط الأدب وجمع شمل العلم والدين .

---

(١) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ — مارس سنة ١٩٨٣ م مقال : كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية بقلم المرحوم أحمد حسن الزيات .

الشيخ أحمد بن شرقاوي

الملقب أبو المعارف

شخصية فذة فى العلم والدين والتصوف اتسمت بقدرات المصلح الاجتماعى والمربى الفاضل والاضطلاع بمهام الوعظ والإرشاد بين الناس وحثهم على اتباع طريق الخير والبعد عن الشر ونهيهم عن المنكر والبغى.

ذلك هو الشيخ أحمد بن شرقاوى الملقب بأبى المعارف. شب منذ صغره على العبادة وعلى حسن الأدب وصفاء السريرة والأخلاق الرفيعة والزهد فى الدنيا وإيثار الآخرة والاجتهاد فى العلم مع الاهتمام بالفقه.

يصفه الأستاذ الإمام محمد عبده ـ وكان من المعاصرين له وعارفى فضله أنه من العلماء العاملين ومن بقايا شيوخ التصوف المخلصين:

مولده وأصل محتده:

ولد الشيخ أحمد بن شرقاوى عام ١٢٥٠ هجرية التى توافق عام ١٨٣٤ ميلادية بناحية نجوع غانم بجوار مدينة فرشوط من أعمال محافظة قنا وبها نشأ وتربى فى حجر والده على مبادئ الدين والصلاح والتقوى وحسن الأدب وجميل الخلق.

أما أصل محتده فمن قرية الخلفية بجوار مدينة جرجا من أعمال محافظة سوهاج وما زال بها أقاربه وفروع أسرته وهم جميعا ينتسبون

إلى قبيلة بنى محمد التى هى من ذرية محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وبعد حفظه للقرآن الكريم فى سن مبكرة شد رحاله الى مدينة جرجا حيث كانت وقتئذ بلدة العلوم والمعارف الإسلامية كما كان لعلمائها صيت كبير فى تدريس العلم والشريعة نظرا لوجود المعهد الدينى العتيق بها إذ كان بمثابة رافد من روافد الازهر الشريف المنبثة فى شتى البلاد بالديار المصرية(١) .

ويذكر الرواة أنه نهل العلوم على يد العلامة الشيخ على مكى السيوطى أحد كبار علماء الإسلام فى تلك المدينة المشار إليها فى ذلك العصر .

سلوكه طريق التصوف :

سلك الشيخ أحمد بن شرقاوى طريق التصوف على يد أستاذ جليل وعالم مشهور من أئمة التصوف فى زمانه كان يقيم فى مدينة طهطا فى منتصف القرن الماضى هو العارف بالله الشيخ أحمد الخضيرى الطهطائى وهو واحد من رجال السادة الخلوتية المرموقين الذى أخذ الطريق عن العارف بالله الشيخ أحمد السكرى الذى أخذ الطريق عن أبى البركات ومهبط النفحات الشيخ العلامة أحمد الدردير والذى سلك طريق التصوف على يد الشيخ شمس الدين محمد الحفنى شيخ الأزهر الثامن عن العارف

---

(١) مجلة الأزهر محرم عام ١٤٠٥ هجرية مقال من أعلام الأزهر الشيخ أحمد هاشم المكاوى الشهير بأحمد السيوطى .

بالله تعالى السيد - مصطفى الصديقى البكرى والذى هو من ذرية الخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ويحكى الشيخ أحمد بن شرقاوى عن ذلك فيقول أنه بعد أن تم تدرجه فى أسماء الله المقررة أمر شيخه السيد - أحمد الخضيرى بإعداد وليمة فى داره وجمع فيها مجلسا حافلا من العلماء والأشراف وأهل الطريق وتلا عليهم الإجازة إعلاما بأنه صار خايفته وأنه راض عنه حتى أنه أمر فى حياته بعض خواص أتباعه أن ينتقل منه إليه وأن يعول فى سيره عليه (١) .

شيوخ الأزهر الذين اجتمع بهم :

كان من عادة الشيخ أحمد بن شرقاوى عند سفره إلى القاهرة الإقامة فى ضاحية عين شمس، وقد اجتمع مع الكثيرين من كبار رجال الأزهر فى زمانه نذكر منهم الشيخ إبراهيم الباجورى والشيخ مصطفى البولاقى والشيخ محمد الإمبابى والشيخ مصطفى الذهبى والشيخ إبراهيم السقا والشيخ محمد الخضرى الدمياطى والشيخ مصطفى المرصفى .

كما كان من أخلص أصدقائه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ سليم البشرى والشيخ حسونة النواوي والشيخ أبو الفضل الجيزاوى والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد هارون .

وقد تولى بعضهم مشيخة الأزهر ووكالة الأزهر فيما بعد .

---

(١) كتاب مطية السالك إلى مالك الممالك تأليف الشيخ أحمد الطاهر الحامدى طبعة دار وهدان عام ١٩٧٨ .

تلاميــذه :

له تلاميذ كثيرون من أشهرهم الشيخ يوسف الحجاجى الأقصرى والشيخ أحمد الطاهر الحامدى والشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ محمد بن محمد المراغى والشيخ عبد الرحيم السيوطى الجرجاوى (١)

مؤلفاتــه :

بلغت هذه المؤلفات ستة كتب هى :

١ - كتاب شمس التحقيق وعروة أهل التوفيق .

٢ - كتاب الذاكرين وإرغام المكابرين .

٣ - كتاب المورد الرحمانى. وهو فى التوحيد والتصوف وقد شرحه اثنان من تلاميذه هما :

(ا) الشيخ الفقيه أحمد الطاهر الحامدى المتوفى فى عام ١٣٣١ هـ.

(ب) والشيخ العلامة محمد حسنين مخلوف والد الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق .

٤ - كتاب منحة الفتاح ورقية الأرواح.

٥ - كتاب الوسيلة الحسنى فى نظم أسماء الله الحسنى ويشتمل على منظومة من ١٢٠ بيتا من الشعر .

---

(١) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٥ جمادى الآخرة عام ١٤٠٩ هـ - ١٣ يناير سنة ١٩٨٩ م مقال ملامح شخصية أبى المعارف أحمد بن شرقاوى بقلم الأستاذ أبو الحجاج حافظ .

٦ – تشطير بردة الإمام البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم (١)

درايته بفنون الشعر واللغـــة :

كان الشيخ أحمد بن شرقاوى على دراية تامة بفنون الشعر وتمكن كامل من اللغة العربية مما أهله للقيام بتشطير بردة الإمام البوصيرى فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى وصلت إلى ٣٢٩ بيتا من الشعر وقد بدأها بالأبيات الآتية :–

حمدا لمن أنشأ الأكوان من عدم	ومتع الخلق بالإحسان والنعم
ثم الصلاة على خير البرية مَن	مِن شأنه أن يراعىِ الرحم بالرحم
وصحبه الغر والأتباع ما سطعت	أنواره فى محب ثابت القـدم
وبعد فانظر سنا تشطير بردة من	قد فاق فى شهرة تغنيك عن كلمى
من أحمد الخلفى الشرقاوى بلدته	دير السعادة من للخلوتى نمى
واسمع بـأُذن لحسن السبك واعية	وجل بلب لما يطوى به فهم
إن كنت تبغى سماعا كى تحوز حلا	فخذه مع أصله السامى وطب وهم

ثم استأنف تشطيره لقصيدة البردة وقد جاء فيها :

(أمن تذكر جيران بذى سلم)	أصبحت ذا خلد بالوجد مصطلم
أم من تفتت قلب فى الحشا شغفا	(مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

(١) جريدة الأخبار القاهرية المصدر السابق .

(أم هبت الريح من تلقاء كاظمة) فحركت شوقك الخافى عن الأمم
واستعطف الله واستغفر وكن وجلا (من المحارم والزم حمية الندم)
(وخالف النفس والشيطان واعصمها) ولا تكن معهما يوما بملتئم
وجد فى السير لا تركن لغيهما (وإن هما محضاك النصح فاتهم)

وعندما انتقل فى تشطيره إلى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يقول :

(محمد سيد الكونين والثقلين) إذ هو الروح للأرواح من قدم
يعطى ويمنع بالحسنى فلست ترى (أبر فى قول لا منه ولا نعم)
(هو الحبيب الذى ترجى شفاعته) فى يوم فصل القضا والخطب فى عظم
أكرم به ملجأً تعنيه أمته (لكل هول من الأهوال مقتحم)
(فاق النبيين فى خلق وفى خلق) وتوج الرسل بالأنوار فى القدم
والكل منهم نأى عن شأو رتبته (ولم يدانوه فى علم ولا كرم)
(وكلهم من رسول الله ملتمس) عوائد الجود من إحسانه العرم
وكلهم طالب من فضل ساحته (غرفا من البحر أو رشفا من الديم)
(فإن فضل رسول الله ليس له) شأو فيدرك بالأفكار والهمم

ثم يختم تشطيره لتلك القصيدة المباركة والتى وصلت أبياتها كما قدمنا إلى ٣٢٩ بيتا بقوله :

(يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به) إلا جنابك يجلو ظلمة الغمم
أنا الحسيب ومالى من أؤمله (سواك عند حلول الحادث العمم)
(يارب واجعل رجائى غير منعكس) واجعل ضياء ابتهاجى غير منحسم

واجعل وثوقى بما يرضيك متصلا (لديك واجعل حسابى غير منخرم)
(وأذن لسحب صلاة منك دائمة) تفوق عدًّا الحصى والرمل والرَّكم(١)
واسكب غيوث العلا والقرب مكرمة (على النبي بمنهلٍ ومنسجم)
(والآل والصحب ثم التابعين فهم) أهل المكارم والإقدام والهمم

وعندما ظهر ذلك التشطير تقبله المعاصرون له من العلماء أجمل قبول واحتفوا به بما يليق به وأثنوا عليه بتقاريظ أدبية وطرائف بلاغية سجلوها مكتوبة ، فقد قرظها المرحوم الشيخ حسونة النواوى الحنفى شيخ الأزهر الأسبق والمرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ السادة المالكية والشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي وهو من كبار علماء المذهب المالكى وقد تولى هو وسابقه مشيخة الأزهر فيما بعد. وكذا المرحوم الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الإسكندرية ووكيل الأزهر الأسبق كما قرظها المرحوم السيد على الببلاوى نقيب السادة الأشراف بمصر والشيخ العلامة المرحوم محمد بخيت رئيس المجلس العلمى بمحكمة مصر الكبرى الشرعية والمرحوم الشيخ حمزة فتح الله رئيس مفتشى العلوم العربية والمرحوم الشيخ إسماعيل الحامدى شيخ رواق الصعايدة بالأزهر والمرحوم الشيخ أحمد الطاهر الحامدى وكثير غيرهم من العلماء قرظها فى ذلك العصر (١) .

---

(١) الركم أى السحاب المتراكم .

(٢) رسالة فى تشطير بردة الإمام البوصيرى للمرحوم الشيخ أحمد بن شرقاوى طبعة المطبعة الكلية بالسكة الجديدة بمصر عام ١٣٣٠ هجرية — ١٩١٢ ميلادية .

وفاتــه :

وبعد حياة حافلة أمضاها الشيخ أحمد بن شرقاوى الملقب بـأبى المعارف فى تربية النفوس وتهذيب الأخلاق وفى خدمة الدين والعلم والتصوف والدعوة إلى الله لقى ربه ،وكان ذلك فى عام ١٣١٦ هجرية التى توافق عام ١٨٩٨ ميلادية ودفن فى قريته التى دعيت فيما بعدبدير السعادة (نجع الشرقاوى) بالقرب من مدينة نجع حمادى بمحافظة قنا .

* * *

الشيخ محمد شاكر

علم من أعلام الأزهر عرف بعلمه الغزير وفقهه الدقيق،وكما كان صلبا فى دينه وصلبا فى عقيدته كان صلبا فى رأيه شجاعا فى الحق لايرهب أحدا من الناس،فكانت خشيته من الله وحده يعمل لرضاه ويرجو رحمته .

عرفته المنابر خطيبا قويا يذود عن الاسلام ويرد عنه سهام أعدائه ، كذلك حرر فى الصحافة المصرية - خصوصا فى جريدة المقطم القاهرية التى كانت تصدر فى أوائل هذا القرن - العديد من المقالات وعالج فيها كثيرا من أمور المجتمع وشئون المسلمين، وفضح أعداء الاسلام الذين كانوا يعملون على تقطيع أوصال المسلمين وتفريقهم دولا متناثرة تتدثر ببدعة القوميات الزائفة التى ابتدعتها الصليبية الأوروبية لتفرق بها كلمة المسلمين وتضرب بعضهم ببعض ولتفتنهم عن مبدأ الإسلام السياسى والاجتماعى السليم الذى شرعه الله لهم وأمرهم باتباعه والعض عليه بالنواجذ وهو مبدأ (الجنسية الإسلامية) الذى قننه القرآن الكريم فى قوله تعالى (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)(١) . وقوله جل شأنه (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (٢)

---

(١) سورة الأنبياء ٩٢ :

(٢) سورة المؤمنون ٥٢ .

لذلك كانت شريعة الإسلام تجعل من المسلمين أمة واحدة نظرا لوحدة عقيدتهم التى تجمعهم حتى لو اختلفوا فى الجنس والإقليم وغير ذلك،لأن عنصر العقيدة الإسلامية يغلب هذه الاختلافات ويجعل المسلمين وهم إخوة فى الدين - أمة واحدة ودولة واحدة (١)

ذلك هو المرحوم الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر (من آل أبى علياء) ، وآل أبى العلياء أسرة معروفة من أشراف البيوتات بمدينة جرجا بمحافظة سوهاج فى الصعيد الأوسط بمصر .

كيف كانت نشأته :

ولد رحمه الله فى منتصف شهر شوال سنة ١٢٨٢ هـ الموافق مارس سنة ١٨٦٦ م ولما شب تلقى مبادئ التعليم وحفظ القرآن الكريم على علماء بلده فى مدينة جرجا ، ثم رحل إلى القاهرة لينتظم بالأزهر الشريف حيث تلقى العلوم الإسلامية عن كبار الشيوخ وأفاضل العلماء فيه .

تعيينه أمينا للفتوى ثم قاضياً بالمحاكم الشرعية :

بعد أن أتم الشيخ محمد شاكر دراساته فى الأزهر الشريف عين أمينا للفتوى مع أستاذه العظيم الشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وقتئذ،وكان ذلك فى ١٥ رجب سنة ١٣٠٧ هـ الموافق ٤ مارس سنة ١٨٩٠ م وفى ٧ من شعبان سنة ١٣١١ هـ الموافق ١٣ من فبراير سنة ١٨٩٤ م نقل

---

(١) كتاب أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام المبحث الثانى عن الجنسية فى الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الحكيم زيدان الأستاذ بكلية الآداب جامعة بغداد ونشرته الجامعة المذكورة سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م :

إلى منصب نائب محكمة بنها الشرعية وبقى بالمحاكم الشرعية مدة خمس سنوات كشف فيها عن كثير من العوائق العالقة بها مما كان يرهق جمهور المتقاضين بسبب صعوبة إجراءاتها وما كان فى نظمها ولوائحها من تعقيدات ، وكذا سوء أمكنتها وإهمال الحكومات المصرية لها تحت ضغط الاحتلال الانجليزى وإعراضها عن إصلاح نظمها ولوائحها أو العناية بأمكنتها وأبنيتها (١) .

اقتراحاته لإصلاح المحاكم الشرعية :

وضع المرحوم الشيخ محمد شاكر تقريرا عن المحاكم الشرعية أبان فيه أوجه النقص والقصور فى لائحتها ونظمها وعمالها واقترح طرق إصلاحها تفصيلا ومنها :

عدم التقيد بمذهب معين .

واقتباس بعض الأحكام من مذهب الإمام مالك فى التطليق للإعسار وللضرر وللغيبة الطويلة لما تبين له حين كان أمينا للفتوى أن المصلحة تقتضى ذلك (٢) .

قيام الأستاذ الإمام محمد عبده بنفسه بالطواف على المحاكم الشرعية :

لما تقدم الشيخ محمد شاكر بتقريره عن إصلاح المحاكم الشرعية

---

(١) كتاب محمد شاكر علم من أعلام العصر تأليف الشيخ أحمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا السابق .

(٢) المرجع السابق .

قام الشيخ محمد عبده بنفسه بعد تعيينه مفتيا للديار المصرية بالطواف على كثير من محاكم الوجه البحرى واطلع على سير العمل فيها ثم وضع تقريره عن إصلاح تلك المحاكم وهو التقرير المشهور الذى طبع بمطبعة المنار فى شوال سنة ١٣١٧ هـ الموافق سنة ١٩٠٠ م فاتفق رأى الأستاذ الإمام محمد عبده مع رأى تلميذه فى كثير من أنواع النقد وطرق الاصلاح خصوصا فى الأخذ بشىء من أحكام المذاهب الأخرى وعدم التقيد بمذهب الإمام أبى حنيفة النعمان (١) — رضى الله عنه .

تعيينه فى منصب قاضى قضاة السودان :

رأى المرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده أن يمكن للشيخ محمد شاكر العمل فى بلاد السودان حتى يستطيع أن ينفذ آراءه فى الإصلاح مادامت عسيرة التنفيذ فى مصر، فزكاه لمنصب قاضى القضاة بالسودان فسافر إلى هناك إثر تعيينه مباشرة فى ١٠ من ذى القعدة سنة ١٣١٧ هـ الموافق ١١ مارس سنة ١٩٠٠ م عقب انتهاء الثورة المهدية فوضع للمحاكم الشرعية بالسودان من النظم نهجا مما سبق أن اقترحه وأراده لها فى الديار المصرية واقتبس من القوانين المزمع العمل بها من جميع المذاهب الإسلامية ماكانت الحاجة ماسة إليه مما تنصره أدلة الشريعة وفقهها الصحيح وخصوصا الحكم بالتطليق للغيبة والإعسار والحبس والضرار ونحوها وقد أخذت به الدولة

---

(١) كتاب الشهر — الإمام الشيخ محمد عبده تأليف محمد صبيح نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

فى مصر بعد ذلك بالقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ ، كما وضع كثيرا من القواعد الدقيقة للإجراءات،وقد اقتبس أيضا بعضها فى مصر فى اللائحة التى صدرت للمحاكم الشرعية بها سنة ١٩١٠ فسبق السودان مصر بعشر سنين فى بعض نواحى إصلاح تلك المحاكم وفى بعضها بعشرين سنة .

ولولا أن السياسة العامة للدولة المصرية فى التشريع والقضاء وضعها وقتئذ أناس لاعلم لهم بسمو شريعة الإسلام ودقائق مقاصدها وأهدافها وضعف المسئولين أمام سطوة الاحتلال الإنجليزى الذى كان جاثما بثقله على البلاد لسار القضاء الشرعى سيرة كبيرة تمكن له فى البلاد أن يكون وحده هو القضاء العام فى شئون الدولة كلها من مدنية وجنائية وشخصية ولما تأخر تطبيق شريعة الإسلام فى شئون القضاء والحكم حتى اليوم .

قيامه بالدعوة الإسلامية فى بلاد السودان :

رغم انشغال الشيخ محمد شاكر بشئون القضاء فى بلاد السودان وهى ليست بالأمر الهين لم ينس أنه قبل كل شىء داعية من دعاة الإسلام تخرج فى الأزهر الشريف مهد الدعوة الإسلامية العتيد ومربى الدعاة إلى الله على مر العصور والأجيال،لذلك كان يقوم بتعليم الناس شئون دينهم بإلقاء الدروس الثقافية والخطب المنبرية والمواعظ الدينية فى مختلف المساجد والمحافل هناك كما قرأ لهم صحيح الإمام البخارى كله .

نقله من بلاد السودان وتعيينه شيخاً لعلماء الإسكندرية :

يبدو أن الإنجليز لم تحتمل النشاط الإسلامى للشيخ محمد شاكر فى بلاد السودان لذلك نراه نقل منها فجأة حيث تم تعيينه شيخا لعلماء الإسكندرية فى ٢٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م فبث فى محيط عمله من روحه الوثابة مايشيع الحركة والاجتهاد واختار لعونه فى مهمته أربعة من نوابغ العلماء من رجال الأزهر وهم :

١ — الشيخ عبد الله دراز .

٢ — والشيخ عبد المجيد الشاذلى .

٣ — والشيخ عبد الهادى مخلوف .

٤ — والشيخ إبراهيم الجبالى .

واختار من الكتب والمقررات الدراسية ومن العلوم الدينية والعربية وكذا من العلوم الأخرى مايحتاج إليه طالب العلم فى ثقافته العامة مما يسميه الناس بالعلوم الحديثة وجعل دراستها إجبارية (١) .

حرصه على تحلى طالب العلم بالأخلاق الفاضلة :

كان أكثر مايحرص عليه أن يكون طالب العلم الأزهرى قوى الخلق عزيز النفس مستقل الرأى كما كان يرجو أن يخرج عالم الإسلام إلى الحياة العامة مجتهدا يبث فيها من أفكاره العلمية وروحه الإسلامية حتى

---

(١) كتاب محمد شاكر علم من أعلام العصر تأليف الشيخ أحمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا — المرجع السابق ؟

تستقيم أمور الأمة وتعتدل أحوال الدولة فيعود فيها للإسلام مجده ويتمكن أبناؤه من مقاومة تغلغل النفوذ الأجنبى وتسلط الاستعمار الإنجليزى الذى كاد ينحرف بالأمة عن دينها وعن مقومات حياتها .

احتفاله بالناجحين من الطلاب كل عام دراسى :

سن الشيخ محمد شاكر سنة حسنة لطلب العلم إذ كان يأمر فى آخر كل عام دراسى بإقامة احتفال رسمى للناجحين بمسجد العارف بالله أبى العباس المرسى بمدينة الإسكندرية تمنح لهم فيه المكافآت والهدايا من الكتب العلمية ويحضره حاكم البلاد والوزراء ورجال الإدارة ويخطب فيه شيخ العلماء خطبة تناسب المقام .

رده فى إحدى خطبه على المعتمد البريطانى عندما تعرض للإسلام :

كان اللورد كرومر المعتمد البريطانى وممثل الاحتلال فى مصر قد قال - فى بعض أحاديثه عن الإسلام : (إنه يجيز الرق ويتضمن سننا وشرائع فى علاقات النساء بالرجال تناقض آراء أهل هذا العصر) فرد عليه الشيخ محمد شاكر فى خطبة ألقاها فى احتفال الخريجين بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧ بشجاعته المعهودة دون أن يخشى شيئا من مكره أو جبروته أو من دولته المستعمرة . وقد كان ذلك بحضور حسين فخرى باشا القائم برئاسة مجلس النظار وقتئذ وحضور ناظر الأشغال العمومية وناظر المالية ومحافظ الإسكندرية ورئيس الديوان الخديوى وكان مما قاله فى خطبته (يقولون إن هذا الدين يجيز الرق ونسوا أن الشرائع

السماوية من قبله أباحته ، أما الإسلام فسوى بين الأرقاء وبين الآباء والأمهات فى الوصية بالإحسان والرفق والحنان . أليس الله تعالى يقول فى كتابه العزيز (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ إن اللهَ لاَيُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً) (١) .

إن الإسلام بحمد الله لم يبح استرقاق الشعوب ولامصادرة الأمم فى مقومات حياتها القومية والاجتماعية .

أما علاقات النساء بالرجال فليس وراء الشريعة الإسلامية غاية فى عدل ولا فى مرحمة ولا فى محافظة على الأعراض المصونة يتطلع إليها أصحاب النفوس الأبية (٢) .

ندبه للقيام بأعمال منصب مشيخة الأزهر ثم تعيينه وكيلا للأزهر:

فى أواخر سنة ١٣٢٤ هـ كلف رحمه الله بالقيام بأعمال شيخ الأزهر نيابة عن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربينى بالإضافة إلى عمله فى مشيخة علماء الاسكندرية وكان ذلك لمدة أربعة أشهر .

وفى ٩ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هجرية الموافق ٢٩ إبريل سنة ١٩٠٩ م

---

(١) سورة النساء ٣٦ .

(٢) بتصرف من خطبة للشيخ محمد شاكر ألقيت فى احتفال الخريجين فى يوم السبت ٢٢ من رجب ١٣٢٥ هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٠٧ وهى مذكورة فى التقرير الرابع من أعمال مشيخة علماء الإسكندرية ١٣٢٤ (الدراسية) .

عين وكيلا للأزهر فسار فيه سيرته في الإصلاح ، ومهد لذلك برحلة واسعة إلى بلاد الصعيد زار فيها المدن وكثيرا من القرى ليستطلع أحوال الدراسات الدينية التي كانت تقوم في المساجد تمهيدا لإنشاء المعاهد العلمية لتكون فروعا وروافد منتظمة للأزهر ، ونتيجة لذلك تم إنشاء معهدى أسيوط وقنا ثم صدر قانون النظام في الأزهر سنة ١٩١١ وتم بموجبه إنشاء هيئة كبار العلماء فكان الشيخ محمد شاكر ضمن علمائها واستمر بها حتى تاريخ وفاته .

ومما هو جدير بالذكر أنه عند وضع الميزانية سنويا لمعهد الإسكندرية ثم لإدارة الأزهر كان يقرر فيها مايستحقه العلماء والموظفون من علاوات ونحوها إلا أمام اسمه فكان يكتب (لايستحق شيئا) .

تعيينه في الجمعية التشريعية ثم اشتراكه في ثورة سنة ١٩١٩ :

عندما أنشئت الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ م عين عضوا بها ، ولما قامت الثورة الشعبية ضد الإنجليز سنة ١٩١٩ اشترك فيها خصوصا بنداءاته الشديدة لجماهير الشعب تلك النداءات التي كانت تزيد في وقود الثورة واشتعالها ، ولما انتهت الثورة وهدأت أحوال البلاد بإلغاء الحماية الإنجليزية وإعلان استقلال مصر عن بريطانيا نأى بنفسه عن الانضمام إلي أى حزب من الأحزاب لأنه لم ير أن يسلم مقاده إلى أحد من الناس كائنا من كان .

مرضه واعتزاله ثم وفاتـــه :

ومنذ سنة ١٩٣١ اعتزل الدنيا بسبب ما ألم به من مرض أقعده فى منزله فلزم الفراش صابرا محتسباراضيا عن ربه إلى أن جاءته الدعوة إلى لقائه فقبضه إليه هادئا مطمئنا، وكان ذلك فى صباح الخميس ١١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ٢٩ يونية سنة ١٩٣٩م :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(١)

* * *

(١) سورة القمر ٥٤ ، ٥٥ :

نشر بمجلة الأزهر — الجزء السادس — السنة السابعة والخمسون جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ — مارس سنة ١٩٨٥ م .

الشيخ على الجرجاوي

أول من دعا إلى الإسلام فى بلاد اليابان

لاجدال فى أن حمل الرسالات وتبليغها تكليف قبل أن يكون تكريما وهو مسئولية كبرى ترهق أصحابها وتضعهم بإزاء حمل باهظ. فما أعظم هذه المسئولية وأدق حسابها،وإذا كان النبى محمد صلى الله عليه وسلم رسولا للعالم كله وليس للعرب خاصة فيجب على العرب والمسلمين أن يوصلوا رسالته إلى كل قبيل من الناس وبكل لغة يتم التفاهم بها .

هذا الكلام فقهه علماء الأزهر منذ أقدم عصوره ، فهذا واحد من أولئك الأماجد تحمل آلام الاغتراب وتنقل بين الشعوب والأقطار وركب البحار وجاب الآفاق فى أوائل هذا القرن الميلادى حتى وصل إلى بلاد اليابان لا لغرض دنيوى أولكسب مادى ، ولكن ليبث دعوة الله وينشر عقيدة الإسلام هناك غير مبال بما يعترضه من الأخطار وما يلاقيه من وعثاء السفر والأهوال .

ذلك هو الشيخ على أحمد على الجرجاوى الداعية الإسلامى وصاحب كتاب الرحلة المشهورة إلى بلاد اليابان،والذى لم يغفل خلال رحلته فى كل بلد زاره عن دراسة أحواله وتاريخه وحضارته لينقل النافع من هذا كله إلى أبناء دينه وأمته ووطنه .

يقول عنه الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبي الأمين العام السابق للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، والذى كشف اللثام فى هذه الأيام عن أمر رحلته فى الدعوة إلى الإسلام فى بلاد اليابان (إننا إذا قلنا إن عمر الإسلام أربعة عشر قرنا من الزمان فإن اليابان ظلت ثلاثة عشر قرنا لاتعرف شيئا عنه ولم يعتنق الإسلام من اليابانيين خلال تلك القرون الثلاثة عشر سوى يابانى واحد فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى. أما بعد أن قام الشيخ على الجرجاوى برحلته للدعوة الإسلامية هناك فإن نور الإسلام بدأ يشرق على تلك البلاد (١) ، ولو لم يكن ذلك الداعية الإسلامى من هؤلاء الرواد الذين اختاروا التضحية طريقاً إلى الله مااستطاع التنقل والترحال بين مختلف الأقطار مسافرا أكثر من اثنى عشر ألف ميل محتملا مايعجز عنه أولو العزم من الرجال دافعه إلى ذلك إيمان يتخطى الصعاب وروح جياشة بالأمل والعمل لخير المسلمين والإسلام) (٢) .

أما الشيخ على الجرجاوى فيقول عن تلك الرحلة (حسبى شرفا أنها رحلة أول مصرى وطئت قدمه تلك الأرض من قديم الزمان ، وقد رأيت أن أهدى رحلتى إلى كل عالم وأديب فى مصر خصوصا الناشئة الحديثة التى هى موضع آمال الأمة ، ومقصد آخر أرى من الضرورى الإلماع إليه

---

(١) مجلة الأزهر الجزء الثانى صفر سنة ١٤٠٦ هـ - أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٨٥ م .
(٢) مجلة الأمة القطرية السنة السادسة شوال سنة ١٤٠٦ هـ - حزيران (يونية سنة ١٩٨٦ م) .

وهو أننا أصبحنا فى عهد تتسابق فيه الأمم إلى إحراز قصب السبق فى ميدان الحضارة،فأجدر بالشبيبة المصرية أن تطالع مثل هذه الرحلة ليروا أن فى الشرق أمة تنظر إليها الأمم الأخرى نظر الإجلال والاعتبار حتى إذا قرءوا مالم يصل إلى علمهم عنها دبت فى نفوسهم الحمية فنزعوا رداء الكسل،وقالوا حى على خير العمل،فإذا عرف هذا علم أننى لم أتحمل الأخطار ووعثاء الأسفار ولم أعتمد فى الإنفاق إلا على الخلاق لأجل نفع بلادى وخدمة دينى وجامعتى،وهذا هو أول مبرر لوضع هذه الرحلة(١)

مولده ونشأته :

ولد الشيخ على أحمد على الجرجاوى فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى فى مدينة جرجا،لذلك كان يلقب بالجرجاوى وهى من أعمال محافظة سوهاج ، وقد حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة فى أحد كتاتيب تلك المدينة ثم درس بعض العلوم الدينية على علماء عصره بها نظرا لما كانت تتمتع به منذ زمن بعيد من شهرة فى دراسة العلم والدين ولما لوجود المعهد الدينى العتيق بها والذى يرجع عهده إلى سنة ١٠٠٥هـ(٢)، ثم سافر إلى القاهرة لاستكمال الدراسة وتحصيل العلم بالأزهر الشريف حيث تتلمذ على كثير من علماء الأزهر

---

(١) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على أحمد الجرجاوى — الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ مطبعة جريدة الشورى بالفجالة بمصر .

(٢) مجلة الأزهر عدد محرم سنة ١٤٠٥ هـ — أكتوبر سنة ١٩٨٤ م مقال من أعلام الأزهر فى القرن الحادى عشر الهجرى .

فى ذلك الوقت نذكر منهم المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى وعندما فتحت مدرسة القضاء الشرعى التحق بها وانتظم فى صفوف طلابها حتى نال إجازتها العلمية .

بعد انتهاء الشيخ على الجرجاوى من دراساته الدينية والتشريعية فى فى نهاية القرن الماضى وأوائل هذا القرن آثر الاشتغال بالعمل الحر فابتعد عن الأعمال الحكومية ، ويبدو أن مادفعه إلى ذلك هو مالاحظه من تسلط الإنجليز على مقدرات البلاد إثر فشل الثورة العرابية واحتلال الجيش البريطانى لأراضيها وتحكمه فى مرافقها فاختار ذلك الداعية العمل فى الصحافة الإسلامية فأسس صحيفة الإرشاد التى كان يصدرها ويرعاها فى بداية هذا القرن ، كما اشتغل بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية ثم عمل رئيسا لجمعية الأزهر العلمية .

لماذا فكر الشيخ على الجرجاوى فى الرحلة إلى بلاد اليابان :

يذكر ذلك الداعية الإسلامى عن دافعه إلى القيام بتلك الرحلة فيقول : كنت أقرأ فى الصحف المحلية ماتنقله من الأنباء المتواترة بانعقاد مؤتمر دينى فى بلاد اليابان بأمر الميكادو ـ وهو الإمبراطور الحاكم على تلك البلاد ـ وتوجه البعثات الدينية من المسلمين وغيرهم لحضور هذا المؤتمر الذى تنحصر أعماله فى البحث فى أصول كل دين فكنت أتابع الكتابات فى كثير من أعداد جريدتى الإرشاد حاضا على تأليف وفد من أفاضل العلماء المصريين للاشتراك مع الوفود الأخرى لحضور

جلسات ذلك المؤتمر ونشر التعاليم الدينية الإسلامية بين أمة الشمس المشرقة ،إذ مسلمو مصر أولى بأن يحوزوا هذه الفضيلة لوجود الأزهر بين ظهرانيهم وهو المدرسة الدينية الوحيدة فى العالم الإسلامى التى يقصدها الطلاب المسلمون من كل قطر ومن كل بلد ، كما أن غيرى من أرباب الصحف الإسلامية ضم صوته إلى صوتى . ولكنى لما لم أجد فى الهمم انبعاثا ولا فى العزائم نشاطا طفقت أبحث عمن يرافقنى من إخوانى المسلمين فى الرحلة إلى اليابان للدعوة إلى الإسلام هناك، فكان ذلك أندر من الكبريت الأحمر. وبينما أنا كذلك وإذا برجلين فاضلين وفقهما الله أن يعرضا الذهاب معى إلى هاتيك البلاد .

أحدهما صاحب الفضيلة العلامة الشيخ أحمد موسى المصرى المنوفى إمام المسجد الكبير بكلكتة عاصمة الهند (فى ذلك الوقت) .

وثانيهما من أفاضل الدولة التونسية (لكنه أصلا لم يرد ذكر اسمه)(١)

هذان الفاضلان كانا خاطبانى فى هذا الخصوص ورغبا فى مرافقتى إلى اليابان لهذا الغرض الشريف والمقصد المنيف ، وقد قالا فيما خاطبانى به آنفا: لانقصد إلا وجه الله الكريم وخدمة الدين القويم (٢) .

---

(١) تبين من كتاب الرحلة أنه حالت ظروف دون أن يشترك أى من هذين الرجلين معه فى رحلته خصوصا الأول لمرضه المفاجىء :

(٢) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على أحمد الجرجاوى،المرجع السابق :

تنزهه عن قبول أى مساعدة من أى شخص أيًا ما كان :

عندما أعلن الشيخ على الجرجاوى عن عزمه على السفر على صفحات الصحف العربية اليومية، وكذلك الأسبوعية التى نقلت عنها جرائد الآستانة والهند والأفغان وقازان وغير ذلك من الجرائد السيارة ضمّن إعلانه المشار إليه أنه لايقبل درهما واحدا من أحد من الناس على سبيل المساعدة المادية حتى ولاقيمة الاشتراك فى جريدته، وذلك حتى لايتهم بأنه اتخذ تلك الرحلة حبالة لصيد الدرهم والدينار لاالعمل لوجه الله الكريم (١) .

كيف بدأت الرحلة ؟ :

كانت بداية هذه الرحلة من مدينة الإسكندرية وذلك فى صبيحة يوم الجمعة الموافق ٣٠ يونية سنة ١٩٠٦ ميلادية حيث استقل الشيخ على الجرجاوى إحدى بواخر الشركة الإيطالية والتى يممت به نحو إيطاليا وهناك ألقت الباخرة مراسيها فى ميناء مسينا ثم فى مدينة نابلى وفيما كان يتجول فى شوارعها بزيه الأزهرى رآه أحد أبنائها وكان يعمل مدرسا فى المدرسة الشرقية بها فحياه باللسان العربى ودعاه لزيارة المدرسة ليرى عن كثب كيف يدرسون اللغة العربية وتاريخ العرب وبعض السور الصغيرة من القرآن الكريم مع فهم للمعانى ومعرفة كم من الآيات فى السورة مكية وكم فيها مدنية ،لكن ما أثار دهشته إجادة الطلاب التكلم

---

(١) المرجع السابق :

باللغة العربية قراءة وكتابة دون لحن وذلك بسبب تلقيهم اللغة العربية بحسب القواعد النحوية ، ولما وصلت الباخرة إلى ميناء بالرما فى صقلية يذكر فتح المسلمين لها سنة ٨٣٥ للميلاد فهم الذين جعلوا ذلك الميناء قاعدة لتلك الجزيرة ، ثم غلب عليهم النورمانديون وبعدهم ضمت الجزيرة إلى مملكة نابلى التى أضحت جزءا من الدولة الإيطالية فى العصر الحديث ، ثم ألقت الباخرة مراسيها فى تونس وهناك نزل فى أحد فنادقها رغم دعوة الكثيرين من أفاضل أهلها للنزول فى ضيافتهم فهم على جانب كبير من كرم الأخلاق وحسن وفادة الضيف وإكرام الغريب مع تمسكهم بأوامر الإسلام ونواهيه فضلا عن المشهود لنسائهم بالمحافظة على العفة والصون والشرف .

وقد كان فى نية ذلك الداعية الإسلامى مواصلة السفر عن طريق بوغاز جبل طارق فسواحل أفريقية للوقوف على أحوال سكان تلك البلاد لكن لطول المسافة وبعدها عدل عن ذلك وقرر استئناف رحلته عن طريق بوغاز السويس حيث ألقت سفينته مراسيها فى مدينة ينبع ثم فى مدينة جدة ثم فى مدينة عدن ثم سارت حتى وصلت إلى مدينة بومباى فى بلاد الهند ثم إلى مدينة كولومبو عاصمة جزيرة سيلان ثم إلى ميناء سنغافورة ثم إلى هنج كونج المستعمرة البريطانية فى بلاد الصين ، ويذكر عن المسلمين فى بلاد الصين أنهم كانوا يبلغون وقت رحلته الخمسين مليونا وقد صحبه واحد منهم إلى بلاد اليابان هو العلامة السيد سليمان الصينى وهو يشيد به وبشعب الصين العظيم لاعتنائهم الشديد بأمر الزراعة

والفلاحة حتى أنه لايوجد نوع من أنواع البقول أو الفاكهة أو غيرها من المزروعات الموجودة فى العالم إلا ولهم خبرة بزراعته . وهم من شدة شغفهم بالزراعة وعدم وجود الأرض الكافية الصالحة للزراعة عندهم يصنعون ألواحا من الخشب ويضعونها على مجارى الأنهار بعد تغطيتها بطبقة من الطين ويبذرون فيها البذور فتكون هذه الألواح بمنزلة الأرض العامرة الجيدة التربة ،وقد تنبأ لهم بأنهم فى أخذهم بأسباب الرقى مع طبيعتهم الحية سيلحقون بدولة اليابان لامحالة ، والمسلمون فى بلاد الصين وإن كانوا مبعثرين فى شتى أنحاء الصين إلا أنهم متحدون فى كلمتهم ويحب بعضهم بعضا ويسعون فى المنافع المتبادلة بينهم وهم يد واحدة فى كل مايهمهم من أمور الدين والدنيا. ومما لاحظه عليهم أنهم لايميلون إلى العمل فى دوائر الحكومة بل يشتغلون فى الصناعات المختلفة مثل صناعات الصوف والحرير،وهم إذا اختلفوا فى أمر دينى فمرجعهم إلى العلماء والفقهاء هناك، وهم يفخرون بأنهم من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والتوحيد، واحتفالهم بالعيدين عيد الفطر وعيد الأضحى بالغ حد الاعتناء،وإذا جاء شهر رمضان المعظم ابتعدوا عن كل شىء يمس كرامة الدين ولذلك فلا تجد واحداً منهم مفطرا فى أيام ذلك الشهر الكريم.

ومع ذلك فقد لاحظ انتشار بعض الخرافات والبدع بين المسلمين مما يمس سليم عقيدتهم فى التوحيد. وهذا يقتضى من علماء الإسلام عامة وإدارة الأزهر خاصة إرسال بعض الدعاة لبث العقائد الصحيحة بينهم

والقضاء على تلك الخرافات والبدع ، ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلمين الصينيين هم أبعد أهل الصين عن الفتن والقلاقل المخلة بالأمن العام.(١).

الوصول إلى بلاد اليابان :

عندما ألقت السفينة مراسيها فى ميناء يوكوهاما اليابانى — كان بصحبته السيد سليمان الصينى، وهناك التقيا بالحاج مخلص محمود الروسى ومن اسمه يبين أنه مسلم روسى ، فقد بعث إليه السيد سليمان الصينى ليكون فى انتظارهما، وفى وصفه يقول الشيخ على الجرجاوى (كان رجلا فاضلا عاقلا كاملا مهذبا حاويا لكل الصفات التى تحبب المرء إلى النفوس وتحله منها محل الاعتبار ، كما كان له إلمام تام بعادات أهل اليابان وأخلاقهم) وعن جو تلك المدينة يقول :(لقد لاقينا من البرد فيها مالايطيقه إلا من أقام كثيرا فى هذه الأصقاع واعتاد جسمه على احتمال بردها القارس) .

ثم واصل ثلاثتهم الرحلة إلى مدينة طوكيو عاصمة البلاد بواسطة قطار السكة الحديدية ،ولم تستغرق تلك المسافة سوى نصف ساعة تقريبا لأنها تبعد عن مدينة يوكوهاما تسعة وعشرين كيلو مترا تقريبا ، وفى مدينة طوكيو نزلوا فى أحد فنادقها وما كادوا يستقرون فيه حتى أحس كل واحد منهم بضعف فى عضلات جسمه بسبب المشاق والمتاعب التى عانوها فى سفرهم خصوصا دواخ البحر الذى كان له التأثير الأعظم عليهم ، فمكثوا ليلتهم لايفارق أحدهم مخدعه من الإعياء .

(١) المرجع السابق .

على طريق الدعوة إلى الإسلام :

لما وصل الشيخ على الجرجاوى وصحبه إلى مدينة طوكيو شاع خبر وصوله بين من حضرها من رجال الأَديان الأخرى ومن محاسن الصدف أن أحد الدعاة من مسلمى بلاد الهند وهو السيد حسين عبد المنعم كان موجودا فى طوكيو وعندما سمع بمقدم الشيخ الجرجاوى انضم إليه ليكونوا معا جماعة مؤتلفة ويداً واحدة فى الدعوة إلى الإسلام فاستأجروا منزلا من أحد التجار اليابانيين ليكون مركزاً للدعوة ، ومن يمن الطالع أن صاحب ذلك المنزل واسمه (المسيو جازنيف) كان أول الداخلين فى الإسلام لما وقف على حقيقته، وكان هو الذى يقوم بترجمة خطب وبيانات الدعوة من الإنجليزية إلى اليابانية فى جلسات الدعوة إلى الإسلام نظراً لإلمامه التام باللغة الإنجليزية .

الجلسة الأولى :

بدأت مراحل العمل بدعوة الناس إلى الحضور فى ذلك المنزل فى ميعاد محدد،وما أن حل ذلك الميعاد حتى أقبل كثير من اليابانيين فغص بهم المكان حيث قرئت عليهم خطبة الافتتاح للتعريف بالإسلام بعد أن صاغها الشيخ على الجرجاوى بالعربية ترجمت إلى اللغة الإنجليزية بمعرفة السيد حسين عبد المنعم ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة اليابانية بمعرفة المسيو جازنيف وكان مما اشتملت عليه أن الإسلام دين المدنية

والعدل والمساواة،ثم شرح لأركان هذا الدين ثم أورد شهادة أحد العلماء الفرنسيين وهو المسيو (هوذا) والتى يقول فيها (إننا إذا تصفحنا التاريخ وجدنا أن هذا الدين هو الكفيل الوحيد لترقى الأمم وسعادتها وعليه فيحق لنا نحن الغربيين أن نعترف عن غير رياء ولا مراء بأن أهل هذا الدين هم أرقى الأمم وأحسنهم حالا من جهة الاعتقادات الدينية) .

ثم أردفت خطبة الافتتاح ببعض البيانات الواضحة عن قواعد الإسلام ومعناه والغرض الذى ترمى إليه مبادئه،وذلك بأسلوب سهل التناول على الأفهام.وبعد انتهاء تلك المحاضرة أعلن عن ميعاد انعقاد الجلسة التالية .

الجلسة الثانية :

ولما حل ميعاد تلك الجلسة لوحظ ازدحام شديد فى المنزل مركز الدعوة فألقى عليهم المسيو جازنيف ، مارتبه الشيخ على الجرجاوى من بيانات وإيضاحات عن الصلاة وصلاة الجماعة وصلاة الجمعة والأذان والإمامة والزكاة والصوم والحج ،مأخوذ كل ذلك من كتاب اللهوسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأئمة ،وكانت تترجم للحاضرين باللغة الإنجليزية والفرنسية ومن لم يعلمهمايقوم المسيو جازنيف بترجمتها له باللغة اليابانية وكل من ترد عليه شبهة فى موضع كان يرسلها لجماعة الدعوة كتابة حيث يقوم الشيخ الجرجاوى بالإجابة عنها كتابة

وبواسطة هذه الطريقة تمكن المرحوم الشيخ على الجرجاوى وصحبه من تفهيم من حضر من اليابانيين عقيدة الإسلام فيدخلون فيه بكثرة مادحين تعاليمه وأحكامه، وهكذا فى كل جلسة، وكلما زادوهم معرفة بالإسلام زاد عدد الذين يعتنقونه منهم كما يسمعون الثناء على الإسلام من هؤلاء المهتدين لأنه حسب قولهم - وحقاً ماشهدوا - دلهم على الإله الحق وأخرجهم من الظلمات إلى النور وأوضح لهم المنهاج القويم .

ملاحظات الشيخ على الجرجاوى على أبناء اليابان :

كان مما لاحظه على اليابانيين وأثار إعجابه أن فى طبيعتهم التفانى فى حب الوطن ، ولما كان العلم والتعليم هو أساس سعادة الأمم ورقيها لذلك اعتنت الدولة هناك بفتح المدارس والمعاهد العلمية ورعاية النشاط العلمى منذ بدأت نهضتها مما كان له الأثر الفعال فى تقدمها السريع . وفى مجال الصناعة فإن العمال اليابانيين أثبتوا فى كل الأحوال أن حركة العمل تسير فى جد فائق ونشاط مابعده نشاط ، أما رجال الضبط (أى الشرطة) عندهم فمن أرقى رجال العالم فى سمو أدبهم ومعرفة مايجب عليهم مع التحلى بمكارم الأخلاق فى أداء مهامهم ومعاملة أفراد الشعب بالعدل والمساواة مع العفة والنزاهة.

يقظة حكومة اليابان حيال أفعال المبشرين :

ومما يذكره الشيخ على الجرجاوى أن حكومة اليابان قد تنبهت فى بداية نهضتها أن الأوروبيين عادة يتخذون من الدين وسيلة توصلهم

إلى مقاصدهم السياسية فى السيطرة على الشعوب ثم احتلال أراضيها ،لذلك فإنه لما وفدت الإرساليات التبشيرية المسيحية إلى بلاد اليابان رسمت لها الحكومة هناك المنهج الذى تسلكه ،لكن رجال تلك الإرساليات لم يلتزموا بمنهج الحكومة ،بل عملوا على فتح مدارسهم التبشيرية فى الظاهر لكن فى حقيقة أمرها هى مراكز سياسية لجمع المعلومات وإبلاغها لدولهم مما دفع الحكومة إلى توجيه الإنذارات لهم بضرورة الالتزام بالطريق المرسوم لهم وإلا كان الطرد مصيرهم ، والحقيقة أن أبناء اليابان لم يجهلوا نوايا أولئك المبشرين الذين رغم تكبدهم المصاريف الكثيرة والوقت الطويل فإن المسيحية التى جاءوا يبشرون بها لم يعتنقها من اليابانيين إلا القليل ، وكثير من هذا القليل يترك المسيحية ويعود إلى معتقداته القديمة فى شريعة كونفوشيوس وغيرها فى أول فرصة تلوح له :

عدد الجلسات التى عقدها الشيخ على الجرجاوى :

بلغت جلسات الدعوة إلى الإسلام التى عقدها ذلك الداعية الإسلامى فى مدينة طوكيو نحو ثمانى عشرة جلسة ، وفى كل واحدة منها يعتنق الإسلام الخلق الكثير حتى وصل عددهم الإجمالى فى نهاية الجلسات نحو الاثنى عشر ألف رجل ، ضم العديد من التجار والعظماء وذوى الحيثيات ، وفى تلك الجلسات شرح للحاضرين الكثير مما اشتمل عليه الإسلام ،نكتفى بذكر بعض منها فى شئ من الإيجاز طبقاً لمايلى(١) :-

(١) المرجع السابق :

أولا عن الإسلام :

الإسلام هو دين الفطرة فلو أن إنسانا خلق ونشأ فى أرض بعيدة عن بنى نوعه مع وجود العقل الكامل فيه فهو لاشك يعتقد بفطرته أنه لابد من وجود خالق لهذه العوالم وهذه الكائنات مغاير لها كل المغايرة وهذا هو منبع الإسلام وأصل دينه .

ثانياً — عن القرآن :

هو كتاب الله الذى أنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وفيه أصول دينه وفروعه،وقد حوى من الحجج الدامغة على كل من ارتاب فى صحة الإسلام كما أخبر عن سير المتقدمين وجاء بأخبار الأمم السالفة بما فيه ذكرى وعبرة لمن أراد الاعتبار،فضلاعن الإرشادات الهامة والمواعظ الحسنة النافعة إلى خيرى الدنيا والآخرة. كما تضمن كل مايتعلق بالعبادات والمعاملات وما تقتضيه الحقوق من كل أنواع القضايا التى نراها .

ثالثاً — عن إعجاز القرآن :

لقد أقام الله تعالى الحجة على الذين لم يصدقوا أنه كلام الله القديم وقالوا إنه من كلام البشر بقوله « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا »(١) وهذا أكبر دليل على عجزهم ، ومن إعجازه أنه أخبر عن الأمم السابقة وحوادثهم بأوجز عبارة مما لم يكن معروفا لدى علماء ذلك العصر مع

---

(١) سورة الإسراء ٨٨ .

اجتهادهم فى الوقوف على حقيقته ، ومن إعجازه أيضا إتيانه بالأحكام التى لو اجتمع كل أهل الشرائع لما قدروا على وضع مثلها مما يلائم ويوافق حالة كل أمة .

رابعاً عن وحدانية الله تعالى :

إن الله واحد لاشريك له فى ملكه ، وأنه ليس بذات مجسمة وليس له جهة تحده ،وأنه قادر على كل شىء، أما الدليل على وحدانيته فهوأنه لو كان له شريك لفسدت الأرض لما تقتضيه الشركة من وقوع الخلاف بين الشريكين فى كثير من المسائل ، والخلاف يؤدى إلى الشقاق وهذا الشقاق يفضى إلى غلبة أحدهما على الآخر وهذا يقضى على المغلوب بالضعف وهو مناف لصفات الربوبية وهذا من قواعد علم التوحيد .

خامساً : النبى محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته :

إن نسب هذاالرسول الكريم يتصل بسيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهما السلام ،فهو من أشرف قبيلة من قبائل العرب وكانت أخلاقه فى عهد شبيبته لاتعادلها أخلاق ،أكمل الناس عقلاً إذ طهره الله من أفعال الجاهلية فلم يشرب الخمر أو الدم ولم يلعب الميسر ، بل نشأ على عبادة الله والتحنث فى غار حراء على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام حتى إذا بلغ أربعين سنة فجاءه ملك الوحى جبريل عليه السلام بأمر ربه بدعوة الخلق إلى دين الإسلام وعبادة الله وحده وأيده ربه بالكثير من المعجزات أهمها القرآن الكريم كما قدمنا ،وفيه بين الله مقدار فضل رسوله ومنزلته عنده ومحبته له فى كثير من الآيات كقوله تعالى «وإنك لعلى خلق

عظيم » (١) وقوله جل شأنه « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » (٢) وقوله سبحانه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » (٣) ومن الآيات الأخرى أو المعجزات انشقاق القمر وتفجر الماء من بين أصابعه ورد العين المفقوءة صحيحة وكلام الضب والجمل وحنين الجذع وكثير غير ذلك مما حفلت به كتب السنة الصحيحة والسيرة النبوية المطهرة .

وأول من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإبلاغهم دعوة الإسلام هم أهله وعشيرته حيث يقول الله تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين »(٤) فكانوا له أعوانا فى دعوة الناس إلى الإسلام ومازال صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام ويجاهد فى هذا السبيل وهو محفوف بنصر الله والغلبة على الكفار حتى قبض وهو فى الثالثة والستين من عمره الشريف .

الأمور التى ساعدت من اهتدى من اليابانيين على اعتناق الإسلام :

يقرر الشيخ على الجرجاوى أن مما سهل هداية هؤلاء القوم إلى الإسلام حالتهم الطبيعية ،فلديهم فى فطرتهم الاستعداد الطبيعى لكل مايوافق العقل ورفض كل مايخالفه مهما قدم لهم بجميع أوجه السفسطة

---

(١) سورة القلم ٤ ؛
(٢) سورة الفتح ٢٩ ؛
(٣) سورة آل عمران ٣١ ؛
(٤) سورة الشعراء ٢١٤ .

والموارية ، ولو كان رجال الإسلام قد تنبهوا في العصور السابقة إلى إرسال الدعاة للإسلام إلى بلاد اليابان لكان المسلمون منهم الآن يعدون بالملايين .

عودة الشيخ على الجرجاوى إلى الديار المصرية :

بعد انتهاء الجلسات التى عقدها ذلك الداعية الإسلامى فى الدعوة إلى الإسلام فى بلاد اليابان كان قد مضى عليه هناك نحو اثنين وثلاثين يوما فعزم على العودة إلى وطنه بعد أن اطمأن على غرسه فى مجال الدعوة وخصوصا أن الحاج مخلص محمود الروسى والسيد سليمان الصينى أبلغاه برغبتهما فى البقاء مدة ستة أشهر لرعاية دعوة الإسلام هناك والعمل على نشرها والرد على ماقد يثار حولها من شبهات ، فاستقل إحدى البواخر الصينية التى يممت به إلى بلاد الهند فوصلها بعد واحد وعشرين يوما حيث ألقت الباخرة مراسيها فى ميناء كلكتة ومن بلاد الهند عاد إلى الديار المصرية حيث حرر مؤلفه المذكور عن تلك الرحلة .

الكتب التى ألفها الشيخ على الجرجاوى :

حرر المؤلفات الآتية وكلها تدور على محور الدعوة إلى الإسلام أو الدفاع عنه وهى :

(١) كتاب الرحلة اليابانية وفيه سجل وقائع تلك الرحلة ومراحلها المختلفة .

(٢) كتاب الإسلام ومستر سكوت وفيه يرد عليه مفترياته التى حررها ضد الإسلام وألقاها على طلبته بمدرسة الحقوق .

(٣) كتاب حكمة التشريع وفلسفته فى جزأين كبيرين- الأول يقع فى ٣١٨ صفحة والثانى فى ٤٧٨ صفحة .

(٤) مختصر كتاب حكمة التشريع وفلسفته وذلك لأجل سهولة الرجوع إليه فى قليل من الزمن بالنسبة لطلاب المعاهد الدينية فى وقت الامتحانات السنوية .

كيف كانت حياته بعد عودته من بلاد اليابان حتى تاريخ وفاته :

استمر الشيخ على الجرجاوى عازفا عن العمل فى سلك الوظائف الحكومية أو الانغماس فى الأمور الحزبية مكتفيا بالعمل فى المحاماة أمام المحاكم الشرعية والسعى فى قضاء حوائج الناس خصوصا أهل بلدة جرجا والدفاع عن الإسلام أمام من تسول له نفسه المساس به مثل ماحدث من المستر سكوت فى كتابه المتضمن دروسه التى كان يلقيها على طلبته فى مدرسة الحقيوق مما حدا بناظر المعارف وقتئذ لإصدار قرار بعدم تدريس ذلك الكتاب الذى اشتمل على مفتريات ضد الإسلام وإهانة للمسلمين فى دينهم .

وقد استمر الشيخ على الجرجاوى طيلة حياته رئيسا لجمعية الأزهر العلمية حتى توفى فى يناير سنة ١٩٦١ عن عمر ناهز الخامسة والثمانين ودفن بمقابر أسرته فى مدينة جرجا (١) .

---

(١) هذه المعلومات الأخيرة استقيناها من الأستاذ عمر الفاروق محمد محمد المحامى بمدينة جرجا وهو من تلاميذ الشيخ على الجرجاوى وكان يسكن بجواره هناك .

وبعـــد :

فمن المعروف أن الصفة الأولى للإسلام أنه دين الفطرة ، وأن الناس يولدون ويتجاوبون مع تعاليمه إذا أدركوها ، ولو خلى المرء وفكره لاتجه إلى إله واحد،ولشعر بدوافع ذاتية تجذبه إليه فإن الله زود الفطرة الإنسانية بخصائص تملك بها حق الاعتراض على موروثات الآباء والأجداد ، تلك الموروثات الباطلة التى تعرض أو تُفرض عليها وتجعل العقل يرفض الخرافة ويتشبث بالحقيقة،وإذا حدث أن خفت صوت الفطرة جاءت النجدات له من خارج ذاته ومن الدعاة إلى الإسلام وهذه هى مهمتهم ، لمعاونته كى يؤدى وظيفته ويبقى الإنسان إنساناً يعرف ربه ويؤثره على ماسواه ، وهذا مايفسر سبب الإقبال من جانب اليابانيين على جلسات الدعوة التى كان يعقدها الشيخ على الجرجاوى فى تلك البلاد واعتناق الكثيرين منهم لعقيدة الإسلام وقتئذ . وصدق الله تعالى إذ يقول « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين *أوتقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون * وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون » (١) ٥

* * *

---

(١) سورة الأعراف ١٧٢ — ١٧٤ .

الشيخ أحمد محمد شاكر

الملقب شمس الأئمة أبو الأشبال

إمام من أئمة الحديث فى هـذا العصر(١)

١٣٠٩ - ١٣٧٧ هـ

١٨٩٢ م - ١٩٥٨ م

قمة عالية من تواضع العلماء ، كان يبتغى الشاردة من العلم فى أدنى مواقعها،كما يتطلبها فى أعلى مجاليها،درس علوم الإسلام جميعها فكان عالما فى فنون كثيرة فهو فقيه ومحقق وأديب وناقد لكنه برز فى علم الحديث الذى أولاه من نفسه دراسة وافية حتى صار إماما من أئمته فى هذا العصر،رغم اشتغاله بأعمال القضاء الذى تدرج فيه حتى وصل إلى عضوية المحكمة العليا الشرعية إذ كان للقضاء الشرعى كيان مستقل بذاته قبل أن تقوم حكومة الثورة بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بإلغائه وإدماج اختصاصه فى القضاء الوطنى .

ذلك هو الشيخ أحمد محمد شاكر بن العالم الأزهرى الجليل الشيخ محمد شاكر الذى كان وكيلا للأزهر الشريف فى العقد الثانى من هذا القرن الميلادى من أسرة أبى علياء عائلة شريفة المحتد تقطن مدينة جرجا من أعمال محافظة سوهاج ينتهى نسبها إلى الإمام الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ أحمد شاكر بعد فجر يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هجرية الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٢ ميلادية بمدينة

---

(١) نشر بمجلة الأزهر فى الجزء السادس من السنة الثانية والستين جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ - يناير ١٩٩٠ م .

القاهرة حيث كان والده الشيخ محمد شاكر أمينا للفتوى مع أستاذه الشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وقتئذ .

ولما شب الغلام عن الطوق وبلغ من عمره ثمانى سنوات صدرت أوامر الدولة إلى والده بالتوجه إلى السودان،ذلك أنه أسند إليه منصب قاضى القضاة هناك بتاريخ ١١ من مارس سنة ١٩٠٠ م عقب خمود الثورة المهدية ، وفى الخرطوم عاصمة السودان ألحق ابنه صاحب هذه الترجمة بكلية غوردون واستمر بها حتى عاد به والده إلى مصر إثر نقله لتولى مشيخة علماء الإسكندرية فى ٢٦ من إبريل سنة ١٩٠٤ م فألحقه وقتئذ بمعهد الإسكندرية الدينى الذى كان شيخا له .

وعندما عين والده وكيلا للأزهر فى ٢٩ من أبريل سنة ١٩٠٩ م عاد بابنه إلى القاهرة حيث انتظم ضمن طلاب الأزهر الشريف واستمر فى الدراسة به حتى جاز شهادة العالمية فى سنة ١٩١٧ م.

أساتذته الذين تلقى العلم على أيديهم :

كان حظ الشيخ أحمد شاكر وقت دراسته بالأزهر الشريف ومعاهده أن التقى فى الإسكندرية وفى القاهرة بالكثير من علماء المسلمين فى هذا العصر مصريين وغير مصريين نذكر منهم : -

(١) الشيخ محمود أبو دقيقة أحد علماء معهد الإسكندرية وعضو جماعة كبار العلماء فيما بعد،فقد حبب إليه الفقه وأصوله ودربه وخرجه فيه حتى تمكن منه .

(٢) والده الشيخ محمد شاكر فقد قرأ له ولزملائه فى معهد الإسكندرية التفسير مرتين ، مرة فى تفسير البغوى وأخرى فى تفسير النسفى ، كما قرأ لهم صحيح الإمام مسلم وسنن الإمام الترمذي وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وشيئا من صحيح الإمام البخارى.

وفى الأصول قرأ لهم جمع الجوامع ، وشرح الأَسنوى على المنهاج ، وفى المنطق قرأ لهم شرح الخبيصى وشرح القطب على الشمسية ، وفى البيان قرأ لهم الرسالة البيانية ، وفى فقه الحنفية قرأ لهم كتاب الهداية على طريقة السلف فى استقلال الرأى وحرية الفكر ونبذ العصبية لمذهب معين .

(٣) السيد عبد الله بن إدريس السنوسى عالم المغرب ومحدثها فقد تلقى عنه الشيخ أحمد شاكر طائفة كبيرة من صحيح الإمام البخارى وأجازه بروايته ورواية باقى الكتب الستة .

(٤) الشيخ محمد الأَمين الشنقيطى أخذ عنه كتاب بلوغ المرام وأجازه به وبالكتب الستة .

(٥) الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطى عالم القبائل الملثمة وقد أجازه بجميع علمه .

(٦) الشيخ شاكر العراقى سمع منه الحديث فأَجازه بجميع الكتب الستة .

(٧) الشيخ طاهر الجزائرى عالم السنة المتنقل .

(٨) السيد محمد رشيد رضا صاحب دار المنار وأحد تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده .

(٩) الشيخ سليم البشرى أخذ عنه شرح الموطأ .

(١٠) الشيخ حبيب الله الشنقيطى أخذ عنه زاد المسلم .

كما لقى خلاف من سبق ذكرهم كثيرا من علماء السنة سمع منهم أو قرأوا عليه فكان من أثر هذا اللقاء المتتابع للعلماء أن مهد له أن يستقل بمذهب فى علم الحديث استطاع به أخيرا أن يقف فى منتصف هذا القرن الميلادى من زماننا المعاصر علما مشهورا فى إمامة التحديث. وكان أعظم مااستفاده من دراسة الحديث هو ذلك المسلك الخلقى النزيه الذى لزمه فى مناقشة الآراء العلمية، إذ كان يرجع إلى الصواب حيث رآه ، كما جعل الأمانة العلمية سبيله الأكيد.

بعده عن التعصب لمذهب معين وسعة نظره :

رغم أن الشيخ أحمد شاكر عند طلبه للعلم تفقه على مذهب أبى حنيفة ونال شهادة العالمية من الأزهر حنفيا وولى القضاء الشرعى يحكم فيه على مذهب الأحناف، لكنه قام بدراسة السنة النبوية أثناء طلب العلم وبعده مدة ثلاثين سنة درس فيها أخبار العلماء والأئمة ولم يتعصب لواحد منهم، ولم يحد عن سنة الحق فيما بدا له، لذلك فهو يقول عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى فى مقدمة رسالته التى حققها (فإنى أعتقد غير غال ولامسرف أن الشافعى لم يظهر مثله فى علماء الإسلام فى فقه

الكتاب والسنة ونفوذ النظر فيهما ودقة الاستنباط مع قوة العارضة ونور البصيرة والإبداع فى إقامة الحجة وإفحام مناظره فهو صحيح اللسان ناصع البيان ، فى الذروة العالية من البلاغة ، تأدب بآداب البادية وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر حتى سما عن كل عالم قبله وبعده).

وكان الشيخ أحمد شاكر واسع النظر حين درس فقه الشيعة واعتمد عليه فى مسألة خاصة هى وجوب الإشهاد على الطلاق أخذاً بقول الله عز وجل « فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله » سورة الطلاق (١) ومستنداً إلى قول الإمام ابن عباس رضى الله عنه فى تفسيره ، ثم كشف اللثام عن صحة وقوع الطلاق المثلث مرة واحدة بأدلة حصيفة ذات نظر محكم وهو اجتهاد منه يحسب له .

رأيه فى الحساب الفلكى :

عندما كان المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق رئيسا للمحكمة الشرعية العليا رأى أن يكون الحساب الفلكى بديلا عن الرؤية الشخصية فى إثبات أوائل الشهور العربية فنهض لمخالفته فريق من كبار العلماء كان فى طليعتهم الشيخ محمد شاكر (والد صاحب الترجمة) وكان الشيخ أحمد شاكر ممن اعتقد بدءاً بصواب فتوى والده الكبير فكتب من المقالات ما يؤيد منحاه عن ثقة جازمة .

ثم بدا له بعد التحقيق والتريث مايخالف وجهة نظر والده فلم يفقد أمانته العلمية بل خرج على الناس برسالته التى كتبها فى حياة

(١) سورة الطلاق ٢ :

أبيه ذكر فيها انتصاره لرأى الشيخ محمد مصطفى المراغى ويعلن صراحة أنه كان على صواب ويزيد هو عليه فى وجوب إثبات الأهلة بالحساب الفلكى فى كل الأحوال إلا لمن استعصى عليه العلم .

الكتب التى قام بتحقيقها ونشرها :

كانت هذه الكتب كثيرة ومشعبة فى فنون كثيرة نذكر منها على سبيل المثال : -

(١) رسالة الإمام محمد بن إدريس الشافعى عن أصل تلميذه الربيع بن سليمان الذى كتبه بخط يده فى حياة الشافعى ومن إملائه وهو أول كتاب عرف به الشيخ أحمد محمد شاكر فى دنيا التحقيق مع إتقانه لفهارسها والإبداع فيها مما لايكاد يعرف نظيره وهى فى ثلاثة أجزاء مع المقدمة والسماعات واللوحات المصورة والاستدراك وجريدة المراجع والمفاتيح وقد بلغت ثمانية فهارس.

(٢) إخراجه مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بذل فى إحيائه أقصى مايستطيع عالم من جهد فى الضبط والتحقيق والتعليق والتنظيم لكن المنية عاجلته دون أن يتمكن من تمام إخراجه كاملا وإن كان قدم منه خمسة عشر سفرا فقط .

(٣) أخرج الجزء الأول من مسند ابن حبان وجزأين من الجامع الصحيح للترمذى كما شارك فى إخراج تهذيب سنن أبى داود .

(٤) قام بشرح مستفيض لكتاب الحافظ ابن كثير (اختصار علوم

الحديث) فى مجلد كبير عظيم النفع لعلماء الحديث وطلابه ، جَلَّى فيه الكثير من الغوامض وأزال فيه كثيرا من الشبهات .

(٥) وفى مجال التفسير قام بإعداد (عمدة التفسير) تهذيباً لتفسير ابن كثير ، وقد أتم منه خمسة أجزاء ، كما شارك فى نشر تفسير الطبرى فخرج أحاديثه إلى الجزء التاسع وعلق على بعضها إلى الجزء الثالث عشر.

(٦) أما فى مجال الفقه وأصوله فقد شارك فى نشر كتاب(الإحكام) لابن حزم الأندلسى وجزأين من (المحلى) لابن حزم أيضا وكتاب(العمدة فى الأَحكام) للحافظ عبد الغنى المقدسى وكتاب جماع العلم للإمام محمد بن إدريس الشافعى .

(٧) وفى الدراسات الأَدبية شارك فى إخراج (المفضليات للمفضل الضبى) والأَصمعيات(للأَصمعى) وهما الكتابان اللذان يحتلان مكانا مرموقا فى الدراسات الأَدبية المعاصرة للتراث وإخراجه كتاب (الشعر والشعراء لابن قتيبة) وكتاب (لباب الآداب لأسامة بن منقذ) .

(٨) وفى مجال اللغة لاينسى اللغويون جهده فى إخراج كتاب (المعرب للجواليقى) نشرا علميا دقيقا .

الكتب التى ألفها :

(١) من أهم ما ألفه الشيخ أحمد شاكر كان كتاب (نظام الطلاق فى الإسلام) دل فيه على اجتهاد صائب وبحث حر فلم يتعصب لمذهب من المذاهب بل سار على طريقة السلف إذ استخرج نظام الطلاق من نص القرآن الكريم ومن بيان السنة المطهرة فيه .

(٢) كتاب (الكتاب والسنة) وهو فى الدعوة إلى وجوب أخذ القوانين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

(٣) كتاب (كلمة الحق) وهو فى شئون المسلمين وحرب الوثنية والشرك والدفاع عن القرآن الكريم وعن السنة النبوية المطهرة ويبدو أنه مقالات كتبها الشيخ أحمد شاكر فى مجلة (الهدى النبوى) جمعت بعد وفاته إحياء لذكراه .

(٤) كتاب (كلمة الفصل فى قتل مدمنى الخمر) وفيه يستحث ملوك المسلمين وزعماءهم ضد الخمور وتجارها ومدمنيها .

(٥) وله فى جميع ما ألفه أو نشره تعليقات دافع فيها عن أحكام الإسلام وآدابه دفاعا تفرد به ونطق فيه بالحق الذى يراه.

الوظائف التى أسندت إليه حتى تاريخ وفاته :

بعد أن نال الشيخ أحمد شاكر شهادة العالمية من الأزهر الشريف فى سنة ١٩١٧ ميلادية كما قدمنا فى صدر هذا المقال عين بمعهد عثمان ماهر، لكنه لم يستمر فيه غير أربعة أشهر فقط إذ ألحق بالوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية ثم قاضيا بها وظل فى ساحة القضاء الشرعى يتدرج فيه إلى أن بلغ فى وظائفه درجة العضوية بالمحكمة العليا ثم أحيل إلى التقاعد فى سنة ١٩٥١ م عند بلوغه سن الستين لكنه كان فى كل يوم من أيام حياته الوظيفية وبعدها لايترك البحث العلمى محققا ومؤلفا فى الحديث والفقه واللغة والأدب حتى لقى ربه راضيا مرضيا فى فجر يوم السبت ٢٦ من ذى القعدة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٤ من يونية سنة ١٩٥٨ ميلادية .

المراجع :

١ ــ رسالة عن حياة الشيخ أحمد محمد شاكر إمام المحدثين بقلم شقيقه الأستاذ محمود محمد شاكر مرفقة بكتاب (الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين فى مصر) دار الكتب السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧ھ

٢ ــ تقديم بقلم شيخ المحققين الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام لمجمع اللغة العربية بتاريخ ١٣ ــ ٥ ــ ١٤٠٧ ھ الموافق ١٣ــ١ــ١٩٨٧ عن الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر مرفق بكتاب كلمة الحق مكتبة السنة الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ ھ.

٣ ــ كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الرابع تأليف الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٤٠٥ ھـ سنة ١٩٨٤م

٤ ــ الرسالة للإمام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى ١٥٠ ــ ٢٠٤ هجرية عن أصل بخط الربيع بن سليمان كتبه فى حياة الشافعى بتحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨ ھـ ١٩٤٠ م مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٥ ــ كتاب عن الشيخ (محمد شاكر علم من أعلام العصر) تأليف الشيخ أحمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا الشرعية سابقاً .

٦ ــ مجلة الأزهر الجزء السادس السنة السابعة والخمسون جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ ھ مارس سنة ١٩٨٥ م.

الشيخ أحمد الطاهر الحامدي

سنة ١٢٥٧ هـ – ١٣٣١ هـ

أحد الفضلاء النابغين والجهابذة المحققين برز فى علوم الشريعة ، كما نبغ فى علوم الحقيقة (أى التصوف) حتى وصل إلى قمة الصفاء، ولقد أكسبه عزوفه عن تولى المناصب الحكومية مهابة وإكبارا فى عيون الناس وبركة فيما رزقه الله من الطيبات إلى جانب زهده وتقواه فكان سخيا يعطى عطاء من لايخاف الفقر .

ذلك هو الشيخ أحمد الشهير بالطاهر بن الشيخ عوض الله بن عبد القادر بن كليب بن أحمد بن موسى الحامدى نسبة إلى الحامدية قبيلة معروفة من أصل عربي عريق كانت قد استوطنت من عهد بعيد ناحية الكرنك بجوار مدينة الأقصر تلك المدينة التى اشتملت على الكثير من آثار المصريين القدماء من أعمال محافظة قنا بصعيد مصر : وكان جدُّ هذه الأسرة الأكبر من سلالة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدم ذلك الجدُّ من الأقطار الحجازية فى جملة من قدموا مع الصوفى الكبير العارف بالله تعالى السيد أبى الحجاج الأقصري حوالى سنة ٦٠٠ هجرية تقريبا (١) .

---

(١) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الأزهرى بأسيوط بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ هجرية — ٤ يونيه سنة ١٩٧٧ ميلادية :

مولده ونشأته :

ولد الشيخ أحمد الطاهر سنة ١٢٥٧ هجرية ونشأ وتربى فى كنف والده الشيخ عوض الله بن عبد القادر والذى كان من العلماء العاملين وأولياء الله العارفين إذ كانت له مجاهدات صحيحة وكرامات واضحة واشتهر عنه بأنه كان مجاب الدعوة ومما يؤثر عنه قوله (سألت الله تعالى أن يجعل العلم فىّ وفى ذريتى إلى يوم القيامة فأجابنى إلى ذلك) أما والدته فكانت من الصالحات الخيرات تجيد حفظ القرآن الكريم وتتعبد بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار،وفى هذه البيئة الصالحة حفظ ولدهما الناشئ القرآن الكريم ونال قسطا وافرا من الثقافة والعلوم الإسلامية (١) .

توجهه إلى الأزهر الشريف لاستكمال دراسة العلوم الإسلامية :

عندما كمل نمو الشيخ أحمد الطاهر على سلامة الفطرة وقوة الاستعداد لتلقى المزيد من العلم بعث به والده إلى رحاب الأزهر الشريف بالقاهرة . وقد كان على نظامه القديم فوجده حافلا - كما هو شأنه دائما - بالعلماء فى شتى صنوف المعرفة فأخذ يغترف من فيض معارفهم ويستضىء بأنوار إرشادهم حتى أتم الله له فى زمن قصير الفقه فى الدين والتحصيل فى كثير من علومه . ثم عاد إلى بلده تلبية لرغبة والده سنة ١٢٨١

---

(١) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة المرجع السابق .

هجرية فجلس لنشر العلم بين الناس حسبة لله تعالى ونفعا للمسلمين وكانت سنه لم تتجاوز الرابعة والعشرين فأقبل عليه طلاب العلم وكذا مريدو السلوك من شتى نواحى الصعيد للأخذ منه والاستفادة من معارفه(١).

عزوفه عن تولى المناصب الحكومية :

اختط الشيخ أحمد الطاهر لنفسه خطا فى الحياة العامة لم يكن ليحيد عنه ، هو الابتعاد عن تولى المناصب الحكومية أيًّا ماكانت ،لذلك فإنه عندما أراد المسئولون فى الدولة وقتئذ الاستعانة به لتولى منصب القضاء فى مديرية إسنا (٢) اعتذر عنذلك كما اعتذر عن تولى منصب التدريس فى الأزهر الشريف أو شيخا لرواق الصعايدة واكتفى عن كل ذلك ببذل العلم حسبة لله تعالى كما قدمنا والعمل على قضاء حاجات الناس بنفسه وماله وجاهه (٣) .

العوامل التى دفعت الشيخ أحمد الطاهر إلى التفوق فى العلم :

أولا : نشأته بين أبوين صالحين ربياه على حب الإسلام وعلوم القرآن .

ثانيا : البيئة الأزهرية التى التصق بها أيام مجاورته بالأزهر الشريف لطلب العلم حيث كان مشايخ الأزهر وطلابه فى ذلك العهد يميلون إلى

---

(١) المرجع السابق .
(٢) حل محلها حاليا محافظة قنا .
(٣) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة المرجع السابق .

النزعة الصوفية،وكانت أمهات كتب التصوف تدرس ضمن علوم الأزهر ككتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى والحكم العطائية لابن عطاء السكندرى وغيرها من كتب التصوف الكبرى .

ثالثا : اجتماعه بعلامة الصعيد فى الدين والتصوف فى ذلك الزمان وهو العارف بالله تعالى الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى فقد سلك على يديه طريق التصوف على نهج السادة الخلوتية تالك الطريق التى سبق أن نشر لواءها فى الديار المصرية الشيخ محمد الحفنى الملقب بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر الثامن والذى كان معاصراً لشيخ البلد على بك الكبير(١)وكان من ضمن تلاميذه ومريديه الشيخ أحمد العدوى الملقب بأبى البركات أحمد الدردير (٢) .

رابعا : ملازمته حياته كلها لأخيه فى الله تعالى السيد يوسف الحجاجى خصوصا بعد وفاة الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى إذ كان السيد يوسف الحجاجى من خريجى الأزهر وعلماء الإسلام وأقطاب التصوف فى تلك الأيام .

---

(١) كتاب العارف بالله تعالى أبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر تأليف الدكتور عبد الحليم محمود من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٧ هـ — سنة ١٩٧٧ م .

(٢) كتاب أبى البركات سيدى أحمد الدردير تأليف الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٤ م .

مؤلفاته العلمية :

ألف الشيخ أحمد الطاهر العديد من الكتب الإسلامية فى علوم التوحيد والفقه والبلاغة والتصوف ومن هذه المؤلفات نذكر الكتب الآتية :

(١) كتاب الكشف الربانى وهو شرح جليل على منظومة أستاذه الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى فى التوحيد والتصوف .

(٢) نظم صغير فى علم التوحيد سماه (بلغة المبتدى) جمع فيه ببراعة كل أطراف فن التوحيد مع صغر حجمه ووجازة لفظه .

(٣) الروض الندى ، وهو شرح موسع لمنظومته (بلغة المبتدى) حافل بالفوائد .

(٤) الفتح المحمدى،وهو شرح مختصر لمنظومته (بلغة المبتدى)

(٥) القول البديع فى أحكام التسميع .

(٦) نسائم الترويح فى مسائل التراويح .

(٧) شرح على تشطير البردة لأستاذه أبى المعارف أحمد بن شرقاوى لم يكتمل بعد .

(٨) نظم بديع فى علم البيان قوامه ٢٥ بيتا جمع فيه أصوله ومسائله الكلية .

(٩) نظم لرسالة البيان المسماة (تحفة الإخوان) للسيد أبى البركات الشيخ أحمد العدوى الملقب بدردير .

(١٠) نهاية الإرشاد إلى رب العباد فى ذكر الله وآدابه وشروطه .

(١١) كتاب مطية السالك إلى مالك الممالك فى الطريق وما يتعلق

بها وسنتكلم عنها فيما بعد بشيء من التفصيل .

(١٢) وله بجانب هذه المؤلفات العلمية كثير من الرسائل الأدبية والقصائد الشعرية فى مختلف الأغراض السامية (١) .

نظرات فى كتابه مطية السالك إلى مالك الممالك :

هو سفر جليل ومرجع عظيم فى علوم التصوف وصل فى حجمه إلى ٣٨٧ صفحة من القطع المتوسط جمع فيه صاحب الترجمة ماتفرق فى كثير من كتب السادة الصوفية فى عبارات سهلة المبانى حافلة بجليل المعانى،ذللها حتى جعلها تفيد السالكين إلى الله تعالى ورتبه على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة :

ففى المقدمـــة :

ذكر بيان فضيلة طريق التصوف وحقيقتها كما ذكر الفرق بين الطريقة والشريعة والحقيقة فبين أن الطريقة كلها أخلاق محمدية وأنها دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم المنوه عنها فى قول الله عز وجل « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله» (٢) وأنها هديه صلى الله عليه وسلم المعنى بقول الله جل وعلا « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض» (٣) ثم بين أن حقيقة الطريق

---

(١) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الأزهرى بأسيوط ــ المرجع السابق .

(٢) جزء من الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

(٣) جزء من الآية ٥٢ ، جزء من الآية ٥٣ من سورة الشورى .

هى سلوك طريق الشريعة ، أى العمل بمقتضاها ،وأن التصوف بمعنى العمل بالشريعة هو الطريقة ، وأفاد بأن الشريعة هى الأحكام الواردة عن المشرع الحكيم المعبر عنها بالدين .

نقل عن صفوة أهل التصوف أن من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو قال : إن الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان .

وفى الباب الأول :

تحدث عن حقيقة العهد والتلقين وكيفيتهما ووصية الشيخ للمريد والسند الشرعى للقوم فيهما ،وما يتعلق بذلك واستطرد بذكر السند الروحى لأستاذه الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى والذى يتصل سنده الروحى بالشيخ أحمد العدوى الملقب بأبى البركات أحمد الدردير .

وفى الباب الثانى :

بين المؤلف صاحب الترجمة أركان الطريق وآدابها ووصل بها فى جملتها إلى اثنى عشر ركنا أو شرطا : أولها الصدق وثانيها التوبة وثالثها الشيخ ورابعها الذكر وخامسها السهر وسادسها الجوع وسابعها العزلة وثامنها الصمت وتاسعها الصبر وعاشرها الشكر والحادى عشر الفكر والثانى عشر الرضا .

وتكلم عنها رحمه الله واحدا واحدا مضمنا شرحه كل الآداب المطلوبة من المريد فى حق ربه وفى حق شيخه وفى حق نفسه وفى حق

إخوانه وسائر الناس ثم أعقب شرحه بتحذير من الدسائس الخفية التى قد تعترض المريد فى طريقه وتعوقه عن السير إلى الله .

وفى الباب الثالث :

تكلم عن أوراد الطريق مبينا أن مداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وسنن العابدين ومراعاتها من أحسن سمات الصالحين ،وأنه يتأكد على من عين على نفسه وردا من ذكر أو صلاة أو غيرهما أن يواظب عليه ولايتركه إلا لعذر شرعى وخصوصا إذا عاهد شيخه على ملازمته فإن للملازمة على الشيء تأثيرا فى حصول المقصود. قال فى الإحياء (وخير الأمور أدومها وإن قل) وقال فى المنهل : وليكن المريد أخذة على نفسه بالرفق واللين ولايحملها فوق طاقتها لقوله صلى الله عليه وسلم (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولاظهرا أبقى) (١)

وقال صاحب الحكم (لايستحقر الورد إلا جهول) ويحكى عن الجنيد شيخ شيوخ الطائفة قوله (العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك) ويؤكد هذا المعنى ماروي عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (خذوا من العبادة بقدر ماتطيقون وإياكم أن يتعود أحدكم

---

(١) رواه الإمام أحمد والبزار فى سننه والبيهقى فى المصنف والعسكرى فى الأمثال عن جابر هكذا ورد فى جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للإمام جلال الدين السيوطى العدد الحادى والعشرون من الجزء الأول فى السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية.

عبادة ثم يرجع عنها فإنه ليس شيء أشد على الله من أن يتعود الرجل العبادة ثم يرجع عنها) (١)

ثم تكلم الشيخ أحمد الطاهر عن الأوراد الخلوتية ،ومن هذه الأوراد التهجد بالليل وورد طلوع الفجر وورد الفجر وحزب الصبح وورد الظهر وورد العصر وورد المغرب وورد المساء والصباح ثم ورد اليوم والليلة وهو الاستغفار مائة بصيغة (أستغفر الله العظيم الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه) والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم مائة بالصيغة الكمالية والثلاثمائة تهليلة أى قول لاإله إلا الله. ذلك أن الفقهاء قالوا (أقل الإكثار من الذكر ثلاثمائة فى اليوم والليلة فمن أتى بالثلاثمائة كان من الذاكرين الله كثيراً) .

وفى خاتمة الكتاب :

تكلم المؤلف رحمه الله على طريق التصوف التى سلكها وهى طريق السادة الخلوتية وأنها منسوبة أساسا لأبى محمد الخلوتى رأس الخلوتية وإمامهم إذ كان يلازم الخلوة كثيراً وكذا أتباعه فسموا الخلوتية .

وأن نهج هذا الطريق وصل إليهم من إمام الصوفية أبى القاسم الجنيد معنعنا أى مسنداً لإمام عن إمام كما رواه الثقات عن الجنيد ثم من هذا الأخير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه الديلمى عن ابن عباس هكذا ورد فى جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للإمام جلال الدين السيوطى العدد الثالث عشر من الجزء الثانى من السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية .

ثم ذكر طرفا من خصائصها وبعض مناقب الإمام شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر الثامن والذى حمل عبء نشر هذه الطريقة فى الديار المصرية فى عصر المماليك والدولة العثمانية وعند انتهاء المؤلف من إنجاز هذا السفر الكبير - مطية السالك- عرضه على شيخه وأستاذه الفاضل الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى فأتحفه بأبيات شعرية نذكر منها قوله :-

مطية الحق بالتحقيق قد برزت .. وحملت بغية السارى إلى البارى
وقد أنيخت بسوح القوم تخطبهم .. لجدة سرها فى أهلها سارى ..
أولاد روحى هيا امتطوا رغباً .. فى السير للحق كى تحظوا بأنظارى
وقد أتت وفق ما قد كنت آمله .. فالحمد لله فى جهرى وإسرارى(١)

التصوف الإسلامى شىء آخر خلاف التصوف المستورد :

ونعنى بالتصوف المستورد ذلك التصوف الفلسفى الذى نقل عن الهنود واليونانيين الأقدمين (وهم الإغريق) بمسمياته عن عقائد الحلول ووحدة الوجود، وكذا التصوف الذى يضاهى الرهبانية البوذية والرهبانية النصرانية فى حربه للجسد وكوّن أجيالا من القاعدين والمنسحبين فى ميادين الحياة كل ذلك بعيد عن هدايات الإسلام .

أما التصوف الإسلامى المحض الذى سلكه صاحب الترجمة وشيوخه من قبل ومن شابههم فهو الذى نبت فى أكناف الإيمان والإسلام والإحسان

---

(١) كتاب مطية انسالك إلى مالك الممالك تأليف الشيخ أحمد الطاهر الحامدى .

ونما على أغذية جيدة من العلم والعمل واستطاع أن يلوّن المشاعر الإنسانية بصدق العبودية ودفعها إلى التفانى فى مرضاة الله والحس الدقيق بوجوده وشهوده، وجعل أصحابه يسعدون بمشاعرهم وقد أشار إلى معناه النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (ذاق حلاوة الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا) (١) لذلك كانت التكاليف تؤدى من هذا المسلم برضا لابتعب ومعاناة،والمعاصى تترك باستغناء واستعلاء فإدراكه يقوم على الصدق ووجدانه يقوم على العمق ونزوعه يقوم على الشوق (٢)

وفاة الشيخ أحمد الطاهر الحامدى :

وبعد حياة حافلة فى خدمة العلم والدين والفقه والتصوف أسلم الشيخ أحمد الطاهر روحه إلى بارئها وذلك فى العشر الأوائل من شهر ذى الحجة سنة ١٣٣١ هجرية بعد رحلة مع المرض لزم فيها الفراش مدة من الزمان لكن ذلك لم يحل بينه وبين أداء واجباته الدينية فكان يتكلف الوضوء وما فاته شىء من صلاته حتى لقى ربه .

الذرية الصالحة :

ولايفوتنا أن نشير أنه انتظم فى الأزهر الشريف وتخرج فى كلياته

---

(١) خرجه أحمد ومسلم والترمذى ورد ذلك فى الجامع الكبير للإمام جلال الدين السيوطى العدد السادس عشر من الجزء الثانى من السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(٢) كتاب مائة سؤال عن الإسلام تأليف الشيخ محمد الغزالى طبعة دار ثابت للنشر والتوزيع رمضان سنة ١٤٠٣ هجرية — يونيه سنة ١٩٨٣ ميلادية .

الدينية المباركة نجله المرحوم الشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدى الذى عمل سابقا أستاذا بالمعاهد الثانوية الأزهرية وكان آخر منصب له تعيينه شيخا لمعهد الأقصر الدينى الذى شارك فى بنائه . كما تخرج من الأزهر أبناء الشيخ محمد أحمد الطاهر أى أحفاد الشيخ أحمد الطاهر الحامدى صاحب الترجمة وهم الشيخ محمد محمد أحمد الطاهر الشهير بالشيخ المصرى المفتش بالمعاهد الأزهرية بمحافظة قنا ، والأستاذ الطاهر محمد أحمد الطاهر عضو إدارة تحقيق التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، والمرحوم الشيخ عبد الرحمن محمد أحمد الطاهر خريج كلية اللغة العربية وكان سابقا يعمل مدرسا بمنطقة التربية والتعليم بقنا قبيل وفاته ، والشيخ أحمد الموظف بمعهد الأقصر الأزهرى مما يشير إلى أن العلم النافع الموصل إلى الله مازال ممتدا وموصولا فى ذريته تحقيقاً لدعوة جد هذه الأسرة الرجل الصالح الشيخ عوض الله بن عبد القادر طيب الله ثراه (١) .

---

(١) هذه المعلومات وغيرها فى هذا المقال استقيناها من الأستاذ الطاهر محمد أحمد الطاهر عضو إدارة تحقيق التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الوهاب خلاف(١)

عالم أزهرى جليل وفقيه إسلامى كبير كان ينحو دائما إلى معالى الأقوال والأفعال،سمح الوجه عف اللسان تميز بالمروءة والكرامة والخلق الكريم مثل ماتميز باستقامة الفكر والعقل والنفس ، يتجه إلى الحقيقة فى فكر واضح لاالتواء فيه ، وإلى التعبير عنها فى عبارة مستقيمة بينة لاإبهام فيها .

ذلك هو المرحوم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد الواحد مصطفى مصطفى خلاف الذى شرفنا نحن رجال القانون بالتلمذة عليه فى مواد الشريعة الإسلامية وأصول الفقه فى أربعينات هذا القرن إبان عمله أستاذا للشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة فكان فى محاضراته ودروسه العلامة المتمكن فيما يبين ويكشف فى أسلوب سهل رصين ، يتخير من المعانى السهل المألوف والقريب المعروف ومالا يكون سهلا فى ذاته يقربه ويؤنسه ويختار له من الألفاظ والأساليب أقربها إلى الأذهان وأوضحها فى البيان وأحسنها جرسا فى الآذان حتى لقد كان يعد أسلوبه البيانى بحق من السهل الممتنع .

يصفه زميله وصديقه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة فيقول:

كان الشيخ عبد الوهاب خلاف مشرقا فى آماله ، كما كان صابراً

(١) نشر بمجلة الأزهر فى الجزء الأول من السنة التاسعة والخمسين المحرم سنة ١٤٠٧هـ — سبتمبر — اكتوبر سنة ١٩٨٦ م .

فى آلامه إن أصابته الضراء صبر وإن أصابته السراء شكر فكان شأنه شأن المؤمن دائما مأجورا فى الحالين لاتبطره النعمة ولاتوئسه من رحمة الله النقمة ،وكثيرا ماكان فى شدائده يردد فى ضراعة المؤمن (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً) (١) وعندما فقد عزيزين من أبنائه كان يتأسى بأقوال المؤمنين ويتذكر عبارات الصابرين ويردد فى إيمان قول يعقوب عليه السلام فيما يحكيه القرآن الكريم عنه فى قوله تعالى (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) (٢) وكان فى مجالسه الخاصة مع زملائه وعارفى فضله إذا استقام الحديث بين يديه نسى همومه وآلامه وأمتع مستمعيه بمعان يجمعها فى قول كأنه السلسبيل العذب ، لأنه يملك من فنون الحديث والعلم بمداخل النفوس والقلوب الكثير (٣) .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمدينة كفر الزيات من أعمال محافظة الغربية فى مارس سنة ١٨٨٨ م وعندما درج صبيا انتظم فى أحد كتاتيبها حيث حفظ القرآن الكريم ، وفى سنة ١٩٠٠ م التحق بالأزهر الشريف وظل ضمن طلابه حتى افتتحت مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ م فانتظم فى سلك الدارسين بها إثر افتتاحها مباشرة وعند تخرجه منها سنة ١٩١٥

---

(١) سورة البقرة ٢٥٠ .

(٢) سورة يوسف ١٨ .

(٣) من مقال (الأستاذ عبد الوهاب خلاف) بقلم الشيخ محمد أبو زهرة منشور بمجلة لواء الإسلام العدد الحادى عشر السنة التاسعة رجب سنة ١٣٥٥ هـ — فبراير سنة ١٩٥٦ م .

عين أستاذاً بها واستمر ضمن هيئة التدريس بها حتى سنة ١٩٢٠ م حيث عين قاضيا بالمحاكم الشرعية. وفى سنة ١٩٢٤ م استدعته وزارة الأوقاف ليعمل مديرا للمساجد فبقى بها حتى عين مفتشا بالمحاكم الشرعية فى منتصف عام ١٩٣١ ، وفى سنة ١٩٣٤ انتدبته كلية الحقوق بجامعة القاهرة ليعمل بها أستاذا للشريعة الإسلامية واستمر على ذلك حتى أقعده المرض مضطرا ثم وافاه قدر الموت فى يناير ١٩٥٦ م (١) .

كيف كان إلقاؤه للدرس :

كان إلقاؤه للدرس نسيجا وحده يزيده جمالا أن صوته ليس بالصوت اللين الرخو وليس بالأجش الخشن ، يستمع إليه السامع فلا يحس فى إلقائه تكلفا بينما تنساب – فى أثير صوته – مصحوبة بنغماته الإلقائية المصورة بدقة لمعانيه التى يقصد إحاطة طلبته بها .

منزلته المتميزة فى كلية الحقوق :

مما يلفت النظر أن كلية الحقوق بجامعة القاهرة ظلت متمسكة به بل وتمد فى خدمته بها حتى بعد إحالته إلى سن التقاعد سنة ١٩٤٨ واستمرت على ذلك حتى أقعده المرض ، ويبدو أن المسئولين بها رأوا فيه قوة للشريعة بشخصه المهيب وبيانه الرائع وبحوثه الفياضة ولاغرو فشريعة الإسلام بمكانتها القدسية ودقتها الفقهية تحتاج دائما أمام الدارسين لها إلى

---

(١) كتاب الإسلام والمعاملات مجموعة أحاديث الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف ملحق بمجلة الإذاعة سنة ١٩٥٦ .

شخصيات قوية من أمثال المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف تجليها وترد عنها سهام الزائغين .

مكانته الوطنية والعلمية :

اشترك المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف فى ثورة سنة ١٩١٩ ضد الغاصبين والمحتلين الإنجليز فبرزت فيها خلاله ومواهبه الخطابية والكتابية ،وبعد انتهاء الثورة سما بوطنيته عن النفعية والحزبية وابتعد عن الأهواء والأغراض فما كانت رغبته إلا أن يرى الأمة المصرية والأمة العربية والشعوب الإسلامية فى مقدمة الأمم الناهضة القوية العاملة لخير العالم وسلامه ، وعندما انتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية أشرف على وضع معجم للقرآن الكريم .

ولقد سافر – رحمه الله– أكثرمن مرة إلى الأقطار الشرقية الشقيقة للاطلاع على بعض المخطوطات النادرة فكان سفيرا ناجحا لمصر فى كل مكان ، ولما زار السودان فى شتاء سنة ١٩٤٦ م ألقى فى النادى المصرى عدة محاضرات تركت أثرا كبيرا وطيبا فى نفوس أبناء السودان الشقيق(١)

تراثه العلمى :

ألف رحمه الله كتبا كثيرة فى الفقه وأصوله وفى تاريخ التشريع الإسلامى وفى أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام أبى حنيفة ، وما كان عليه العمل بالمحاكم الشرعية كما ألف فى

---

(١) المرجع السابق .

شرح قانون المواريث الذى صدر برقم ٧٧ سنة ١٩٤٣ تعديلا لما سبقه من قوانين ،وفى أحكام الوقف فى الشريعة الإسلامية وما كان عليه العمل بالمحاكم المصرية ،كذلك وضع كتابا نادرا فى السياسة الشرعية ،وترك -رحمه الله- بضعة مجلدات من تفسير القرآن الكريم بعنوان (نور من الإسلام) وهذا عدا مادبجه من بحوث ومقالات كثيرة نشرها فى مجلة القضاء الشرعى ومجلة الأحكام ومجلتى الرسالة والثقافة ومجلة لواء الإسلام إبان صدورها حتى تاريخ وفاته فى بداية سنة ١٩٥٦ م .

نماذج من أحاديثه فى الإذاعة المسموعة :

وهذا نموذج مما قاله-رحمه الله-بعنوان : الدين المعاملة :« بنى الإسلام قانون المعاملات بين الناس على أسس تكفل تبادلهم حاجاتهم ومصالحهم من غير إضرار أحد بأحد ولا وقوع فى مشقة أو حرج ، ولا فتح باب للمنازعات والخصومات .

نهى عن أن يأكل أحد مال أحد بالباطل ، وأن تكون المبادلات عن التراضى ، وكلمة الباطل تشمل كل وسيلة غير مشروعة لأخذ مال الغير ،فالنصب والغش والاحتيال واليمين الكاذبة وأشباه هذه كلها وسائل غير مشروعة ،والمال المكتسب بوسيلة منها مال حرام ، وأكل الحرام يحبط الأعمال ويمحق بركة المال الحلال قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إلاَّ أن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ(١) »ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم « البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن

---

(١) جزء من الآية ٢٩ من سورة النساء .

صدق البيعان وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا ما ويمحقا بركة بيعهما » وفى رواية - «محقت بركة بيعهما . اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب» (١) .

وسدا لأبواب المنازعات والخصومات أمر الله بالإشهاد حين التبايع فقال سبحانه (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) (٢) وأمر بكتابة الدين المؤجل فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) (٣) وبين سبحانه حكمة هذا بقوله (ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا) (٤) وأمر من اؤتمن أن يؤدى ما اؤتمن عليه فقال (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَه)(٥)

ورفعا للحرج عن الناس فى معاملاتهم اغتفر الإسلام الغبن اليسير فى المعاملات وهو مايتسامح الناس عادة فيه ولايمكن الاحتراز عنه ، واكتفى فى انعقاد البيع بالتعاطى أى بإعطاء المبيع للمشترى وإعطاء الثمن للبائع عن غير توقف على صيغة لفظية بالإيجاب والقبول ، واعتبر

---

(١) أخرجه الخمسة وبذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم تأليف الإمام المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيبانى - الجزء الأول كتاب البيع صفحة ٥٣ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦هـ.

(٢) جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٣) جزء من الآية ٢٨٢ من السورة المشار إليها .

(٤) جزء من الآية السابقة فى السورة المشار إليها .

(٥) جزء من الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .

عرف المتعاملين ماجرى عليه تعاملهم مالم يهدم حكما شرعيا أو يعارض نصا ، وأباح بعض أنواع البيوع التى جرى بها عرف الناس ودعت إليها حاجتهم كبيع السلم وبيع الاستصناع .

وتكميلا لهذه الأسس القيمة حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق فى المعاملة ،ذلك لأن المعاملة هى عنوان الذمة الطاهرة والتمسك بالحق والبعد عن الباطل ،والغش والكذب ولذا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (١)

ونهى الله سبحانه عن اللعب والعبث فى الكيل والوزن والقياس وأى نوع من التقدير فقال سبحانه (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخسِرُونَ) (٢) ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السماحة والسهولة فى البيع والشراء والاقتضاء فقال « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا شرى وإذا قضى وإذا اقتضى» (٣) والسماحة فى البيع أن يكون البائع باش الوجه حسن المقابلة وأن لايكثر المساومة وأن لايغالى فى الربح ،وأن لايروج سلعته باليمين الكاذبة والمروجات الباطلة .

والسماحة فى الشراء أن لايسئم المشترى البائع بكثرة الأخذ والرد

---

(١) أخرجه الترمذى بذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول السابق الإلماع إليه كتاب البيع ص ٥٣ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) سورة المطففين ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) أخرجه البخارى والترمذى وبذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول السابق الإشارة إليه .

ويستغرق جزءا كبيرا من وقته فيما لافائدة فيه من تدقيق ممل .

والسماحة فى اقتضاء الحق أن يطالب الدائن مدينه فى هوادة ورفق وأن لايشهر به ، بمطالبته أمام الناس وعلى مسمع منهم ، وألا يلح عليه فى الطلب فى وقت هو يعلم أنه فيه شديد الإعسار ولاقدرة له على الأداء لأن هذا إعنات وإرهاق وليس اقتضاء للدين ،وأن لايجعل أول وسيلة له الخصومة أمام القضاء بل يسالك أولا سبيل الود والمعروف .

والسماحة فى قضاء الحق أو الدين أن يؤدى ماعليه فى وقت استحقاقه ويؤديه كاملا غير منقوص ،ولايحوج صاحب الحق إلى احتمال عناء أو مقاضاة .

وهذه المعاملة الحسنة تيسر للناس قضاء مصالحهم وتبادل حاجاتهم من غير خصومات ولا منازعات ،وتزيد مودتهم وإخلاصهم فى تعاونهم ، ومن صدق الناس صدقوه ، ومن غشهم غشوه ،وكما يدين المرء يدان وبالكيل الذى يكيل به يكال له .

كان الإمام أبو حنيفة تاجرا بالكوفة يتجر فى البز – أى فى ثياب الحرير – وقد ذهب مرة إلى المسجد وترك عامله فى محل تجارته فلما عاد من المسجد أخبره عامله أنه باع الثوب الفلانى فقال له أبو حنيفة (وهل أعلمت المشترى بالعيب الذى فى هذا الثوب) قال العامل : لا فظهرت علامة الاستياء على وجه أبى حنيفة فقال له العامل (أنا أستطيع أن أدرك المشترى وأجىء به) فقال أبو حنيفة (أدركه) فلما عاد المشترى ومعه الثوب أخذه منه أبو حنيفة وبسطه وأطلعه على العيب الذى فيه

وقال له « أنت الآن بالخيار » فقال المشترى لأبى حنيفة « أما وقد صدقتنى فأنا أصدقك أن الدراهم التى أمامك فيها عشرة دراهم زائفة فردها إلى لأعطيك غيرها » (١) .

أما عن كتاباته الرائعة فما كتبه عن علم أصول الفقه قوله « علم أصول الفقه هو مجموعة القواعد والبحوث اللغوية والتشريعية التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وذلك أن أساس التشريع الإسلامى والمصدر الأول الذى يرجع إليه فى معرفة الحكم الشرعى لأى عمل من أعمال المكلفين هو القرآن الكريم والسنة النبوية التى فسرت مجمله وقيدت مطلقه وخصصت عامه وكانت تبيانا له وتماما .

ونصوص القرآن والسنة باللغة العربية لأن الله سبحانه ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم .

واستنباط الأحكام الشرعية من هذه النصوص يتوقف على أمرين :

أولهما : العلم بأساليب اللغة العربية وطرق دلالة عباراتها وألفاظها حتى تفهم معانى النصوص كما تقتضيه اللغة التى وردت بها .

وثانيهما : العلم بمقاصد الشارع من تشريعه والمبادىء التى وضعها أسسا له حتى يكون فهم النص الشرعى على ضوء مقاصد الشارع ومبادئه ويكون العلم بهذه المقاصد والمبادىء سبيلا إلى استنباط الحكم فيما لانص فيه .

---

(١) كتاب الإسلام والمعاملات مجموعة أحاديث الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف . المرجع السابق .

تحقيقاً للأمر الأول : استمد الأئمة المجتهدون من استقراء الأساليب العربية ومما قرره أئمة هذه اللغة قواعد يستعان بها على استفادة المعانى من النصوص وفهم ماتدل عليه بأى طريق من طرق الدلالة بحيث إذا طبقت هذه القواعد يكون فهم النص القانونى من القرآن أو السنة فهما صحيحا مطابقا ماتقتضيه أساليب اللغة وموافقا مايفهمه العربى الذى ورد النص بلغته ،وهذه القواعد اللغوية الأصولية هى الشطر الأول من علم أصول الفقه .

وتحقيقا للأمر الثانى استمدوا من استقراء المبادىء التى بنى عليها الشارع تشريعه ، والعلل التى علل بها أحكامه قواعد يستعان بها على فهم النصوص حسبما أراد الشارع بها بحيث إذا طبقت هذه القواعد يكون فهم النص محققا مقصد الشارع منه،ومتفقا والمبادىء التى بنى عليها التشريع ،لأن الركون إلى عبارات النصوص القانونية وحدها وعدم مراعاة مقاصد الشارع وأسرار التشريع ومبادئه قد يحيد بطالب الحكم عن الصواب ، وهذه القواعد التشريعية الأصولية هى الشطر الثانى من علم أصول الفقه ، وهى كما يهتدى بها فى فهم نصوص القرآن والسنة يتوصل بها إلى استنباط الحكم فى أية واقعة لم يرد بحكمها نص فى القرآن أو السنة(١) .

وعن نشأة وتطور علم أصول الفقه :

يقول المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف:هذا العلم من الفنون

(١) كتاب علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى تأليف الشيخ عبد الوهاب خلاف الطبعة الثانية ١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م .

المستحدثة فى القرن الثانى الهجرى وذلك أن المجتهدين وأهل الفتيا فى صدر الإسلام كانوا فى غنى عن قواعد وبحوث لغوية يتوصلون بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها .

وكذلك كانوا فى غنى عن قواعد وبحوث تشريعية لأنهم قريبو العهد بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد شهدوا فجر التشريع ووقفوا على أسباب نزول الآيات وورود الأحاديث وعرفوا من ذلك كله مقاصد الشارع ومبادئه وأسرار التشريع وعلله واستقر ذلك فى نفوسهم وكون لهم ملكة تشريعية لم يحتاجوا إلى غيرها فى فهم النصوص وفى الاستنباط فيما لانص فيه .

وأما من جاءوا بعد الصدر الأول من المسلمين فلم تسلم لهم تلك الملكة اللسانية التى سلمت لسلفهم، لهذا مست الحاجة إلى وضع قواعد وبحوث لغوية يتوصل بها إلى فهم النصوص العربية على مقتضى أساليب اللغة العربية ومسالكها فى الدلالة .

وكذلك لم تسلم لهم تلك الملكة التشريعية التى سلمت لسلفهم لبعد العهد بفجر التشريع فمست الحاجة أيضا إلى وضع قواعد وبحوث تضبط مقاصد الشارع ومبادئه ليتوصل بها إلى فهم النصوص حق فهمها والاستنباط فيما لانص فيه .

وهذه الضوابط اللغوية والمبادىء التشريعية بدأت قليلة مبثوثة فى ثنايا الأحكام الفقهية وعللها، ففيما كتبه أصحاب أبى حنيفة عنه من الأحكام ، وفى موطأ الامام مالك بن أنس ، وفى كثير مما دون فى عهد الأئمة المجتهدين بعض قواعد هذا العلم وبحوثه لأن كل مجتهد كان

يشير إلى مابنى عليه اجتهاده من مبادىء لغوية أو تشريعية .

وأول من دون من قواعد هذا العلم وبحوثه مجموعة مستقلة مرتبة مؤيدا كل بحث بالبرهان ، ووجهة النظر فيه الإمام محمد بن إدريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة ،فقد كتب فيه رسالته الأصولية التى رواها عنه صاحبه الربيع المرادى ،وهى أول ما دون فى هذا العلم فيما نعلم، ولهذا اشتهر على ألسنة العلماء أن واضع علم أصول الفقه الإمام الشافعى ، وتتابع العلماء على التأليف فى هذا العلم بين إسهاب وإيجاز (١)

وبعـــد :

فلقد خدم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الشريعة الإسلامية ، خدمها بقلمه وبمحاضراته وبأحاديثه وبحوثه،خدمها بشىء آخر هو شخصيته الوقورة المهيبة ، رحمه الله ورضى عنه ،وأجزل له عظيم الأجر وجميل المثوبة قال تعالى « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (٢) .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) سورة المجادلة ١١ .

الشيخ عبد العزيز جاويش

كم أنجبت أمة الإسلام من رجال مخلصين كانوا على مر الزمان جنوداً أعزوا الدين ، ودكوا عروش الظالمين . فلم يطمع فى أرضهم طامع ولا رضوا بجبروت الطاغين،ومنهم قادة حركات التحرير التى تطارد الاحتلال الأجنبى وتجعل بقاءه منكراً ، والتعاون معه جرماً والرضا به كفرا. وبلاؤهم الحسن فى خلاص الأوطان تشرق به صحائف التاريخ ، لقد كرسوا أنفسهم وأموالهم للكفاح فرفعوا أصواتهم بالنذير،وتقدموا شعوبهم فى ساحات الفداء والتضحية وهم مرتبطون قلبياً وفكرياً بدينهم يصدرون عنه وينطلقون منه.

ولئن كان الشيخ عبد العزيز جاويش من هؤلاء الصفوة إلا أنه لم يكن علما فى الوطنية فحسب،بل كان علاَّمة فى التربية أيضاً ، فلقد تقلب بين أجواء ثلاثة فى حقل التعليم إذ تعلم بالأزهر الشريف ودار العلوم ثم سافر إلى إنجلترا طالبا مرة وأستاذاً للغة العربية بجامعة أكسفورد مرة أخرى ، وهناك لمس عن كثب مابلغته التربية الإنجليزية فى مدارس الإنجليز من تفوق رائع ساعد على النهوض بالدولة ومكن لرجالها فى العصر الحديث أن يكونوا فى مراكز الصدارة بين الأمم ، ثم قرن ذلك بما انحدرت إليه التربية فى مصر على يد الاحتلال البريطانى فأيقن أن

* نشر بمجلة الأزهر عدد ذو الحجة سنة ١٤٠٩ هـ – يوليو سنة ١٩٨٩ م .

إصلاح طريق التعليم وإعداد مناهج التربية على وجه سليم هو مما يدفع البلاد إلى الحرية الصحيحة والكرامة المثلى.

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبدالعزيز جاويش بمدينة الإسكندرية فى ٣١ أكتوبر سنة ١٨٧٦ م وبهذه المدينة بدأ حياته التعليمية بالأزهر سنة ١٨٩٢ م ثم التحق بمدرسة دار العلوم، ولما تخرج فيها سنة ١٨٩٧ م عين مدرساً فى مدرسة الزراعة إلا أن وزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً) أرسلته فى بعثة تعليمية إلى جامعة (برورود) بإنجلترا فبقى بها مدة سنتين عاد منها إلى مصر سنة ١٩٠١ م فعينته وزارة المعارف مفتشاً بها ، ثم طلبته جامعة أكسفورد ليعمل بها أستاذاً للغة العربية فبقى بإنجلترا حتى عاد إلى مصر سنة ١٩٠٦ م حيث تولى منصب المفتش الأول بوزارة المعارف إلى أن استقال فى أبريل سنة ١٩٠٨ ليتولى تحرير (جريدة اللواء) لسان حال الحزب الوطنى وقتئذ (١)

كيف حاول الشيخ عبد العزيز جاويش إصلاح حال التعليم بمصر ؟

عندما أسندت إلى الشيخ وظيفة التفتيش بوزارة المعارف لاحظ مافعله المستر دنلوب مستشار الاحتلال البريطانى فى تلك الوزارة من إطفاء لجذوة التفكير

---

(١) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش — كتاب الهلال — ذو الحجة سنة ١٣٧١ هـ — سبتمبر سنة ١٩٥٢ م .

ومسخ لمنهجية الدرس فى معاهد التعليم،فالطلاب آلات تحفظ دون أن تفهم ، وكل ماتفعله المدرسة أن تخرج جماعات من الموظفين يسدون ثغرات النقص فى مصالح الحكومة والإدارات المهنية دون أن تعمل على تخريج جيل ينمى الفكر ويعشق الإبداع ، فشن الشيخ عبد العزيز جاويش حملته على أسلوب التلقين الشفوى دون استبصار وتمحيص. وسجل أفكاره فى مؤلف تربوى يقود المدرس إلى مراشد النور ودعاه بكتاب (غنية المؤدبين) فرق فيه بين معنى التربية ومعنى التعليم ، ودعا فيه إلى الاستنباط والتعليل واستخدام الحوار فى الدرس ونعى على الإلقاء الخطابى والاستظهار اللفظى. وطلب من المدرسين :

أولا : أن يكون المدرس منهم مثالا حيا بشخصيته لا كتاباً جامداً بالمعلومات .

ثانيا : وأن يكون المعلمون مثلا حسنة فى سيرهم وأخلاقهم من جميع الوجوه لتلاميذهم ولمن جاورهم من الناس.

ثالثا : وألا يقتصروا على تعليم تلاميذهم المواد المقررة بل يجتهدوا فى بث وإحياء عادة الاطلاع فيهم مع المحافظة على الأوقات وعلى الجد والطاعة والتأمل فى الأمور والذوق فى المعاملة والشفقة بالناس.

ولقد كان من إخلاص الشيخ جاويش فى عمله أن كان يظل فى مكتبه بوزارة المعارف عشر ساعات يوميا ليؤدى واجبه كما يطمئن هو إليه لارغبة فى حظوة فقد كان وهو مراقب التعليم الأوّلى يتقدم الكثير من كبار موظفى وزارة المعارف ويراهم فى منطق الواقع بعضا من تلاميذه (١) .

(١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين تأليف الدكتور محمد رجب البيومى الجزء الأول سلسلة البحوث الإسلامية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

نظرته للمبعوث الذى يتزوج من فتاة أجنبية :

يحكى عنه الدكتور زكى مبارك فيقول : (دخلت عليه مرة فوجدت عنده إنسانا منزويا فى إحدى نواحى المكتب ، ورأيت الشيخ جاويش غضبان والشرر يتطاير من عينيه فسلمت تسليما مختصرا وجلست ، وماهى إلا لحظات حتى انفجر الشيخ كالبركان فى وجه ذلك الجليس فقد صرخ : من يتزوج بناتنا إذا جاز لكل شاب مأفون ألا يزور أوروبا إلا عاد ومعه زوجة فرنسية أو إنجليزية أو ألمانية ؟

إن الأتراك لايتزوجون بناتنا غطرسة منهم وكبرياء . والمغاربة وهم فى مثل حالنا لايتزوجون بناتنا إلا فى قليل من الأحوال.. فكيف يجوز لشاب أن يترك بنات وطنه للبوار وهو يعرف فى سريرة نفسه أن الفتاة المصرية معدومة النظائر فى الجمال وفى أدب النفس ، وما الذى يبهرك فى الفتاة الأوروبية حتى تنسى بها بنت وطنك ومتى يصير أمثالك رجالا يعتمد عليهم الوطن وقد حرمكم الله نعمة الوطنية .

ثم خرج الشاب وهو آسف ، وكانت لحظة صمت توهمت فيها عينى الشيخ جاويش مغرورقتين بالدمع ثم تكلف الابتسام وقال : لاتؤاخذنى فذاك فتى كان أبوه من أعز أصدقائى وما كنت أحب أن ينسلخ من وطنه بالزواج من امرأة أجنبية (١) .

---

(١) المرجع السابق .

اهتمامه بمتابعة منهجه التربوى بعد تركه العمل فى وزارة المعارف :

تابع الشيخ عبد العزيز جاويش منهجه التربوى حتى بعد استقالته المفاجئة من وزارة المعارف وخوضه معركة الحرية رئيساً لتحرير جريدة اللواء،فقد كان الحزب الوطنى يقيم الاحتفالات الكثيرة فى عواصم البلاد لمحاربة الاحتلال،يحمل فيها الخطباء على المستعمر الإنجليزى ويندددون بالاحتلال فإذا جاء دور الشيخ جاويش أعلن أنه يكتب كل يوم فى افتتاحية اللواء كلمة سياسية تعبر عن رأيه ، وأنه بعد أن أسهب زملاؤه فى مسائل السياسة يخص بكلمته معاضل التربية والتعليم فيتحدث عن أقسام التربية وأنواعها من خلقية وعقلية ووجدانية ويدعو إلى إنشاء مدارس رياض الأطفال وضرورة إنشاء معاهد خاصة بالتجارة والصناعة والزراعة والتربية النسوية،ويفصل الكلام على كل معهد ثم يعد المستمعين بأنه سيفيض فى برامج هذه المدارس بصحيفة الهداية التى كان يديرها ثم يفيض فى الحديث عن مدارس البلاد ومبلغ تأخرها الصارخ عن ركب التقدم الثقافى ويستعرض المدارس الحكومية والمدارس الأجنبية والكتاتيب الابتدائية فيصور عيوب كل منها ويدعو إلى تغيير أساليبها وتعديل برامجها مقارناً ماانحدرت إليه التربية فى مصر بما ارتفعت إليه فى شتى عواصم أوروبا . ثم نزل الشيخ جاويش إلى الميدان التطبيقى فأسس المدرسة الإعدادية لتكون بعيدة عن سلطة المستشار الإنجليزى فى وزارة المعارف (١) .

---

(١) المرجع السابق .

نضاله فى إصلاح الأسرة :

كانت الدعوة المزعومة إلى تحرير المرأة قد أحدثت بلبلة فكرية فأخذ الشيخ على عاتقه أن يبين وضع الأسرة فى الإسلام فأفرد فى جريدة اللواء مكانا لمعالجة موضوع المرأة وسمح للأقلام المتعارضة أن تبدى وجهات نظرها المختلفة ، ولما عقدت الحكومة المصرية سنة ١٣٢٩ هـ مؤتمرا عاما لمناقشة وسائل التقدم الاجتماعى نهض الشيخ جاويش بعبئه الضخم فألقى بحثا شافيا عن الأسرة فى رأى الإسلام مهد له بأصول فقهية هامة تجعل رعاية الأصلح واختيار أهون الشرين وتقديم درء المفاسد على جانب المصالح ، وتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام وأشباه ذلك قواعد عامة فضفاضة تتسع لما يتطلبه العلاج الاجتماعى من تقنين ، ثم تحدث عن الزواج والطلاق ، وأبدى الأصول النظرية لوضع الزوجة فى التشريع الإسلامى (١) .

جهاده الوطنى :

كان المرحوم محمد فريد من أشد المعجبين بالشيخ عبد العزيز جاويش خصوصا بعد اجتماعه معه وسماعه له فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد سنة ١٩٠٥ م فى مدينة الجزائر ، كما عرفه بصديقه الزعيم مصطفى كامل فتمكنت بينهم أواصر الصداقة والميول الوطنية ،ولما توفى الزعيم مصطفى كامل وتولى زعامة الحزب الوطنى محمد فريد أسند رئاسة تحرير جريدة اللواء

(١) المرجع السابق .

إلى الشيخ جاويش فافتتح مقالاته بها بكلام ناصع البيان يفيض بوطنيته وشجاعته وكريم خلقه نقتطف منه قوله (بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ومطيتها الدهان والتلبيس ، فى أسواقها النافقة تشترى نفيسات النفوس بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرءوس ، وبِيُمْنِكَ اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة..)

هذه هى الحياة المحفوفة بالمخاطر ، مُنْبَرِياً فى ميدانها فإما إلى الصدر وإما إلى القبر ، موقنا بما أعده الله لعباده العاملين المخلصين من الظفر والفتح المبين عارفا أن :

الحى لا يموت إلا مرة..   والموت أحلى من حياة مرة

وكيف لانقدم من أنفسنا قرابين بين أيدى أهرام هذا القطر ونيله؟

أم كيف لانصرف كل مرتخص وغال فى سبيل تحريره وقطع اليد الغاصبة له جزاء بما كسبت ،فلنتمسك بذلك المبدأ الشريف ماحيينا ، ولنعتصم به مابقينا ولنرفع أصواتنا حتى نطرق بها أبواب السماء فنستنزل المقت والسخط على من دخلوا بلادنا وقبضوا بأيدى جبروتهم على نواصينا. واستخدموا فى سبيل إصابة غرضهم أفرادا إذا مالقوكم قالوا : إنا لكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

سيسير اللواء كما كان عليه خادما للأمة المصرية ، مجاهدا الإنجليز مابقوا فى بلادنا ، حاثا على الفضيلة والأخلاق الكريمة ، داعيا إلى توحيد

عناصر الأمة على اختلاف مللها ونحلها وتباين مشاربها ولهجاتها .

فاللهم أسألك لسانا ناطقاً بالصواب والحكمة وقلما لاجولة له فى ميادين القحة ولا علم له بمعاهد الفحش والسباب .

فما أحوج الأمة إلى كلمة حق يستمعونها وجميل عظة يعونها .

وما أقمن الجرائد أن تتضامن وتتعاون على البر والتقوى . وما أخلقها أن تجتمع حتى تكون يداً واحدة على أعدائها يحذرونها ويخشون بطشها وما أحراها أن تعلم أنها بتفريقها وتخاذلها إنما تشمت عدوا مبينا ،وتكمد صديقاً شفيقاً ،فأرسل اللهم على قادة هذه الأمة ومرشديها من عندك روحاً يجمع شتيتها ويوحد كلمتها ويعصم أقدامها من الزلل وآراءها من الخطأ والخطل أمين (١) .

محاكمته بسبب نشره أنباء ثورة مدينة الكاملين فى السودان :

كان لقلم الشيخ عبد العزيز جاويش فى الصحافة من التأثير والسطوة مكان مهيب ،وإذ ضاق به رجال الاحتلال وأذنابهم تحينوا الفرص لمحاكمته والقذف به فى أعماق السجون ليستريحوا من نضاله المرير وقد واتتهم الفرصة عندما نشر بجريدة اللواء بعددها المؤرخ فى ٢٨ مايو سنة ١٩٠٨ مقالا تحت عنوان (دنشواى أخرى فى السودان) بسبب ما وقع من ثورة فى بلدة الكاملين تزعمها « الشيخ عبد القادر» فجردت عليه الحكومة قوة

---

(١) كتاب محمد فريد - تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ تأليف المرحوم عبد الرحمن الرافعى .

من الجيش نكلت بالثائرين وقتلت عدداً كبيراً منهم وقبضت على زعيم الثورة وكثير من أتباعه وقدمتهم للمحاكمة أمام المحكمة المدنية الكبرى طبقا لنظام العقوبات فى السودان،واستمرت المحكمة منعقدة من يوم ١٩ مايو سنة ١٩٠٨ إلى ٢٣ منه ،وفى هذا اليوم أصدرت حكمها على اثنى عشر شخصا منهم الشيخ عبد القادر بالإعدام وعلى ثمانية بالسجن المؤبد ومصادرة أملاكهم ، لكن حاكم السودان استبدل بحكم الإعدام السجن المؤبد .

ولما أمسكت الجهات الرسمية عن نشر أنباء تلك المحاكمة كتبت جريدة اللواء أن حكم الإعدام كان على سبعين رجلا ، والسجن على ثلاثة عشر ، وأنه أعدم من المحكوم عليهم أربعون شخصا ، وعندئذ قامت وزارة الحربية بإصدار بلاغ تصحح فيه تفاصيل الخبر ونشرت الصحف ومنها جريدة اللواء بلاغ الوزارة ، وفى ٣١ مايو نشر اللواء مقالا آخر عن نفس الموضوع تحت عنوان : (الحكم على أتباع الزعيم عبد القادر) أظهر فيه الشك فى بلاغ وزارة الحربية وأشار إلى أن عدد المحكوم عليهم بالإعدام يزيد على اثنى عشر شخصا فعدت الحكومة هذا المقال إهانة لوزارة الحربية ،كما عدت المقال الأول إذاعة لأخبار كاذبة يترتب عليها تكدير السلم العام ، وبناء على ذلك أقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ جاويش لمحاكمته عن التهمتين . ونظرت القضية أمام محكمة عابدين الجزئية فى شهر يوليو سنة ١٩٠٨ وأصدرت حكمها فى ٤ أغسطس سنة ١٩٠٨ بالبراءة من تهمة نشر الخبر الكاذب ،وبمعاقبته بغرامة عشرين

جنيها عن تهمة إهانة وزارة الحربية . وقد استؤنف الحكم من جانب الشيخ جاويش ، كما استأنفته النيابة لقلة العقوبة وأمام محكمة الجنح المستأنفة بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٩٠٨ صدر الحكم بالبراءة من التهمتين فكان لهذا الحكم دوى كبير فى الأوساط السياسية والعالمية (١)

المحاكمة الثانية للشيخ عبد العزيز جاويش :

لما كان شهر يونيو يقترن عادة بذكرى مذبحة دنشواى التى وقعت فى ١٣ من ذلك الشهر سنة ١٩٠٦ م وأعدم بسببها — ظلما — عدد من المصريين حرر الشيخ مقالا نشر باللواء بتاريخ ٢٨ يونيو سنة ١٩٠٩ م بلغ من قوته أنه أحدث من التأثير والفزع فى نفوس رجال الاحتلال وعملائه والإدارات الخاضعة له ماجعل النيابة تعده طعنا فى حق هيئة المحكمة المخصوصة التى حاكمت الزراع البؤساء فى تلك الحادثة وقدمته للمحاكمة أمام محكمة عابدين الجزئية فحكمت عليه بتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ بدفع غرامة مقدارها أربعون جنيها ، فاستأنف الشيخ جاويش هذا الحكم كما استأنفته النيابة فجاء الحكم فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٩م بتعديل الحكم الابتدائى إلى الحبس ثلاثة أشهر ، فرفع محاموه نقضا للحكم قضى برفضه ، وفى نفس اليوم أنذرت الحكومة جريدة اللواء مما يشير إلى خضوعها لسطوة الاحتلال والاضطهاد المتعمد للحركة الوطنية.

ونظرا لما قوبل به الحكم من الاستياء الشديد من جانب الرأى العام

---

(١) المرجع السابق .

عمل أفراد الشعب على رد ذلك الظلم الصارخ فَأُعْلِنَ عن اكتتاب عام بين طوائفه لإعداد وسام للشيخ المجاهد حتى إذا أخلى سبيله ، أقيمت له حفلة تكريم كبرى فى (فندق شبرد) تقلد فيها وسام الشعب فى مظهر وطنى رائع (١) .

محاكمته للمرة الثالثة :

كان الأستاذ الشاعر على الغاياتى المحرر بجريدة اللواء قد أصدر فى شهر يوليو سنة ١٩١٠ ديوانه الشعرى المسمى (وطنيتى) ضمنه قصائده عن الحوادث التى وقعت خلال العامين الماضيين، وقد كتب الزعيم محمد فريد مقدمة له كما كتب الشيخ عبد العزيز جاويش مقدمة أخرى لذلك الديوان ، ولما كانت الحكومة قد انتهجت سياسة الشدة حيال الحركة الوطنية فإنها أمرت بمصادرة نسخ ذلك الديوان وأوعزت للنيابة بالتحقيق فيما ورد به رغم أن مابه من قصائد سبق للصحف نشرها ، ولم تجد النيابة فيها وقتئذ مايستدعى المحاكمة ، وقد أرجأت النيابة التحقيق مع المرحوم محمد فريد لحين عودته من أوروبا ، لكنها سارت فى تلك الإجراءات مع المؤلف ومع الشيخ جاويش وأحالتهما إلى محكمة الجنايات حيث عرضت القضية فى أغسطس سنة ١٩١٠ فتبين غياب المؤلف ، بسبب سفره إلى (استامبول) ومنها إلى (سويسرا) وبعد نظر القضية وأداء الدفاع لمهامه أصدرت المحكمة حكمها على الشيخ على الغاياتى

---

(١) المرجع السابق :

مؤلف الديوان غيابيا بالحبس سنة مع الشغل ، وعلى الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر مع النفاذ ونفذ عليه الحكم فوراً (١) .

مغادرته البلاد واستئنافه الكفاح خارج وطنه :

كان لاضطهاد الحكومة للحركة الوطنية وتقديمه للمحاكمة وحبسه فى محاولة لإسكات صوته وتحطيم قلمه ماجعله يضيق بهذا الوضع فغادر مصر سنة ١٩١٢ (٢) متنقلا بين تركيا وعواصم الدول الأوروبية والشرقية داعيا إلى الحرية والاستقلال ولم ينس مع ذلك واجبه نحو الإسلام والمسلمين إذ قام بالآتى :

أولا : فى تركيا أصدر صحائف الهداية ــ والهلال العثمانى ــ والحق يعلو للدفاع عن حقوق العالم الإسلامى .

ثانيا :وفى المدينة المنورة أنشأ الجامعة الإسلامية سنة ١٩١٤ ووضع أساسها العلمى .

ثالثا : وفى مدينة القدس أعاد إصلاح كلية صلاح الدين .

رابعا : ثم اشترك فى مؤتمر الدفاع عن الأمم المهضومة فى مدينة استوكهولم.

خامسا : كما سافر إلى إنجلترا لإنشاء أسطول إسلامى بوساطة بعض الأغنياء من مسلمى الهند فى ذلك الوقت.

---

(١) المرجع السابق .

(٢) كتاب ذكرى فقيد الوطن أمين الرافعى بقلم محمد صادق عنبر سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م .

سادسا : وتزعم الدعوة إلى التبرعات وإرسال الذخائر وتهريب القواد لمحاربة الإيطاليين الذين حاولوا احتلال الأراضى الليبية (١) .

عمله فى تركيا وخلافه مع كمال أتاتورك :

بعد سقوط الدولة العثمانية فى تركيا عينته الحكومة التركية الحديثة رئيسا للجنة الشئون الإسلامية بأنقرة ، لكنه لم يرض بما آلت إليه الدولة هناك بسبب إلغاء الخلافة ومعارضتها للقوانين الدينية الإسلامية فحمل لواء المعارضة لكمال أتاتورك وعول على العودة إلى الوطن خصوصا بعد إعلان الدستور سنة ١٩٢٣ وقيام الحياة النيابية فى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وإلغاء الحماية الإنجليزية عن البلاد (٢) .

عودته إلى أرض الوطن ثم وفاته :

وبعد كفاح مرير طال أمده فى سبيل تحرير وطنه اضطره بسبب ضيق ذات اليد إلى الاحتطاب بمدينة برلين فى بعض سنى الحرب العالمية الأولى ليجد مايمسك الرمق من الطعام رجع إلى مصر متخفيا ليواصل جهاده ، وفى تاريخ وصوله يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٣ نشرت جميع الصحف مقالا بتوقيعه تحت عنوان : تجديد العهد،ثم بعد عشرة أيام صرحت الحكومة المصرية فى ذلك الوقت (وقد كان يرأسها يحيى إبراهيم باشا) للشيخ عبد العزيز جاويش بالإقامة ، ولما كانت الغربة والضائقة

---

(١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين تأليف الدكتور محمد رجب البيومى — الجزء الأول المرجع السابق :

(٢) المرجع السابق :

والتشرد قد نالت من صحته آثر العمل الهادىء فى وزارة المعارف، فعين فى سنة ١٩٢٥ م مراقبا عاما للتعليم الأوّلى ، وقام فيه بجملة إصلاحات معروفة ، وظل فى ذلك المنصب حتى لقى ربه فى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٩ بعد حياة حافلة بالجهاد والوطنية وسنه لاتتجاوز الثالثة والخمسين (١)

وقد رثاه كثير من شعراء مصر فى ذلك الوقت كان منهم المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب الذى قال فيه :

عبد العزيز تحية من أمة
فقدتك فى ليل الخطوب سراجا
لم ينس برك من بنيها معشر
سلكوا بهديك فى التقى منهاجا
هذا شباب المسلمين وهذه
عبراتهم تجرى دما أفلاجا(٢)
نظموا خلالك فى القصيد وأقبلوا
يتساجلون بلحنها أهزاجا(٣)

ولا يزال هناك الكثير الذى يمكن أن يقال عن ذلك العلم الذى قل أن يكون له نظير .

---

(١) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش — كتاب الهلال ذو الحجة سنة ١٣٧١ هـ — سبتمبر سنة ١٩٥٢ م المرجع السابق .

(٢) الفلج — بزنة العدل — النهر الصغير .

(٣) ديوان عبد المطلب وقف على طبعه رفيقه وصديقه محمد الهراوى — نشر مطبعة الاعتماد بالقاهرة .

الشيخ عبد العزيز جاويش في نضاله مع المستشرقين ومع الدارسين في جامعة أكسفورد(١) :

كان الشيخ عبد العزيز جاويش قد سافر إلى إنجلترا للمرة الثانية أستاذا للغة العربية بجامعة أكسفورد حيث شاهد الطلاب هناك نموذجاً حياً للمدرس البحاثة المستنير ، وعز عليهم كما صور لهم تفكيرهم المتأثر بموروثات الصليبيين المضللين أن يكون هذا النابغة الموهوب مسلماً يدين بدين الخرافات والأساطير كما يلقنون ، فأخذوا يتحلقون حوله في أوقات الفراغ ويناقشونه فيما يعتقد من الآراء فإذا اتجه الحديث إلى الإسلام أسهبوا فيما يأخذونه عليه من مآخذ فهو في رأيهم : دين الاسترقاق والعبودية والقتال والسيف وتعدد الزوجات والطلاق ، وأن المسلمين يعبدون محمداً كما يعبد النصارى المسيح ابن مريم والمجامل منهم من يرى أنه لايصلح إلا للقبائل الصحراوية والأمم البدائية في أزمنة ماقبل العصور الوسطى دون أن يحمل عناصر الرقي للقرن العشرين وما يليه .

إجابات الشيخ جاويش تكشف أباطيل ماكتبه أعداء الإسلام :

وظل الشيخ عبد العزيز جاويش يستمع إلى أراجيف الدارسين وطلبته في تلك الجامعة الإنجليزية ثم يجيب عنها بما يكشف ظلمات الباطل حتى سطعت شمس الإسلام على يده في عقول الكثير من تلاميذه ولم

---

(١) نشر بمجلة الأزهر المحرم سنة ١٤١٠ هـ - أغسطس سنة ١٩٨٩ م .

يكد ينتهى من دحض تلك الأراجيف حتى انطلق أحدهم قائلاً : يخيل إلىّ ، أيها الشيخ ، أن هذا الدين لاينافى الفطرة فى شىء ، فأجابه الشيخ جاويش بما تذكره من حديث رسول الله ﷺ : إذ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا تجدعونها » وترجم لهم ذلك الحديث (١) .

وقد جمع الشيخ عبد العزيز جاويش هذه الشبه والرد عليها فى بحث سماه « الإسلام دين الفطرة » تلاه فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد بمدينة الجزائر سنة ١٩٠٥ (٢) . ولابأس أن نلقى بعض الضوء ولو بصفة موجزة على بعض ماتضمنه من عناصر بما يناسب المقام .

الفطـــرة والتوحيد :

يقول الشيخ جاويش : كل إنسان يشعر بفطرته أن ثمة واحداً قد نظم هذا العالم ودبره لايمكن أن يشابه الممكنات فى شىء من صفاتها

---

(١) أورده الإمام المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيبانى الزبيدى الشافعى فى كتابه تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول فى الفصل الثالث من الباب الثانى من الجزء الأول صفحة ٢٤ ونصه « ما من مولود إلا يولد على الفطرة . ثم يقول اقرءوا (فطرة الله التى فطر الناس عليها) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها » أخرجه الستة إلا النسائى وهذا لفظ الشيخين وللباقين بنحوه — طبع فى المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦ هـ .

(٢) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش — كتاب الهلال ذو الحجة ١٣٧١ هـ — سبتمبر ١٩٥٢ م المرجع السابق .

فليس بجسم ولا عرض ولامحدود ولامتحيز ولايستطاع إدراكه إلا بآثاره الشاخصة ،وهو غير قابل للحلول ولا للصعود ولا للنزول ، إلى ذلك اهتدى الأعرابى بفطرته فقال : البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير،فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج،كيف لاتدلان على اللطيف الخبير .

فجاء الإسلام مصدقاً لما اقتضته الفطرة السليمة ولم يزد فى الاستدلال شيئاً سوى أن أيقظ العقول ونبهها إلى النظر فى آثار الله تعالى،فما عليك إلا أن تتصفح القرآن الكريم فتجد ذلك فى أكثر من آية من آياته ، كما أن الإسلام فى وصفه الحق وإثباته جاء بما يطابق مقتضى الفطرة والعقل تمام المطابقة أفلا تدبرت قول الله تعالى : « اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ » . ولقد جمعتنى المصادفة برجل مسلم من الإنجليز لم يَرْجُ من إسلامه شيئاً من حطام الدنيا ولا أن ينال جاها يتخذه عدة لنيل شىء من الرغائب السياسية فقال لى : إن فى القرآن الكريم آية لاأمل تكرارها ولامن ترديد النظر فيها ، جاءت فى وصف الله تعالى بما ليس فى استطاعة أحد من أئمة الأديان الأخرى أن يأتوا بها ، ثم تلا تلك الآية الكريمة آية الكرسى .

(١) سورة البقرة ٢٥٥ .

ويذكر الشيخ جاويش تتميماً لموضوع التوحيد كلمات عثر عليها «للورد ماكولى» وذلك قوله : (إن السواد الأعظم من العامة معظم أفكارهم وقضاياهم إما خيالية أو وهمية أو شعرية فلا يكادون يبنون شيئاً من مذاهبهم ومعتقداتهم على نظر صحيح وفكر سليم ، ومن هنا نشأت كما يظهر الأديان الوثنية فى كل أمة وفى كل جيل وفى كل زمن فاختلفت لذلك صور الآلهة باختلاف ماصوره خيال معتقديها ، ولطالما أذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً فى دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال) (١) .

القرآن الكريم والفطرة البشرية :

نزل القرآن الكريم على النبى محمد ﷺ معجزة خالدة أبدية ليؤدى ماقصد منه حسب الفطرة البشرية والسنة الإلهية للهداية من الضلالة والشفاء من الجهالة ، وما زال القرآن إماما يتبع وفيصلاً يحكم فى النوازل ينادى أرباب العقول بتدبر آياته ، ولقد عاش نبى الإسلام ماعاش ثم مضى السلف الصالح من بعده فما سمع أن أحداً منهم فهم من القرآن إلا مايدل عليه من حيث هو كتاب عربى مبين ، مما يقتضى من المفسرين ألا يكلفوه من التأويل مايخرجه عن الهدف الذى أنزل لأجله قال تعالى : (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً) (٢) .

---

(١) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش نقلا عن The essay on milton

(٢) سورة فصلت ٣ ، ٤ .

هل أسس الإسلام على القتال والسيف :

لهج معظم الأوروبيين بدعوى أن الإسلام لم ينتشر ولم ترسخ قدمه فى عالم الوجود، إلا لأنه سعى والسيوف أمامه تمهد له السبيل وتذل بين يديه العظماء . وتلجىءالمستضعفين إلى اعتناقه حقنا لدمائهم وصيانة لأملاكهم ، ونسى هؤلاء أن نبى الإسلام لما بعث بالهدي ودين الحق كان يُسِرُّ بدعوته إلى من يثق بتوقد فكره وتمكن الإنصاف من قلبه ، فلم يَسُلَّ لتأييد رسالته إلا كلمة الهدى والحجة الفاصلة فدخل فى الإسلام لفيف من أهل مكة غير مهددين ولاملجئين، ولكن طائعين منصفين مدركين الفرق بين ماكانوا عليه من الضلال ، وما أتاهم به هذا الدين الحنيف « من الهدى» ، ولما جهر رسول الله ﷺ بالدعوة سخرمنه المعاندون والكافرون ولقى هو والمسلمون أذى ومناوأة واعتسافا فأشار إليهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، واستمر هو – صلى الله عليه وسلم – فى دعوته ، حتى آمن بها نفر من قبائل الأوس والخزرج أهل المدينة ، ثم أخذ الإسلام يفشو سريعاً بينهم ، فأجمع المشركون وأتباعهمْ أمرهم على قتل نبى الإسلام فأذن اللهلرسوله ﷺ بالهجرة فخرج هو وصاحبه أبو بكر الصديق إلى المدينة لينزل فيمن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، ومن هذا العرض يتبين أنه من بداية دعوة الإسلام حتى تمت الهجرة إلى المدينة وقد بلغت هذه الفترة ثلاثة عشر عاماً لم يشرع فيها قتال أو يمتشق فيها السيف ، ثم شرع القتال دفاعاً بلا عدوان . قال تعالى :

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) (١) . فلما تمالأ على المسلمين غيرهم من قبائل العرب أباح الله لرسوله ﷺ أن يقاتل كل معتد عليه فقال : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كافة) (٢) وقال جل شانه : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) (٣) وهذا مايسمى فى زماننا المعاصر بقتال المدافعة عن النفس ومع كل ذلك فلقد نهى الله المسلمين عن الاعتداء ولم يبح لهم إلا مقاتلة الظالمين البادئين بمقاتلتهم ،وهذا مايشير إليه قول الله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (٤) وخلاصة القول أن البصير بالتاريخ يشهد بأن رسول الإسلام لم يسل فى حياته سيفاً لإرغام أحد من الناس على الدخول فى دينه ولكن الهدى هدى الله يهدي به من يشاء من عباده .

تعدد الزوجات فى الإسلام وإباحة الطلاق :

حشا الأوروبيون كتبهم طعنا فى الإسلام متمسكين بما قررته شريعته من إباحة التزوج بأكثر من واحدة ، ولو كانوا يعرفون اللغة العربية ويفقهون كتاب الله وقواعده مااستطاعوا أن يلصقوا بالإسلام ماليس من شيمه .

---

(١) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .
(٢) سورة التوبة ٣٦ .
(٣) سورة الأنفال ٥٨ .
(٤) سورة البقرة ١٩٠ .

حقيقة جاء القرآن وأباح أن يتزوج المسلم مثنى وثلاث ورباع، ولكن الله تعالى شرط لإباحة التعدد وجوب العدل وذلك فى قوله : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) (١). والحكمة فى أن القرآن الكريم لم يصرح بتحريم تعدد الزوجات أن الله أرسل رسوله للناس كافة بشيراً ونذيراً. ولاريب أن ثمة أحوالاً يحسن أو يجب فيها تعدد الزوجات ولايمكن لأحد الفرار من الاعتراف بوجود كثير من الأحوال التى تقتضى (٢) ذلك كإصابة الزوجة بالعقم أو بمرض مزمن وما شابه ذلك ، فتعدد الزوجات أسلم عاقبة من إتيان الفاحشة ، وما جاء به محمد ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل فإن يعقوب وداود عليهما السلام تزوجا كثيراً من النساء وهما الرسولان اللذان لايسع يهودى ولانصرانى إنكار نبوتهما .

وأما عن إباحة الطلاق فبسبب ماقد تدعو إليه الضرورة إلى الفرقة فإذا لم تكن ثمة ضرورة فهو أبغض الحلال إلى الله ،يقول رسول الله ﷺ « ما أحلَّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق » وفى رواية أخرى « أبغض الحلال إلى الله الطلاق» (٣) وهو ، وإن كان حقاً من حقوق الرجل ، إلا أن الإسلام مع ذلك لايجيز له أن يسىء استعماله فعليه ألا يوقعه إلا حيث يراه الشرع حسنا صالحاً مع تفصيلات كثيرة مبسوطة فى كتب الفقه الإسلامى .

---

(١) سورة النساء ٣ .

(٢) أباحت الكنيسة تعدد الزوجات فى أفريقيا فى زماننا المعاصر .

(٣) أخرجه أبو داود كما جاء فى كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول فى الفصل السابع من الجزء الثالث صفحة ١٦٦ طبع المطبعة السلفية ١٣٤٦ هـ – تأليف المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيبانى .

الإسلام يحث على الرقى والتقدم والبحث :

لما كان الله الخالق يعلم أن الإنسان مفطور على البحث عن علل ماتدركه حواسه من الأحداث والكائنات ،فزاد تلك الغريزة تنشيطاً وإنعاشاً قال تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُل دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (١) ويقول جل شأنه : (وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ) (٢) فكيف يزعم الزاعمون أنه لايحمل عناصر الرقى والتقدم ؟ إن القرآن ماانفك يقرع الجامدين على المنقولات المحصورين فى مضايق التقليد فلايكاد يخلو له مقام من دعوة إلى تدبر وتفكير يقول الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَينَا عَلَيهِ آباءَنا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ) (٣) .

الإسلام والرقي الحضارى :

لما كان الإسلام دين الفطرة لذلك نجد القرآن الكريم يسير بالعقل البشرى فى سبيل حرية الفكر،ولما كان عقل الإنسان معرضاً للإفلاس والزلل فى معالجة النواحى التشريعية والأدبية والعلمية،لذلك جاء وحى الله العليم جامعاً مافيه صلاح شأن البشر وإسعاد حياتهم ، والفطر السليمة

---

(١) سورة البقرة ١٦٤ .

(٢) سورة الذاريات ٢١ :

(٣) سورة البقرة ١٧٠ .

فى قبولها له يكون دافعها الطمأنينة إليه والاعتقاد بأنه يسلك بها سبل السلامة والرفعة والرقى .

شريعة الإسلام والرق :

عندما ظهر الإسلام كان الرق نظاماً معترفاً به بين أمم الأرض فهو من الأوضاع البشرية التى تضرب إلى رواسب الأزمان السحيقة وقت أن كان محض إرادة القوى وسلطانه هو القانون السارى بتسخير غيره من الضعفاء يستخدمه ويستمتع بقواه الجسمية بلا أجر ، فلما كان الإسلام عمل ماوسعه على تحرير الرقيق بوسائل عدة منها .

أولاً : سَوَّى الإسلام بين شعوب الأمم من غير اعتبار لاختلاف أصنافها وألوانها وأجناسها فسوى بين الأبيض والأسود والبدوى والمتحضر والرعايا والمرعيين والرجال والنساء قال الله تعالى :(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(١)

ثانياً : لم يبح الإسلام أن يسترق مسلم أصلاً .

ثالثاً : كما أنه لايبيح بعد ذلك إلا استرقاق أسرى « حرب شرعية » لم تقم إلا لإعلاء كلمة الله تعالى مراعى فيها أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين على المسلمين .

رابعاً : وقد كرم الإسلام الأسرى فشرع أن كل من أسلم من الأسرى عصم نفسه وماله .

خامساً : جعل الإسلام العتق كفارة لبعض الخطايا ، والحنث فى بعض الأيمان :

---

(١) سورة الحجرات ١٠ .

سادساً : إن مكاتبة الرقيق مستحبة بالإجماع بين فقهاء الإسلام ، بل إن الإمام أحمد يرى فى بعض مروياته أنها واجبة متى دعا الرقيق سيده إليها .

سابعاً : اتفق الأئمة على أنه لو كان فى يد إنسان غلام بالغ عاقل وادعى عليه أنه عبده فكذبه الغلام ، فالقول قول المكذب مع يمينه أنه حر ، وفى هذه الصورة نرى أن قاعدة « البينة على المدعى واليمين على من أنكر» قد خولفت مراعاة لحالة الرقيق،فجعل الشرع القول للمنكر بيمينه ، ولايخفى مايدل عليه هذا من شدة حرص المشرع الإسلامى على تحرير الرقاب ما وجد لذلك سبيلاً .

ثامنا : جعل المشرع الإسلامى من مصارف الزكاة العون على عتق الرقاب فيعطى للرقيق المكاتب مايستعين به على فك رقبته وللحاكم أن يشترى العبيد المملوكين ويعتقهم .

سابعاً : لو جاءت امرأة من الرقيق بأولاد من سيدها اعتبرها المشرع الإسلامى أم ولد لايجوز له أن يبيعها ، وبموت سيدها تصبح حرة (١)

عاشراً : لقد استوصى النبى ﷺ بالأرقاء خيراً فجعل حقوق العبد على سيده كحقوق المترافقين والمتجاورين والمسافرين فلا يجوز للسيد أن يكلف رقيقه مالا يطيق من العمل أو أن يدعوه بألقاب الازدراء والتحقير.

فأين هذا مما كانت عليه حال الأرقاء فى الأمم السابقة على الإسلام كأمة الرومان وشعب اليهود وغيرهم حيث كان الرقيق كسقط المتاع

---

(١) وكثير من الفقهاء يرى أن حمل الأمة يمهد لحريتها ، وكذلك لو أسقطت .

للسادة حق التصرف فيهم كما يشاءون حتى وصل الأمر إلى قتلهم دون أدنى مسئولية على سادتهم فضلا عن تسخيرهم ومعاملتهم أقبح من معاملة الحيوانات العجم وتحقيرهم وامتهانهم وازدرائهم (١) .

وبعـــد :

فنكتفى بما قدمنا من أمثال كشف فيها الشيخ عبد العزيز جاويش ببيانه الواضح عما فى الإسلام من سمو ورفعة ، وما فى أحكامه من علم وحكمة ، وما فى روحه من مثل عليا ومعان إنسانية رفيعة . فرحم الله ذلك الشيخ المجاهد فقد ظهر فى آفاق الحياة المصرية ثم قضى كما يظهر الشهاب فى ظلمات الليل البهيم يبرق وميضه لحظات ثم يتوارى سريعاً . لكن يكفيه فخراً أنه كان شامخاً بعقيدته صلباً بإيمانه ، شديداً فى وطنيته وكفاحه «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» (٢)

---

(١) بتصرف واختصار عن كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش ، المرجع السابق .

(٢) سورة القمر الآية ٥٥ .

الشيخ
محمد بن سعيد عياد الطنطاوي
أستاذ اللغة العربية بجامعة بطرسبورج
(١٨١٠ – ١٨٦١)

علم من أعلام الدين واللغة والأدب، نشأ وتعلم فى رحاب الأزهر الشريف فى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، حتى تخرج منه ثم مارس مهنة التدريس فيه بضع سنوات قبل أن يقوم برحلته العلمية إلى الإمبراطورية الروسية القيصرية سنة ١٨٤٠ ميلادية ويقضى فى عاصمتها مدة تقرب من ربع قرن من الزمان ، أتقن خلالها اللغة الروسية واستطاع بجده واجتهاده وعمله أن يصل فى مهنة التدريس إلى درجة الأستاذية لكرسى اللغة العربية بجامعة « بطرسبورج » .

يصفه المرحوم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن صاحب كتاب « أعلام من الشرق والغرب » بأنه كان من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر ، ومن الطلائع الذين اتجهوا فى دروس اللغة والأدب والشعر وجهة جديدة ، وقد اتسعت هذه الطريقة فيما بعد على يد الشيخ حسين المرصفى (صاحب كتاب الوسيلة الأدبية) الذى كان من علماء الأزهر ، وتولى التدريس فيه والمتوفى سنة ١٨٨٩ ميلادية .

ذلك هو الشيخ محمد بن سعيد بن سليمان عياد المرحومى الطنطاوى الذى تلقى العلم على يديه المئات من المصريين ، والمئات من الشخصيات

الأجنبية فى مصر ثم فى الدولة الروسية القيصرية ، بعضهم ليسوا من الروس فحسب ، فكثير منهم كان من أبناء الشمال الأوروبى وبعض الدول الأوروبية الأخرى .

مولده ومحتده :

ولد الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى فى قرية (تجريد) من قرى محافظة الغربية سنة ١٢٢٥ هجرية التى توافق سنة ١٨١٠ ميلادية إلا أن موطن والده هو قرية (محلة مرحوم) التى كان لها وزن كبير فى الماضى البعيد إذ كانت عاصمة إقليم الغربية قبل أن تحتل مكانتها مدينة طنطا إثر أن بنى فيها على بك الكبير (مسجد السيد أحمد البدوى) فصارت عاصمة ذلك الإقليم،وازدادت شهرتها فى تحفيظ القرآن الكريم وفى هذه البيئة القرآنية حفظ الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى القرآن الكريم ، وقد غلبت عليه النسبة إلى مدينة طنطا فصار مشهورا بها منذ أيام طلبه العلم فى الجامع الأزهر.

سفره إلى القاهرة لاستكمال طلب العلم بالأزهر وتدريسه فيه :

وفى سنة ١٢٣٨ هجرية التى توافق سنة ١٨٢٣ ميلادية توجه الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف فقد كان -وما زال- المركز العلمى والدينى والثقافى الأول فى العالم الإسلامى والعربى وإلى ماشاء الله تعالى ، وفى الأزهر اتجه الشيخ إلى دراسة علوم اللغة العربية وبعد وصوله إلى القاهرة بخمس سنوات توفى والده فكان عليه أن يدبر شئون حياته إلى جانب الاستمرار فى دراسته فسمح له بالتدريس فى

الأزهر ، وخصوصا بعد أن نال إجازة التدريس فى علم الحديث ، ولم يفته الاهتمام بعلوم اللغة وآدابها فكان يلقى دروسا أخرى فى الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب حتى اعتبر من أوائل علماء الأزهر الذين اتجهوا فى التدريس وجهة أدبية ، وكان مما قام بتدريسه لطلبته ديوان الحماسة ومقامات الحريرى ، فكان يشرح غريب الألفاظ ويبصر متلقى العلم بمواطن الحسن والقبح فيها لكنه لم يترك شرحا مخطوطا لأى من هذين الكتابين .

أساتذته وزملاؤه فى الأزهر الشريف :

تلقى الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى العلم على لفيف من علماء ذلك العصر نذكر منهم :

١ - الشيخ حسن العطار الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد ، وقد كان لديه من النزعات الأدبية ماجعل له مقاما ملحوظا فى الجامع الأزهر وفى غيره فى ذلك الزمان .

٢ - الشيخ محمد الزبيدى صاحب قاموس تاج العروس .

٣ - الشيخ إبراهيم الباجورى .

أما زملاؤه فكان منهم الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى والشيخ محمد قطة العدوى محقق كتاب العروض وبعض كتب التراث الأخرى .

قيامه بتدريس اللغة العربية للأجانب المقيمين بمصر مهد له طريق السفر للبلاد الروسية :

عندما أبدى بعض الأجانب المقيمين فى مصر فى عصر محمد على رغبتهم فى دراسة اللغة العربية اختير الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى للقيام بهذه المهمة ،وكان ذلك سنة ١٨٣٥ ميلادية فى المدرسة الإنجليزية بالقاهرة ،وأتيح له التعرف بشخصيات مختلفة ،إلى كثير من المستشرقين فعرفوه وتردد اسمه فى دوائرهم ، ومن تلاميذه مستشرقون من فرنسا وألمانيا وأبناء الإمبراطورية الروسية وقتئذ نذكر منهم :

١ - الدكتور برون الفرنسى .

أستاذ الطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب المصرية وكان يعرف اللغة العربية كتابة وقراءة وحديثا .

٢ - الدكتور (فراهن) R. Fraehn

وهو ألمانى كان والده مدرسا للشرقيات فى كلية قازان الروسية .

٣ - المستشرق (جستاف فيل) Weil

وكان مدرسا لتاريخ الشرقيات فى كلية هيدلبرج وله من الكتب تاريخ الخلفاء فى ثلاثة مجلدات ، وتاريخ العباسيين فى مصر فى مجلدين.

٤ - المستشرق الفرنسى (فلنجانس فرنيل) F, Fresnel

وله أبحاث فى آثار بابل وترجم لامية العرب للشاعر (الشنفرى) إلى اللغة الفرنسية .

٥ - نيقولا موخين ، ورودلف فرين، وقد كانا يعملان بالسلك

السياسى الروسى لدولتهما بالقاهرة ، وهذان حررا لحكومتهما توصية بالاستفادة من علم هذا الشيخ الأزهرى وذلك بطلبه لتدريس اللغة العربية فى معاهد العلم بالبلاد الروسية وشهدا له بالإجادة والتمكن فيها ، فلما احتاج معهد اللغات الشرقية فى بطرسبورج إلى مدرس للغة العربية وقع الاختيار عليه وكلفت الحكومة الروسية مندوبها القنصلى فى القاهرة (بطرس بكتى) بالاتصال بالشيخ وإقناعه بالسفر والعمل هناك .

ومما ساعد على دعوته للسفر إلى البلاد الروسية عناية تلك الدولة بدراسة اللغات السامية منذ سنة ١٨١٦ ميلادية إذ أنشىء فى عاصمة القياصرة فرع للغات الشرقية ،وكان الفضل فى ذلك راجعا إلى (أوفاروف) صاحب مشروع المجمع الآسيوى ، وأخذت العناية باللغات الشرقية تظهر شيئاً فشيئاً فى روسيا بفضل اهتمام (بوشكين) ناظر المعارف فى الحكومة القيصرية ، وكانت تدرس فيه بجانب اللغة العربية اللغات الفارسية والتركية والمغولية والصينية والأرمنية وغيرها من لغات الشرق. ورأى الأستاذ (جريجرياف) أن يقوى هذا القسم بإنشاء شعبة لتدريس تاريخ الشرق حتى تكون دراسة اللغات الشرقية متمشية جنبا إلى جنب مع دراسة تاريخ أقطارها،فقرر الاستعانة بالأساتذة المشارقة أنفسهم فذلك أجدى وسيلة لتعليم اللغات الشرقية للراغبين فيها من الطلاب الروس وغيرهم من الأوروبيين ، وفى مقدمة هذه اللغات اللغة العربية ، فكانت ضمن مناهج الجامعات ، وكانت (جامعة خاركوف) أول جامعة تأخذ بتطبيق هذا المبدأ : تدريس اللغة العربية ثم تلتها (جامعة قازان) فقامت بتدريسها

بالفعل عندما استدعى الإمبراطور إسكندر الأول المستشرق (دى ساس) فاقترح عليه إنشاء كرسى للغة العربية بجامعة (بطرسبورج) فشغله (ديمانج) ثم خلفه (سبينكوفسكى) الذى تسلم منه الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى هذا العمل إثر نقله من معهد اللغات الشرقية سنة ١٨٤٧ واستمر فيه طيلة حياته العلمية هناك.

سفره لاستلام العمل :

بعد موافقة الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى على عرض الحكومة الروسية للعمل هناك دعاه والى مصر محمد على باشا لمقابلته ،وفى هذه المقابلة حثه على دراسة اللغة الروسية وإتقانها ووعده بعطفه والعناية به إذا أجاد فى رحلته ، وفى يوم السبت ٢٠ من المحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق ١٦ مارس سنة ١٨٤٠ م سافر الشيخ من القاهرة إلى الإسكندرية حيث استقبله القنصل الروسى ، ثم ركب إحدى البواخر البحرية لتصل به إلى (مدينة إسطنبول) عاصمة الخلافة العثمانية ، وهناك استقبله السفير الروسى ورحب به ، وزيادة فى العناية به كلف أحد موظفى السلك السياسى بالسفارة واسمه : نيقولا موخين (تلميذ الشيخ سابقا بالقاهرة) بمرافقته فى رحلته إلى البلاد الروسية ، فاستقلا إحدى البواخر الروسية التى رست بمدينة أودسا على البحر الأسود ، ومن هذه المدينة استقلا عربات البريد التي تجرها الخيول فاخترقت بهما البلاد من الجنوب إلى الشمال حتى وصلا مدينة (كييف) ثم قرية (موهلوف) موطن تلميذه ورفيقه نيقولاموخين . فاستقرا بها بضعة أيام استأنفا بعدها رحلتهما إلى مدينة (بطرسبورج) عاصمة البلاد وقتئذ - وتسمى حديثا (ليننجراد) فوصلاها

فى التاسع والعشرين من شهر يونية سنة ١٨٤٠ ميلادية بعد سفر دام ثلاثة أشهر ونصف شهر ، قضى الشيخ منها شهرين فى الحجر الصحى وبضعة أيام فى قرية موهلوف ولم تضع هذه الأيام سدى بل استنفدها الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى فى تعلم اللغة الروسية .

أعماله فى هذه البلاد :

بعد وصول الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى إلى بطرسبورج أسندت إليه حكومة القيصر الروسى بعض الأعمال العلمية فى وزارة الخارجية الروسية بالإضافة إلى عمله فى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية.

وبعد سبع سنوات من تاريخ حضوره - وبالتحديد فى ٨ أكتوبر سنة ١٨٤٧ - عين أستاذا فى جامعة بطرسبورج للغة العربية بالإضافة إلى عمله فى وزارة الخارجية الروسية .

طريقته فى التدريس بمدينة بطرسبورج :

فى تدريسه للغة العربية كان يجمع بين الطريقة النظرية والطريقة العملية ،فكان يدرس لطلابه قواعد اللغة العربية ، ويشرح أمثال لقمان ويقرأ قطعا تاريخية من مقامات الحريرى،ونظراً لإلمامه وإتقانه للغة الروسية كان يدرس « الترجمة » من الروسية إلى العربية،وكذا الخطوط العربية وقراءة المخطوطات والمحادثة باللغة العربية وابتداء من سنة ١٨٥٥ رأى أن يدرس (تاريخ العرب) ٥

الآثار التى أحدثتها طريقته فى تدريس اللغة العربية :

شاعت طريقة الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى فى الأوساط العلمية فى روسيا كلها وتجاوزتها إلى الأوساط الأدبية حتى إننا لنجد اهتماما ملحوظا بالثقافة العربية من أدبائها الكبار .

١ — فالكاتب الأديب (تولستوي) أعاد النظر فى دراسة هذه الثقافة ودراسة الإسلام ثم ألف كتابا عن النبى محمد ﷺ قال فيه (لاريب أن هذا النبى من كبار الرجال المصلحين(١) الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ،ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم وهذا عمل عظيم لايفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال) .

٢ — ويقترح أديب روسيا فى ذلك الوقت (مكسيم جوركى) على مستشرقى جامعة بطرسبورج زيادة الاهتمام بالثقافة العربية .

٣ — ولم يقتصر الاهتمام بالثقافة العربية فى الدولة الروسية على الأوساط العلمية والأدبية وإنما تجاوزها إلى الأوساط الشعبية حيث أنشىء العديد من المكتبات الشرقية التى تحتل الكتابات العربية جانبا منها .

---

(١) نؤمن — نحن المسلمين — بأن من يقتنع بالإسلام اقتناعا صادقا يندفع إلى الإيمان به ، فكان حديثه عن المصطفى حديث المعترف بمنزلته الحقة ، فلا يعتبره مصلحا أدى خدمة اجتماعية ، بل يعتبره الرسول الخاتم المرسل للعالمين كافة . لذلك ينبغى أن يؤخذ بحذر شديد ما يلهج به بعض الكتاب الغربيين وغير المسلمين — عنه صلى الله عليه وسلم .

حتى أنه كان فى مكتبة بطرسبورج نسخة من القرآن الكريم بخط كوفى محفوظة فى صندوق زجاجى قيل إنها نسخة تخص الخليفة عثمان ابن عفان رضى الله عنه وعليها قطرة من دمه .

٤ — ولقد تتلمذ على الشيخ الطنطاوى واستفاد من طريقة تدريسه عشرات من المستشرقين الروس إما مباشرة أو على خلفائه وتلاميذه ومنهم المستشرق (كراتشكوفسكى) الذى ألف كتابا عن حياة الشيخ باللغة الروسية تقديرا وإعجابا به .

ومنهم المستشرق الفنلندى الأصل (Wallin فالن) الذى زار مصر وسوريا وجاب الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر .

مؤلفاته :

بلغت مؤلفات الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى واحدا وأربعين معظمها مخطوط لم ينشر حتى الآن ، لعل أهمها كتابه فى وصف البلاد الروسية وعنوانه (تحفة الأذكيا بأخبار روسيا) ومنها فى علم النحو (حاشية على شرح الشيخ خالد على متن الأزهرية) و(حاشية على متن الزنجانى فى الصرف) و(حاشية على كتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى) ولها نسخة خطية فى مكتبة الإسكندرية وقد قامت مكتبة جامعة بطرسبورج بشراء مجموعة هذه المؤلفات المخطوطة سنة ١٨٧١ ميلادية بناء على طلب الأستاذ (كسوفتش) عميد المدرسة الداخلية التى كان يقيم ويتعلم فيها أحمد نجل الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى بعد وفاة والده حتى يستمر صرف معاش أبيه إليه .

ولقد دارت بين الشيخ الطنطاوى وتلميذه الفنلندى (فالن) رسائل جمعها ذلك المستشرق وطبعها مترجمة إلى اللغة السويدية ، ومجموعة أخرى من رسائل الشيخ محفوظة فى (مكتبة جامعة هلسنكى) كما ترك الشيخ رسالة إلى زميله فى الجامع الأزهر،وصديقه رفاعة رافع الطهطاوى يذكر له فيها كيفية معايشة الأوروبيين وانبساطهم وحسن إدارتهم وترتيبهم وخصوصا ريفهم والبيوت المحدقة بها الأنهار والبساتين .

مرضـــه ووفاتـــه :

فى سبتمبر سنة ١٨٥٥ ميلادية ألم الشلل بقدمى الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى مما اضطره إلى طلب أجازة مرضية من إدارة الجامعة ، وفى أبريل سنة ١٨٥٦ م طلب من الأطباء أن يمدوا له أجازته المرضية ثمانية وعشرين يوما ليسافر إلى (بوهيميا) للعلاج بمياهها المعدنية الساخنة. ولكن العلة استفحلت فأقعدته تماما عن العمل،ومع ذلك فإن إدارة الجامعة هناك زيادة فى تقديرها له رفضت أى بديل لهذا الشيخ الأزهرى حتى وفاته سنة ١٨٦١م لأنه كان معظما غاية التعظيم محترما إلى النهاية من جانبها ، وقد رتبت له معاشا عظيما كما شهد بذلك الشيخ يوسف كوتوال مدير « كتبخانة» دار المعارف بقازان والتى سجلها المرحوم محمد أمين فكرى بك فى أوراقه .

بعض مظاهر تقدير الدولة الروسية للشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى :

كان لجهود الشيخ المثمرة فى تدريس اللغة العربية وآدابها التقدير والثناء عليه من أقطاب الدولة الروسية القيصرية وغيرهم من الملوك

والكتاب أظهروه فى مناسبات متعددة : -

١ - ففى الخامس عشر من أغسطس سنة ١٨٥٠ م استحق الشيخ الشكر القيصرى على جهوده فى التدريس لطلاب جامعة بطرسبورج .

٢ - وبعد عامين حاز ميدالية من أحد ملوك أوروبا مكافأة له .

٣ - ثم أهداه ولى عهد القيصر الروسى خاتما مرصعا بالجواهر شكرا له على جهوده العلمية .

٤ - وقد كتب عنه الكتاب الروس الكثير خصوصا عن ذكائه وطيبة قلبه، وأنه إنسان مرح وعطوف،وأن ذكاءه واستقامته يستدعيان الاحترام الشديد وأكدوا فيما كتبوه أنه ليس للطنطاوى مثيل آخر فى هذا العالم(١) .

المراجــع :

- أعلام من الشرق والغرب للأستاذ محمد عبد الغنى حسن - الناشر دار الفكر العربى .

- مجلة العربى الكويتية شوال ١٤٠٨ هـ مقال للأستاذيوسف القعيد.

- إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا للأستاذ محمد أمين فكرى طبعة المقتطف مصر ١٨٩٣

- مقال الاستشراق الروسى بين الشيخ الطنطاوى وكراتشكوفسكى جريدة الأهرام ٢٩ - ١ - ١٩٨٨ للأستاذ سامح كريم .

---

(١) نشر بمجلة الأزهر فى الجزء الثانى من السنة الحادية والستين صفر ١٤٠٩ هـ - اكتوبر سنة ١٩٨٨ م .

الدكتور عبد الوهاب عزام
رجل العلم والأدب والأخلاق والسياسة

عالم باحث على جانب عظيم من الدقة والعمق والهدوء والطمأنينة مرهف الحس رقيق الذوق جميل المحيا يتسع أفقه وتتنوع ثقافته ، يقرأ بالإنجليزية والفرنسية والتركية والفارسية والأوردية وهو فى هذه اللغات يقرأ لخير كتابها ومفكريها ومتصوفيها وفلاسفتها .

ذلك هو الدكتور عبد الوهاب عزام العميد الأسبق لكلية الآداب بجامعة القاهرة،وأستاذ اللغويات بتلك الكلية وأول من عمل فى مصر على إنشاء الدراسات الشرقية وأول من علّم الفارسية والتركية وآدابهما وهو أستاذ جميع من كانوا يعنون بهذه الدراسات فى مصر جنبا إلى جنب مع دراسات اللغة العربية وآدابها .

يصفه تلميذه وصديقه المرحوم الدكتور زكى مبارك فيقول(شعرت وأنا أسمع محاضراته عن أخلاق القرآن أن القرآن نزل أمس . فهو يحدثنا بما نرى وما نسمع من معضلات الوجود ، ومع أنه أضاء روحى بهذا المعنى فما أحسست أنه تكلف أو تعسف فهو يلقى كلاما فطريا سمحا لازخرف فيه ولا تنميق كما ينقل إلى سامعيه آيات القرآن فى لطف ورفق حتى لتكاد تحسب أنه وجدها مسطورة فى صفحة واحدة

من صفحات المصحف الشريف (١) .

ويقول عنه تلميذه الدكتور يحيى الخشاب (لم يكن الدكتور عبد الوهاب عزام فى حديثه الهادىء الرصين يشعرك بأنه صاحب الأعمال العلمية والأدبية العظيمة ،العالم باللغات الشرقية والغربية الحاصل على النيشان العلمى من حكومة إيران ووسام الأرز الوطنى من درجة قومندور من الحكومة اللبنانية لما فيه من التواضع وإجلال العلم ، وقد رسم لنفسه خطَّة منذ كان طالبا يسير فى اتجاه واحد لتحقيق مايقدر عليه من هذه الخطة : إنها خدمة الإسلام والعربية ، وقلَّ أن تقرأ له بحثا أو كتابا لايكون مدار الحديث فيه عن الإسلام والعربية (٢) .

كيف كانت نشأته :

ولد المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام فى الثامن والعشرين من شهر محرم عام ١٣١٢ هجرية الموافق أول أغسطس عام ١٨٩٤ ميلادية ببلدة الشوبك الغربى مركز البدرشين من أعمال محافظة الجيزة . وكان والده المرحوم محمد عزام بك عضوا بالجمعية التشريعية وزميلا للزعيم الراحل سعد باشا زغلول وقد نشَّأ ابنه الصغير عبد الوهاب نشأة دينية فحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة وهيأه للانتظام ضمن طلاب الأزهر الشريف ثم انتقل منه إلى مدرسة القضاء الشرعى فحصل على العالمية

---

(١) كلمة الدكتور زكى مبارك عن أستاذه الدكتور عبد الوهاب عزام مرفقة بكتاب أمم حائرة بقلم الدكتورعبد الوهاب عزام .

(٢) عبد الوهاب عزام بقلم تلميذه الدكتور يحي الخشاب (رسالة صغيرة) .

وكان أول زملائه المتخرجين منها عام ١٩٢٠ ميلادية :

ثم التحق بالجامعة المصرية عام ١٩٢٣ م حيث حصل منها على شهادة الليسانس كما نال درجة الماجستير من مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن عام ١٩٢٨ م وأخيرا حاز درجة الدكتوراه بدرجة متفوق من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٢ م (١) .

شجاعته :

يحكى المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة وقد كان زميلا للدكتور عبد الوهاب عزام فى الدراسة أنه لما قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩ م خرجت الجموع من الجامع الأزهر الشريف ثائرة وتعالت هتافاتهم بحياة مصر واستقلالها فتلقاهم الإنجليز برصاصات غادرة وإذا بعبد الوهاب عزام ذلك الشاب الهادىء الصامت (وقد كان فارع الطول) يتقدم الصفوف ويختطف العلم المصرى ويرفعه عاليا أمام جنود الاحتلال غير هياب ولا وجل فعجبنا لشجاعته وجرأته ولاعجب فقد كان كالبحر العميق (٢)

وظائفه التى مارسها :

تقلد المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، عديدا من الوظائف العلمية والسياسية :

---

(١) جوانب شخصية مطوية من حياة الدكتور عبد الوهاب عزام بقلم المستشار مجد الدين عزام مرفقة بكتاب أمم حائرة .

(٢) من كلمة للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة يرثيه بعد وفاته فى حفل تأبينه بجمعية الشبان المسلمين .

١ - فقد عين معيدا بمدرسة القضاء الشرعى عام ١٩٢٠ م على إثر تخرجه منها .

٢ - ثم إماما بالسفارة المصرية بلندن عام ١٩٢٣ م.

٣ - فمدرسا بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٢٧ م .

٤ - ثم أستاذا مساعدا بالكلية عام ١٩٣٤ م .

٥ - فأستاذا بالكلية عام ١٩٣٩ م .

٦ - فعميداً لها عام ١٩٤٥ م.

٧ - وخلال الفترة السابقة انتدب مرتين للتدريس بجامعة بغداد.

٨ - ثم عين عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٦ م.

٩ - كما عين عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق وبغداد .

١٠ - ثم عين وزيرا مفوضا ثم سفيرا بوزارة الخارجية حيث مثل مصر فى بلاد اليمن والمملكة العربية السعودية .

١١ - وأخيرا عين سفيرا لمصر فى دولة باكستان عام ١٩٤٧ م إثر قيام تلك الدولة وانفصالها عن شبه القارة الهندية .

تمسك جامعة القاهرة به عندما طلبته وزارة الخارجية المصرية للعمل بها :

لما عرض أمر نقل الدكتور عبد الوهاب عزام إلى وزارة الخارجية تمسكت به جامعة القاهرة وقرر مجلسها الذى انعقد فى ٣ من نوفمبر عام ١٩٤٧ أن الجامعة لايمكنها أن تستغنى عنه نهائيا وإنما يوافق المجلس على ندب سيادته مؤقتا لمدة ثلاثة أشهر يعود بعدها للجامعة .

المؤتمرات العلمية التي حضرها ورحلاته العلمية :

حضر المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام العديد من المؤتمرات العلمية وهى : -

١ - العيد الألفى للفردوسى الذى عقد بمدينة طهران عام ١٩٣٤ م.

٢ - الاحتفال بذكرى الشاعر المتنبى الذي عقد بمدينة دمشق عام ١٩٣٦ م.

٣ - مؤتمر المستشرقين ببروكسل عام ١٩٣٨ م.

٤ - مؤتمر أبى العلاء المعرى بدمشق عام ١٩٤٤ م

٥ - الندوة العالمية للإسلاميات بمدينة لاهور عام ١٩٥٧ م.

٦ - كما ارتحل كثيرا إلى البلاد العربية ثم سافر مرات إلى تركيا وإيران وباكستان والهند وكذا إلى الكثير من البلاد الأوروبية (١).

غيرته على اللغة العربية :

فلقد حدث أن دعا المرحوم المستشار عبد العزير فهمى باشا رئيس محكمة النقض الأسبق فى أواخر حياته إلى استعمال الحروف اللاتينية بدلا من اللغة العربية ،فخشى الدكتور عبد الوهاب عزام أن تلقى تلك الدعوة قبولا لدى العرب بسبب منطق عبد العزيز باشا فهمى وقوة بيانه وقدرته على الدفاع عن رأيه فإذا نجح فى ذلك انفصلت الأجيال القادمة

---

(١) الدكتور عبد الوهاب عزام بقلم تلميذه الدكتور يحيى الخشاب المرجع السابق.

عن تراثها الإسلامى كما حدث فى تركيا بعد أن ألغى مصطفى كمال أتاتورك الحروف العربية واستبدل بها الحرف اللاتينى فعانت الأجيال الجديدة فى تركيا من الجهل بأصول ثقافتها ومجد ماضيها وعجزها عن إيقاظ الروح الإسلامى فى بلاد كانت يوماً حافظة للدين وللتراث الإسلامى جميعا. وقد قرأ أنات الترك المفكرين مما فرضته السياسة المضالة التى حكمت على أمة أن تنسى ماضيها وأن تجهل تراثها وهو يقرأ أيضا عن محاولات بذلت فى إيران لنبذ الحروف العربية لكنها باءت بالفشل لأن الأمة الإيرانية ذادت عن لغتها وعن نصيبها العظيم فى التراث الإسلامى:

فكان الدكتور عبد الوهاب عزام خطيبا فى قاعات المحاضرات وكاتبا فى مجلة الثقافة يفند الحجج التى قدمها عبد العزيز فهمى باشا ويذكر تاريخ القضية والنتائج التى ترتبت على هذه التجربة الخاطئة فى تركيا مستشهداً بأقوال الترك أنفسهم،فكان لجهده كل توفيق فنامت فكرة الحرف اللاتينى وتنبه الناس إلى ثقافتهم وتراثهم الخالد واستمسكوا بلغتهم العربية لغة القرآن الكريم والحضارة الإسلامية فى ثوبها الذى عرفت به بين العالمين قشيبا مبرأً من كل سوء (١).

تعريفه أمة العرب بشاعر الإسلام التركى محمد عاكف :

لقد كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام حريصا على أن يشعر محمد عاكف بوصفه شاعر الاسلام بمكانته عند العرب وصادق دعوته

---

(١) الدكتور عبد الوهاب عزام بقلم تلميذه الدكتور يحيى الخشاب المرجع السابق .

إلى تقوية روح المسلمين وتذكرهم بماضيهم المجيد ممثلا فى حياة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وحياة صحبه الأماجد الذين حكموا العالم الاسلامى حكما يعد المثل الأعلى فى حياة السياسة الناجحة الهادفة العاملة ومن ثم أتاح لمحمد عاكف منبر جامعة القاهرة وجاء به من تركيا يقدمه إلى طلبته ويذكر لهم رسالته التى هى أصلح ماتكون لبث الوعى الاسلامى ولبث العزة فى نفوس المسلمين ، ثم تكلم عن شعر محمد عاكف وتأثره الشديد بالثقافة العربية الخالصة سواء من ناحية الفكر أو من ناحية الألفاظ أو من ناحية الهدف الذي يقصد إليه الشاعر .

ولم يكتف بما أتاح له من محاضرات لطلاب الجامعة بل عكف هو على أشعاره يقلبها ويختار الدر منها وينشره على الناس كافة فى مجلة الرسالة الأدبية التى كان يصدرها المرحوم أحمد حسن الزيات ليكون النفع بما اشتملت عليه من آراء أعم وأكثر شمولا (١) .

العمل الدبلوماسى كان طريقه إلى الدراسة وتحقيق الأماكن التاريخية :

عندما عمل الدكتور عبد الوهاب عزام سفيرا لمصر فى بلاد الحجاز واليمن قام بدراسة الجزيرة العربية دراسة الجوّاب يجوب أرجاءها فحقق مكان سوق عكاظ وغيره من تلك المواضع التى قرأ عنها وكان لها فى ماضى العرب أطيب الذكريات .

ثم عكف على تاريخ العرب قبل الإسلام وطرق البلاد التى جاء

---

(١) الدكتور عبدالوهاب عزام بقلم تلميذه الدكتور يحي الخشاب المرجع السابق.

ذكرها فى الكتب باليمن السعيد وحقق بنفسه مكان سد مأرب وكيف أدى تصدعه إلى هجرة عرب الجنوب إلى الشمال وكان من نتيجة هذا كله أبحاث دقيقة واعية تعيد إلى الذاكرة علماء العرب القدامى الذين كانوا يكملون ثقافتهم بالرحلات العلمية ويرون فيها منهلا للدرس لاغنى عنه (١) .

تعريفه العرب والمسلمين بأعمال محمد إقبال :

لما نقل الدكتور بد الوهاب عزام ليعمل سفيرا لمصر فى دولة باكستان قام بزيارة قبر صديقه شاعر الاسلام محمدإقبال كماتعرف على ابن ذلك الشاعر ومريديه ثم انكب على آثار إقبال العلمية درسا وبحثاً وترجمة عن الفارسية إلى العربية لبعض كتبه التى سنتناول ذكرها فيما بعد .

ولم يكتف بذلك بل ألف كتابا عنه بالعربية ضمنه آراءه وشرح فلسفته فى الذاتية إذ كان عزام معتزا بهذه الذاتية لأنها تدفع المرء إلى أن يعتز بنفسه وإلى أن يطرح التواكل وإلى أن يعمل ويعمل لأن بناء المجتمع السليم هو نتيجة جهد كل فرد فيه وإذا أصيب مجتمع بتخاذل أفراده فان الانحلال سرعان مايعمل فيه هدما وتدميرا .

ولقد كانت دار عزام خلال مدة سفارته فى باكستان ندوة لرجال السياسة والعلم والأدب ومجمعا للفقهاء وعلماء المسلمين (٢) .

---

(١) الدكتور عبد الوهاب عزام بقلم تلميذه الدكتور يحيى الخشاب المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

نظرته إلى شاعر التصوف الفارسى حافظ الشيرازى :

رغم أن المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام كان معجباً بذلك الشاعر إلا أنه كان خصماً عنيداً لفلسفته الصوفية التى كانت تدعو الناس إلى الانقطاع عن الدنيا والشرود فى ملكوت الله ، فخشى عزام على المسلمين من تسلل تلك الأفكار الغريبة إليهم .

وأمّا ما كان يدعو هو إليه فهو الزهد فى زيف المظاهر فقط لأنها قشور لكن لابد من العمل على نهج صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، هذا النهج العازف عن زخرف الدنيا والقائم فى الوقت نفسه على تعمير هذه الدنيا وبث غاية العمران فيها (١) .

الدكتور عبد الوهاب عزام شاعراً :

كانت شاعريته نابعة من صفاء روحه ورقة مشاعره وعمق نظرته فى الحياة والتزامه ضوابط الخلق والدين عن طواعية واختيار ، إنها تسابيح عابد وسبحات صوفى ونظرات مجرب حكيم .

أما أسلوبه فى التعبير عن مشاعره وقاموسه اللغوى الذى تضىء ألفاظه بخواطره وقوالبه الفنية التى أفرغ فيها مقطوعاته وقصائده فهى عربية أصيلة النسج والبناء يتعانق فيها اللفظ المنتقى والوزن العروضى المحكم والمعنى المشرق المبين ، وهى مقدرة تجمع إلى موهبة الشاعر ثروته الأدبية

---

(١) الدكتور عبد الوهاب عزام بقلم تلميذه الدكتور يحيى الخشاب المرجع السابق .

وعمق اتصاله بالروافد الأصيلة فى الأدب العربى وما اكتسبه فى دراسته للآداب الشرقية وتأثره عن حب ووحدة مشاعر بكبار الشعراء والصوفية وخاصة محمد إقبال وجلال الدين الرومى وفريد الدين العطار .

لكن الملاحظ على عزام أنه صدف فى شعره عن المديح ترفعا عن مظنة الزلفى ، كما صدف عن الهجاء إذ لم يكن يستفزه لؤم الطباع أو تستخفه فورة الشاعرية لتخرجه عما ألزم نفسه فى حياته من ترفع وسماحة وإغضاء .

أما الأغراض التى أبدع فيها شعره فهى التى تصور حياته العقلية والوجدانية وأهمها الجانب المشرق بنور الإيمان والوعى المضئ بخصائص الإسلام والجانب القومى فى إيمانه بالعروبة والتغنى بأمجادها واستشراف مستقبل يجدد رسالة الماضى المجيد (١) »

مثال من شعره وقد أكد فيه أن الإسلام لا يعرف الرهبانية أو الانصراف عن الحياة ولكنه دين عمل وقوة وحياة فيقول : -

ليس منا من ثوى فى صومعه   يحبس الأعمال والفكر معه ..
ضاق نفسا عن مجال وسعا ..   فثوى فى ضيقه قد خنعا ..
ليس شيئاً أن ترى معتزلا ..   عابداً يخشى البرايا وجلا ..
إنما العابد من خاض الحياه   موضحا فيها سبيلا للنجاة ..

---

(١) عبد الوهاب عزام شاعرا مقال بقلم الأستاذ محمد كامل حتى نشر بمجلة الهلال مايو سنة ١٩٨٣ .

ومن قصيدة له فى مناجاة الذات الالهية قوله : —

فالق الاصباح ورب المشرقين.. باسط الليل ورب المغربين
أنت فى الصبح ضياء وجمال.. أنت فى الليل ضياء وجلال..
ياجليا فى دجى أستاره .. .. ياخفيا فى ضحى أنواره ..
منك هذا العقل هذا الثائر طالب إياك ساع حائر ...
جاوز الأفلاك يسعى نحوكا يكشف الأستار يبغى وجهكا
منك هذا القلب هذا الخافق فى الدياجى منك نور خافق
اجعلن وجهك قصدى لاسواه هونن فى عين قلبى ماعداه(١)

أعمال الدكتور عبد الوهاب عزام العلمية :

قام رحمه الله بتأليف الكتب الآتية :

١ — مدخل الشاهنامة العربية للبندارى .
٢ — التصوف وفريد الدين العطار .
٣ — مهد العرب .
٤ — الشوارد أو خطرات عام .
٥ — الأوابد .
٦ — اللمعات (ضمها إلى ترجمة بيام مشرق)
٧ — محمد إقبال — مطبوعات باكستان .
٨ — الأدب الفارسى بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب .
٩ — التصوف فى الشعر الإسلامى (صحيفة الجامعة المصرية) .

---

(١) عبد الوهاب عزام شاعراً مقال بقلم الأستاذ محمد كامل حتى المرجع السابق .

١٠ ــ أوزان الشعر الفارسى (مقال بمجلة كلية الآداب)

١١ ــ ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ،بغداد سنة ١٩٣٦ والقاهرة سنة ١٩٥٦ .

١٢ ــ موقع عكاظ .

١٣ ــ نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية .

١٤ ــ النفحات .

١٥ ــ رحلات عبد الوهاب عزام .

١٦ ــ المعتمد بن عباد .

١٧ ــ أمم حائرة .

١٨ ــ كتابه عن حياة المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحميد العبادى لم يطبع بعد .

كما قام بالترجمة للكتب الآتية :

١ ــ فصول من المثنوى عن الفارسية .

٢ ــ بيام مشرق لإقبال عن الفارسية

٣ ــ جهار مقالة عروضى (عن الفارسية بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب) .

٤ ــ ضرب الكليم لمحمد إقبال .

٥ ــ اتحاد المسلمين لجلال نورى عن التركية بالاشتراك مع حمزة طاهر .

٦ ــ ديوان الأسرار والرموز لمحمد إقبال .

٧ ـ مقتطفات كثيرة من الشعر الفارسى والشعر التركى نشرت فى مجلة الرسالة الأدبية وغيرها من المجلات .

أما ما حققه فهو الآتى :

١ ـ الشاهنامة التى نقلها إلى العربية البندارى .

٢ ـ ديوان المتنبى .

٣ ـ مجالس السلطان الغورى .

٤ ـ رسائل الصاحب بن عباد (بالاشتراك مع الدكتور شوقى ضيف)

٥ ـ الورقة لمحمد بن الجراح (بالاشتراك مع عبدالستار فراج)(١)

أعماله المجمعية :

اشترك الدكتور عبد الوهاب عزام فى لجان كثيرة بمجمع اللغة العربية نذكر منها :

١ ـ لجنة الأدب .

٢ ـ لجنة المعجم اللغوى التاريخى .

٣ ـ لجنة الألفاظ والأساليب وألفاظ الحضارة.

٤ ـ لجنة تحكيم لاختيار النشيد القومى الليبى .

٥ ـ لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم .

وقدم بحوثاً فى الموضوعات الآتية :

١ ـ صلات اللغة العربية واللغات الإسلامية (الفارسية والتركية والأردية) .

---

(١) الدكتور عبد الوهاب عزام بقلم تلميذه الدكتور يحيى الخشاب المرجع السابق .

٢ - أسماء العشب والشجر فى بوادى العرب .

٣ - الألفاظ الفارسية والتركية فى اللغة العامية المصرية .

٤ - الألفاظ العربية فى اللغات الإسلامية غير العربية .

٥ - أحكام القوافى فى الإنشاد .

٦ - تأثير علوم اللغة العربية فى البلاد الإسلامية غير العربية .

٧ - الفارسية فى كتاب سيبويه .

٨ - الشعر العامى فى نجد(١) .

نشاطه الاجتماعى ثم وفاته :

مما يذكر للمرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام بالفخر أنه أنشأ فى مصر جماعة الأخوة الإسلامية واتخذ مقرا لها قبة الغورى بشارع الأزهر ضمت العديد من المسلمين من مختلف أقطار العالم الإسلامى ليتدارسوا أحوالهم وليعملوا للحفاظ على رسالة ربهم إيمانا منه بأن الإسلام ليس دينا فحسب بل هو كما كان جنسية لكل من ينتمى إليه . وأخيرا آن لصاحب هذه العزمات الشداد والهمم البعيدة والجهاد الدءوب فى خدمة العلم والعروبة والإسلام والمسلمين أن يستريح جسده فلبى رحمه الله نداء ربه فى اليوم الثامن عشر من شهر يناير عام ١٩٥٩ م(٢) ... وعجيب أن تمر السنون هكذا دون أن تحتفل الهيئات العلمية أو وسائل الإعلام بذكراه أو الإشادة به وهذا مما يؤسف له عندنا فى مصر .

---

(١) نشرة المجمع اللغوى - المجمعيون ٥٤ عن الدكتور عبد الوهاب عزام . الدكتور مهدى علام .

(٢) جوانب شخصية مطوية من حياة الدكتور عبد الوهاب عزام مرفقة بكتاب أمم حائرة . المرجع السابق .

الشيخ محمد الصادق عرجون

١٩٠٣ م – ١٩٨٠ م

علم إسلامى أصيل ومؤرخ فاحص ناقد يعتمد فى دراساته التاريخة على ماثبت صحته لديه مستنداً،ويدخل فى وصيد القبول متناولا أصلا ، ولم يعارضه من منخول العقل والعلم مايعلو عليه .

ذلك هو الشيخ محمد الصادق عرجون الذى اشتهر بسعة العلم واعتزاز بالنفس وأصالة البحث ودقة المنهج مع الإتقان واستيفاء جوانب الجودة فى العمل .

تاريخ مولده وأصل محتده والتحاقه بالأزهر :

ولد المرحوم الشيخ محمد الصادق عرجون فى عام ١٩٠٣ ميلادية حيث كانت عائلته تقطن مدينة إدفو من أعمال محافظة أسوان ، وبعد حفظه للقرآن الكريم انتظم فى الأزهر الشريف ضمن طلابه على نظامه القديم قبل قيام نظام الكليات بة واستمر فيه حتى نال شهادة الغالمية النظامية عام ١٩٢٩ م .

ثم التحق بقسم التخصص حتى نال شهادته فى عام ١٩٣٥ ولقد تتلمذ على كبار شيوخ الأزهر فى زمانه وتأثر بهم وكان من أبرزهم مباشرة اثنان أحدهما هو الشيخ محمد الخضر حسين الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد والثانى الشيخ إبراهيم الجبالى .

الوظائف التي قام بها فى خدمة الأزهر :

مارس رحمه الله إثر تخرجه من الأزهر الشريف عدداً من وظائفه نذكر منها أنه :

(١) اشتغل بالتدريس فى معاهد الأزهر المختلفة .

(٢) ثم عمل وكيلا للتعليم الابتدائى الأزهرى .

(٣) ثم مديراً للتعليم الإبتدائى الأزهرى .

وقد تميز نشاطه فى تلك الفترة بالعمل على نشر مدارس تحفيظ القرآن الكريم فى مصر وفى العالم الإسلامى ، كما ساهم فى تطوير التعليم الدينى باليمن وجعله يتمشى على نمط التعليم الأزهرى فى مصر .

٤ ـ ثم عين شيخاً لمعهد دسوق الدينى .

٥ ـ ثم نقل منه شيخا لمعهد أسيوط .

٦ ـ ثم شيخاً لعلماء الإسكندرية وعميدا لمعهدها لمدة عشر سنوات ،وفى هذه الفترة برز نشاط ذلك المعهد فى عقد الندوات الدينية وإلقاء المحاضرات الثقافية مما جعل لمعهد الإسكندرية دوراً رياديا فى نشر الفكر الدينى بالاشتراك مع الهيئات المهتمة بالنشاط الإسلامى فى ذلك الثغر الهام مثل جمعية الشبان المسلمين وكلية الآداب بجامعة الإسكندرية .

انتقاله للعمل فى جامعة الأزهر :

لما قام صرح جامعة الأزهر رأت إدارتها ضرورة الاستفادة بجهده وعلمه فكلفته بالتدريس فى كلية اللغة العربية ثم بالتدريس فى كلية أصول الدين .

ولما تم اختياره عميداً لكلية أصول الدين اهتم بدفع النشاط العلمى وأبحاث الدراسات العليا بتلك الكلية .

المناصب التى شغلها فى الدول الإسلامية :

شغل الشيخ محمد الصادق عرجون مناصب عديدة فى بعض الدول الإسلامية ساهم فيها فى دفع دعوة الإسلام إلى الإمام فى تلك البلاد .

(١) فقد تولى منصب مدير معهد الدراسات العليا للدعوة الإسلامية بجامعة أم درمان الإسلامية .

(٢) ثم عمل أستاذاً بالجامعات الإسلامية فى الكويت وفى المدينة المنورة .

(٣) وقبل الدعوة للعمل أستاذاً زائراً بجامعة بنى غازى فى ليبيا وهناك فى كليات تلك الجامعة ألقى عدة محاضرات فى الفقه الإسلامى وسعة أفقه ومرونة أصوله وفى الاجتهاد وفى التقليد .

(٤) وكان آخر منصب تولاه هو العمل أستاذاً للدراسات العليا لعلم الحديث بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة — وتدعى حالياً جامعة أم القرى .

اهتماماته بقضايا العالم الإسلامى والعالم العربى ونشاطه فى ذلك : —

(١) كان شديد الاهتمام بقضايا العالم الإسلامى والعالم العربى وزار عدداً كبيراً من دوله كما شارك فى عدد من الوفود المهتمة بقضاياه وحملته زياراته إلى أندونيسيا إلى أن يطوف بأنحائها متعرفاً ودارساً ومحاضراً وباحثاً كما اجتمع بكثير من علمائها وشيوخها .

(٢) واشترك – عندما كان شيخاً لمعهد الإسكندرية – فى مهرجان الغزالى الذى أقيم فى دمشق ببحث عنوانه (مفتاح شخصية الغزالى : هل شك حجة الإسلام) وقد طبع هذا البحث مستقلا وضمن مجموعة بحوث المهرجان .

(٣) كما ساهم بمقالاته وبحوثه المتنوعة فى مجلة الأزهر ثم فى جريدة الأهرام .

مشاركته فى الحياة الأدبية :

(١) كانت له مساجلات أدبية بينه وبين الأستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله وقد سجلها فى كتاب تحت عنوان (بينى وبين الأستاذ محمد فريد وجدى).

(٢) كما ألف كتاباً آخر فى الأدب سماه (الحياة الأدبيه عند العرب قبل الإسلام) .

(٣) وله قصائد شعرية منشورة فى صحف تلك الأيام .

كيف كانت غيرته على القرآن الكريم والإسلام :

يروون عنه أن بعض الغيورين على القرآن والإسلام من أساتذة جامعة الإسكندرية لجئوا إليه للرد على رسالة فى قراءات القرآن الكريم وكانت الرسالة قد أجيزت وحصلت على الماجستير بتقدير جيد جداً ، لكن عند فحصها بمعرفة الشيخ محمد الصادق عرجون بين أوجه الانحراف فيها وعندئذ قامت الجامعة هناك بإلغاء نتيجتها .

مؤلفات أخرى للشيخ محمد الصادق عرجون :

اشتهر رحمه الله بخصوبة إنتاجه فى مجال التأليف فكانت له الكتب الآتية : —

(١) كتاب القرآن العظيم هدايته وإعجازه فى أقوال المفسرين .

(٢) كتاب حجة الإسلام الغزالى المفكر الثائر .

(٣) كتاب التصوف فى الإسلام منابعه وأطواره .

(٤) الموسوعة فى سماحة الإسلام وهى فى مجلدين كبيرين وموضوعها يدور حول سماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين .

(٥) كتاب محمد — صلى الله عليه وسلم من نبعته إلى بعثته .

(٦) كتاب حرية الفكر فى الإسلام .

(٧) كتاب الأدب بين القديم والحديث .

(٨) كتاب عظمة محمد صلى الله عليه وسلم فى رسالته .

(٩) كتاب الدين منبع الإصلاح الاجتماعى .

(١٠) كتاب من رياض القرآن .

(١١) كتاب موقف الإسلام من المخترعات الحديثة .

(١٣) رد مزاعم رسالة فى قراءات القرآن .

(١٣) الأمة الإسلامية كما يريدها القانون.

(١٤) سنن الله فى المجتمع من خلال القرآن .

(١٥) نحو منهج فى تفسير القرآن .

(١٦) كتاب خالد بن الوليد .

(١٧) كتاب عثمان بن عفان .

وفى ترجمته لهذين الصاحبين دفع عنهما تخرصات أعداء الإسلام وجلا صحائف سيرتهما البيضاء النقية .

(١٨) كتاب (محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم) ويقع فى أربعة مجلدات ضخمه تفرغ لكتابته بعد أن ترك العمل الإدارى وأحيل إلى التقاعد،وقد استغرق منه مدة عشر سنوات وكان معظم عمله فيه بين مكة والمدينة المنورة ثم استكمله فى مصر بعد عودته إلى أرض الوطن .

كيف يصف منهجه فى دقة البحث العلمى :

يصفه بقوله (وعمود البحث فى منهجنا هو ما أصّلنا فى كتبنا ومؤلفاتنا ولا سيا التاريخية منها أننا نقرأ ونقرأ حتى نظن أننا استوعبنا أو قاربنا ، ثم نفحص ونمحص ونوازن وننقد ونعتمد ماتثبت لدينا صحته سندا ويدخل وصيد القبول متنا وأصلا ، ولم يعارضه من منخول العقل والعلم مايعلو عليه مع إيماننا بأن للعقل حداً يقف عنده،ولقضايا العلم موضوعات تنتهى عندها وهما محجوبان عن عالم الغيب مقصران دون إدراك كثير من حقائق عالم الشهادة) .

وله كتب لم تطبع بعد أهمها :

(١) كتاب نفحات الإنعام فى تفسير سورة الأنعام .

(٢) كتاب النقد الأدبى عند العرب .

(٣) وله حلقات فى الإذاعة المرئية (التليفزيون) تناولت تفسير بعض سور القرآن الكريم وهى التوبة والروم ولقمان والسجدة .

وفاته :

وهكذا عاش الشيخ محمد الصادق عرجون ، ذلك العالم الأزهرى الكبير والمؤرخ الإسلامى الأصيل ، لا يتحرك إلا للعلم ، ولايسافر إلا للعلم ، ولا يقضى وقته إلا فى العلم ، حتى لقى ربه راضياً مرضياً فى أول أيام القرن الخامس عشر الهجرى الموافق ٩ من نوفمبر سنة ١٩٨٠(١) .

* * *

(١) بتصرف عن سيرة وحياة الشيخ محمد الصادق عرجون بقلم نجله الدكتور محمد بهى الدين الصادق والمرفقة بكتاب (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو يقع فى أربع مجلدات ضخمة .

الشيخ محمد فرج السنهورى
نائب رئيس المحكمة العليا الشرعية
ووزير الأوقاف الأسبق
١٨٩١ م – ١٩٧٧ م

عالم جليل من علماء الإسلام وباحث مدقق ومتحدث مقنع دأب فى أحاديثه على احترام الأخلاق والغيرة على الدين كما كان القاضى المنصف عندما كانت له ولاية القضاء فى نظام القضاء الشرعى قبل إدماجه فى نظام القضاء الوطنى .

ذلك هو الشيخ محمد فرج السنهورى الذى شق طريقه فى الحياة العامة مبتدئاً بالقضاء ثم اختتمها بالعمل وزيراً للأوقاف وأخيراً بالمحاماة .

مولده وأصل محتده ونشأته :

ولد رحمه الله فى ٤ من يناير عام ١٨٩١ ميلادية بقرية المندورة مركز دسوق من أعمال محافظة كفر الشيخ ونشأ نشأة دينية خالصة فقد بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم فى كتاب قريته ثم التحق بالجامع الدسوقى بمدينة دسوق لاستكمال دراساته الدينية . إذ كان هذا المسجد فى ذلك الزمان مع بعض المساجد الكبرى فى شتى أنحاء البلاد المصرية أشبه بروافد للأزهر الشريف تقوم مقام معاهده فى زماننا المعاصر ولما انتهى من دراساته هناك توجه إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر

ومنه إلى مدرسة القضاء الشرعى فحصل منها على شهادة العالمية عام ١٩١٧ ميلادية .

الوظائف التى قام بها :

على أثر حصوله على العالمية من مدرسة القضاء الشرعى عين فى فى سلك القضاء الشرعى وأخذ يتبوأ مناصبه بجدارة حتى انتهى المطاف به إلى أن أصبح نائباً لرئيس المحكمة العليا الشرعية ثم وقع عليه الاختيار ليكون وزيراً للأوقاف فى أحد التشكيلات الوزارية قبل قيام حركة ضباط الجيش فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ م وبعد استقالة الوزارة استأنف حياته العملية بالاشتغال بالمحاماة (١) .

اسهاماته الأخرى :

كان لغزارة علمه وسعة أفقه وتنوع معارفه وبعد نظره ماجعله يسهم فى مجالات متعددة :

(١) فقد عهد إليه بتدريس العلوم الشرعية فى مدرسة القضاء الشرعى .

(٢) وقام بإلقاء محاضرات فى أقسام التخصص بالأزهر الشريف .

(٣) وكلف بالتدريس فى معهد الدراسات العربية .

(٤) كما كان من هيئة التدريس فى أقسام الدراسات العليا بكليتى الحقوق بجامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية .

---

(١) لمحة عن حياة فضيلة الشيخ محمد فرج السنهورى مرفقة بكتابه عن الأسرة فى التشريع الإسلامى .

اللجان التى كان عضوا بها حتى تاريخ وفاته :

اشترك المرحوم الشيخ محمد فرج السنهورى فى لجان متعددة حال حياته نذكر منها :

(١) اللجنة العليا لتطوير القوانين المصرية .

(٢) لجنة تطوير الأزهر .

(٣) اللجنة العليا لتطوير الجامعات .

(٤) اللجنة العليا لوضع دائرة المعارف العربية .

(٥) لجنة التراث .

(٦) وقام برئاسة لجنة إحياء المؤلفات والتراث الإسلامى بدار التأليف والترجمه والنشر .

(٧) ثم إنه كان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وذلك حتى تاريخ وفاته فى ١٤ من مارس عام ١٩٧٧ م .

أحاديثه الدينية المذاعة :

كانت له أحاديث دينية أذيعت بأجهزة الإذاعة المسموعة زمن حياته وقد جمعتها وزارة الثقافة فى كتابين هما :

١ – كتاب الأسرة فى التشريع الإسلامى .

٢ – وكتاب حاجة المجتمع إلى الدين (١) .

---

(١) المرجع السابق .

وسنتكلم عن واحد من هذين الكتابين وهو الكتاب الأول بما يناسب المقام .

نظرات فى كتابه (الأسرة فى التشريع الإسلامى) ومختارات لبعض الموضوعات التى عالجها :

مما ذكره فى بداية كتابه المشار إليه عن عناية التشريع الإسلامى بأمر الأسرة قوله (إن التشريع الإسلامى وضع من الأحكام والحقوق والواجبات والآداب مايكفل لها إرساء الدعائم وسلامة البنيان والحياة الطيبة المباركة ، ويهيئ منها عضواً سليما صالحاً لأن يؤدى وظيفته أداء كاملا للمجتمع الإنسانى الذى نعيش فيه .

وأحكام الأسرة تعالج أموراً سداها ولحمتها الإحساس والعاطفة. وتقوم أكثر ماتقوم على المشاعر والروابط النفسية ، وهى فى الأغلب من الأمور الدقيقة الخفية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم — وماينطق عن الهوى — قد أكثر من الأمر بالزواج وبالغ فى الحث عليه عليه ، وأعلن أنه سنته وتبرأ ممن يرغب عنه ، وقد اختلف الأئمة الفقهاء فى شأن هذه الأوامر : —

١ — فذهب فريق منهم إلى أن الزواج سنة محكمة وفريضة واجبة على كل من يستطيعه وإن لم يخش الفتنة .

٢ — وذهب الباقون إلى غير ذلك من الآراء والتفصيلات طبقاً لما توضح فى كتب الفقه الإسلامى المختلفة .

٣ — وأيًّا ماكان أمر تلك لأقوال فإنهم قد أجمعوا على أن الزواج

رغيبة من أفضل الرغائب وهدى إلهى وسنة نبوية يجب الحرص على إحيائها .

السر فى مبالغة التشريع الإسلامى بأمر الزواج :

(١) ذلك لأنه السبيل الوحيد إلى الحياة الهانئة السعيدة فهو وحده الذى يكفل للرجل والمرأة على السواء حياة يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب والثقة المتبادلة .

(٢) وهو وحده الذى يكفل لهما المودة الخالصة والمحبة الصادقة .

(٣) وهو وحده الذى يكفل لهما التراحم والتعاون فى السراء والضراء .

(٤) وهو أفضل وسيلة لحفظ النوع وخلق جيل صالح ينشأ فى كنف الفضيلة وحنان الأمومة ورعاية الأبوة .

(٥) كما أن فيه تعويد رب الأسرة على الاضطلاع بأعباء الرعاية وتحمل المسئولية ومشقاتها فى جرأة وإقدام .

الأسرة نواة المجتمع :

فمن مجموعها يتكون بناء المجتمع الكبير يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها ويصح بصحتها ويمرض بأمراضها ، وقد قام التشريع الإسلامى على هذه المعانى فى صورة واضحة مكتملة قل أن اكتملت فى غيره ، فسن لها من الأحكام والآداب مايكفل لها الدعائم الراسية المكينة والبناء القوى المتين .

وقد امتلأت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية بالدعوة إلى

بناء الأسرة وإرساء قواعدها على أساس سليم من المقاصد السامية التى يبتغيها من تكوينها ترمى إلى سعادة الإنسانية وسعيها إلى الرقى والكمال وهى : الإحصان والعفاف وسد الذرائع ومقاومة الفساد والقضاء على فوضى الاختلاط وتهيئة حياة سعيدة لأفرادها تسودها الثقة والإطمئنان والتعاون وتحمل الأعباء فى مودة وتراحم . وخلق جيل صالح يشب فى جو من مكارم الأخلاق ، ويبتعد بها عن المتعة المجردة الجسمانية ،وعن الخياة المادية المرذولة إلى حياة روحية هانئة سعيدة،قال تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) .

الإسلام يرفع من شأن المرأة :

لما كانت أمور الأسرة لاتسير فى طريقها القويم إلا إذا تساوت دعاماتاها الرجل والمرأة وتمكن كل منهما من القيام بواجبه وأحس بالعزة والكرامة ، وأمن جور الآخر وبطشه جاء التشريع الإسلامى فرفع من شأن المرأة وأعز مكانتها وكفل لها أهلية كأهلية الرجل وفرض لها من الحقوق المالية مايتلاءم مع تبعاتها ،لذا قامت حقوقها على أصل ثابت هو المساواة اللهم إلا مامنحه لكل من الزوجين مما يلائمه ويحسن القيام به .

---

(١) سورة الروم الآية ٢١ .

كما أوجب التشريع الإسلامى أن تسود الأسرة التربية الدينية التى تغرس فى النفوس العقائد السليمة الراسخة وتربيها فى جو من الإيمان الصحيح مما يحمل المرأة على التزام طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ويحليها بمكارم الأخلاق فلقد ألزمها الله سبحانه أن تتأدب بآداب الدين وأن تتحلى بالحشمة والوقار فى نظراتها وفى لباسها وزينتها فقال جل وعلا : « وَقلْ للمُؤمنات يغْضُضْن من أبْصَارِهنَّ ويحْفظْنَ فرُوجهنَّ ، ولايُبدين زينتهُنَّ إلاَّ ماظهر منها ، وليضربن بخُمرهنَّ على جيوبهنَّ ، ولا يُبدين زينتهُنَّ إلا لبعُولتهن » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا وخياركم لنسائهم)(٢) وقال فى حديث آخر (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله)(٣) .

وعن الاختيار فى الزواج يقول :

لاريب أن الفتيان والفتيات فى أول مرحلة من مراحل النضوج الجسمى يمرون بطور هو الغاية فى الخطر بسبب ماتملؤه فيهما فورة الشباب الجامحة مع قلة الخبرة والتجارب ولين العود فى الوازع الدينى

---

(١) سورة النور الآية ٣١

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح — أورده الامام محى الدين أبو زكريا النووى فى كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين باب الوصية بالنساء .

(٣) أخرجه ابن ماجه وابن سعد والطبرانى فى الكبير ورواه الترمذى وابن حيان فى صحيحه أورده الإمام السيوطى فى جمع الجوامع العدد الخامس عشر من الجزء الثانى من السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٣ م .

والوازع الخلقى مع الاختلاط الذى بلغ الذروة اليوم بينهم فى الطرقات وفى دور العلم وفى الحقل وفى المصنع وفى المتجر وفى كل مرافق الحياة امتلأت بأساليب من الخبث والخديعة لم تكن مألوفة من قبل فضلا عن أن السلطان الدينى لتقاليد الأسرة ضعفت شعلته. ومن هذه العوامل مجتمعة وقعت مآس هى الغاية فى القسوة شهدت دور القضاء الكثير منها – وعلى الدوام تبدأ المأساة باسم الزواج فى ظروف تحمل على اعتقاد أن الأسرة لاترضى عنه لذلك فإنه رحمه الله يرى (أنه قبل بلوغ الفتاة الخامسة والعشرين) – الأخذ بما ذهب إليه بعض الأئمة من أنه لايحل للمرأة نكاح ثيباً كانت أو بكراً إلا بإذن وليها ، بمعنى أنه لابد لصحة الزواج فيما بين بلوغ الحلم وانقضاء الخامسة والعشرين من اجتماع رضاء الزوجة وإذن الولى وإن لم يأذن الولى ترفع الأمر إلى القضاء فيأذن لها متى تبين له أن فى هذا الزواج مصلحة لها .

الصفات الواجب مراعاتها لكلا الزوجين عند الزواج :

عند اختيار المسلم لزوجته والمسلمة لزوجها يجب مراعاة الصفات التى تكفل للأسرة سلامة البنيان وتحقق المقاصد السامية التى شرع من أجلها الزواج وهى مبثوثة فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويمكن إجمالها فى (الإحصان والعفاف والتوالد والسكن والمودة والتراحم وما إلى ذلك) ولاحرج على مسلم ولا مسلمة أن يبتغى عليها صفات أخرى كالمال والجمال والجاه .

وعن الزواج بالأجنبيات يقول :

إنه يعنى بالأجنبية فى هذا المقام الأجنبية غير المسلمة ، أما المسلمة فإنها لاتحسب فى عرف فقهاء الإسلام أجنبية مهما كانت دارها وزواج المسلم بغير المسلمة نزل فيه من الكتاب آيات ووردت فيه من السنة آثار وعند النظر فى هذه الأدلة يتبين : —

١ — أن أئمة المسلمين اتفقوا على أن زواج المسلم بغير المسلمة باطل لايصح بحال إذا لم تكن كتابية .

٢ — أما الكتابية إذا كانت يهودية أو نصرانية فقد اختلفوا فى صحة زواج المسلم بها : —

(أ) فذهبت طائفة منهم إلى أنه زواج باطل .

(ب) وذهب جمهورهم إلى أنه زواج صحيح ، ومن هؤلاء الإمام محمد ابن إدريس الشافعى . لكنه اشترط لصحته أن تكون من قوم علم أن آباءهم الأولين آمنوا بموسى عليه السلام وبعثة المسيح عليه السلام ، أو من قوم علم أن آباءهم الأولين آمنو بالمسيح عليه السلام وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

أما إذا علم عن قومها خلاف هذا أو جهل حالهم فإنها تكون محرمة على المسلم كغير الكتابية ، وهذا الشرط يقضى بتحريم كثيرمن الكتابيات فى هذه الأيام .

والفوارق بين المسلم وبين الزوجة الأجنبية فوارق جسيمة جداً لايلتقيان معاً ، فهما مفترقان فى الدم والدين واللغة وهو شرقى وهى

غربية تخالفه فى الإحساس والشعور وفى النشأة والتربية وفى الأخلاق والعادات والتقاليد ، ولن ينال المسلم من هذا الزواج إلا لوثة فى دينه وذوبان فى شخصيته وانحلال فى قوميته .

فمن حق هذه الأجنبيه أن تأكل وتشرب فى بيته ماهو حل لها ومحرم عليه ، ومن حقها أن تؤدى فيه شعائر دينها، وبهذا تصبح حياته المنزلية خليطاً من إيمان وكفر' ومهما كان أمر مابينهما من الروابط الروحية الحقة فإنه على أية حال مفتون بها وهو لابد متودد إليها وفى هذا التودد نقصان دينه قال الله تعالى (لاتجدُ قوماً يؤمنُون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسُوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (١) .

ثم تأتى كارثة الأولاد وتربيتهم فهم فى يدها عجينة لينة طيعة تغرس فى نفوسهم منذ الطفولة الأولى ما تحب وتهوى ويألفون من أعمالها وسيرتها مايطغى على تعاليم دينهم ويطفئ نور الإيمان فى قلوبهم ويميت القومية فى نفوسهم .

وفى الزواج بهؤلاء الأجنبيات محاربة سافرة لفتياتنا المسلمات وجرح لكرامتهن على غير جرم اقترفنه .

وعن آداب عشرة النساء يقول :

لماكان الرجل قواما على زوجه وربا لأسرته وراعيها فعليه أن يحسن القيام وأن يسوس رعيته بلين فى غير ضعف ، وبحزم فى غير عنف.

---

(١) سورة المجادلة ٢٢

وأن يرعى لزوجه حقوقها المشروعة وأن يتأدب فى هذا بآداب دينه فقد قال الله تعالى فى تعظيم حق النساء على أزواجهن (وأخذْن منكُم ميثاقاً غليظاً) (١) وقال عز وجل (وعاشروهُن بالمعْروف) (٢) .

ومن حق المرأة على زوجها دينا وخلقا أن يرعى فطرتها وألا يشتد عليها إذا غضب وأن يسوسها باللين والرفق إذا ندت . وأن يتحمل منها الأذى المحتمل فى حلم وهوادة فهى بفطرتها ، وبحكم الوظيفة التى هيأها الله لها ،خلقت مرهفة الحس رقيقة الشعور جياشة العاطفة ، سريعة التأثر ، ثم هى على إحساس دائم بأنها مرءوسة لارئيسة فهى أطمع من الرجل فى اللين والمجاسنة ، وهى أقرب منه إلى الغضب والحدة وإرسال العبرات والبكاء . وهذا ماأشار إليه رسول صلى الله عليه وسلم تمثيلا بقوله (استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج مافى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء) (٣) .

ومن الآداب الدينية التى يجب على الزوج أن يأخذ بها نفسه فوق الخلق والمعاشرة بالمعروف والصبر على مايحتمل من المكاره أن يعمل جاهدا على إدخال السرور إلى نفس زوجه ، وأن يخلق لها جواً يسوده المرح والبشر تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة النساء ٢١ .

(٢) سورة النساء ١٩ .

(٣) متفق عليه أورده الإمام محى الدين أبو زكريا النووى فى كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين باب الوصية بالنساء المرجع السابق .

فقد كان يمزح مع نسائه. ومن تـأدب بـآداب الدين ويسر لزوجه المسرات كان مثابا مأجورا .

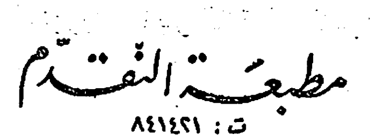
وهكذا يمضى المرحوم الشيخ محمد فرج السنهورى فى معالجة باقى موضوعات الأسرة فى كتابه المشار إليه فيتكلم عن الاختيار فى الزواج ، وخطبة النساء ، وحقوق الزوج على زوجته ، ومسئولية رب الأسرة ، وتنقية الأسرة من الدخيل ، وعن ربة البيت ، ومركز المرأة ، وواجب الأبناء ، واستيفاء حقوق الأسرة ، وعن أسباب الشقاق بين الزوجين وحرمة المساكن وحماية الأسرة ، وتبرج النساء ورفع الحرج عمن يرتبطون بالأسرة ، وحماية الأعراض مما يعطى صورة جلية واضحة عن عناية التشريع الإسلامى بالأسرة. وعن سر هذه العناية ويبين وسيلة بناء الأسرة على أساس مكين(١) .

---

(١) نشر فى مجلة الأزهر بالجزء الثانى عشر من السنة الثانية والستين ذو الحجة سنة ١٤١٠ هـ — يوليو سنة ١٩٩٠ م .

محتويات الكتاب

* * *



رقم الإيداع ١٩٩٠/٨٦٣٥